



جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

(العِزَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) دراسة موضوعية

رسالة مقدّمة لنيل درجة : (الماجستير)
التخصص : (التفسير وعلوم القرآن)

إعداد الطالب :

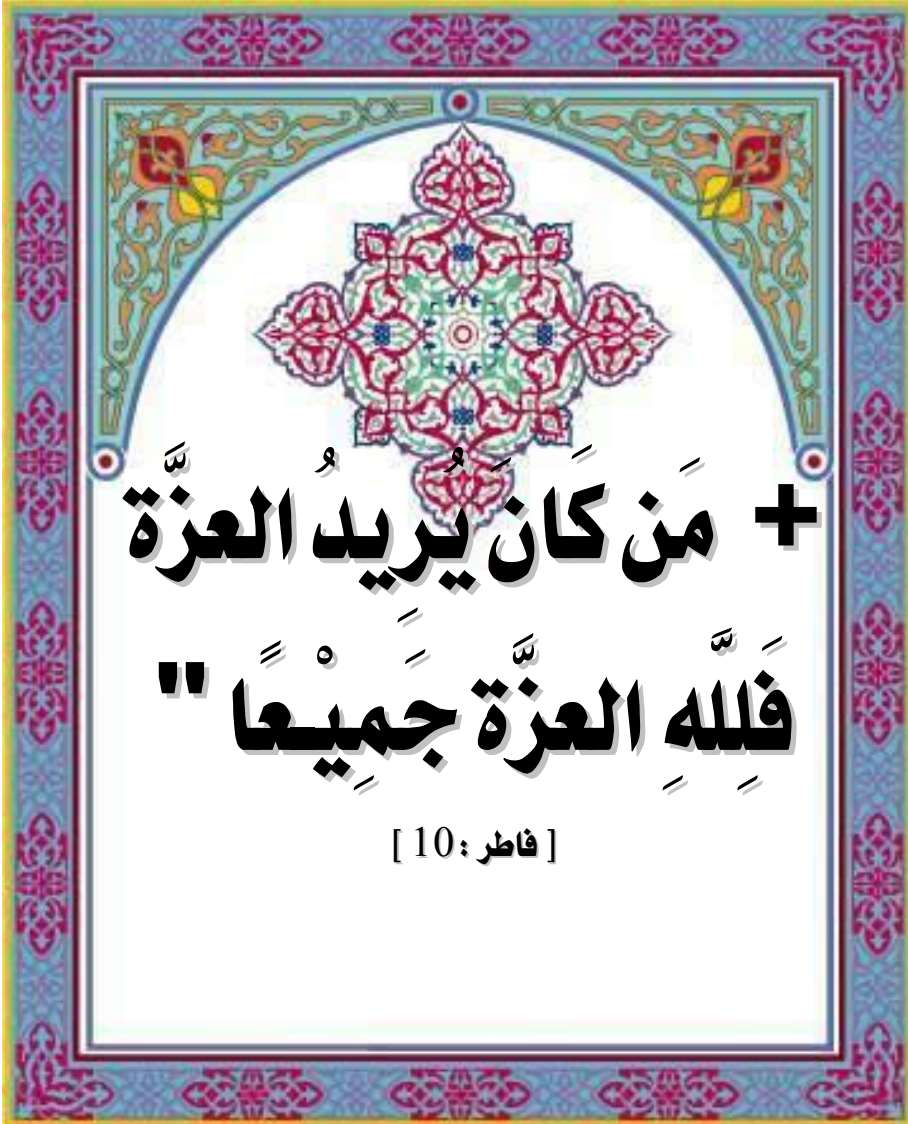
وائل بن محمد بن علي جابر
الرقم الجامعي : (42788068)

الشرف :

الشيخ الدكتور : (سليمان الصادق البيرة)
الأستاذ المشارك في قسم الكتاب والسنة

1430 هـ / 2009 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إهداء

إلى والدي العزيز الذي بذل لي كل المعروف تكراً منه ، وإلى والدتي
الغالية التي منحني كل محبةٍ ، وسهرت وصبرت حتى تدرك هذه الساعة ؛
ولكن وافاها الأجل قبل أن ترى غرساً رعته فرحمها الله ، جزاكم الله خيراً
على ما قدمتما لي من تربية ونصح ودعا ، وأسأل الله لكما الرحمة والمغفرة
ورضاه ، كما أسأله أن يكتب لكم أجر هذا العمل .

إلى زوجتي الغالية ، ورفيقة دربي ؛ أشكركِ على سهركِ ومساعدتكِ
لي ، أسعد الله قلبك بطاعته ، ورزقك محبته .

إلى نسيبة وعبد الله وعمر أبنائي الأعراء ؛ الذين أخذت من وقتهم
الشيء الكثير ، نفع الله بكم ، وجعلكم هداة مهتدين .

إلى إخوتي جميعاً : أبووسيم وأبو مرح وأم عبد الله وأم صهيب ...

إلى كل محبٍ غيورٍ على الإسلام ، وكل عاملٍ وعالمٍ به : أهدىكم هذا
العمل ، وأسأل الله القبول .

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد :

فإنه يطيب لي أن أعترف لأهل الفضل بفضلهم ، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله .

فالشكر لله أولاً وآخرًا على نعمه وآلائه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ، ثم الشكر إلى مقام شيخنا الحبيب ، والعالم النجيب : د. سليمان الصادق البيرة ، على بذله لوقته في قراءة هذه الرسالة ، وصدقته وحكمته في توجيهي ، مع ما وجدت منه من حسن خلق وبشاشة وجه ، فأشكره على رعايته لي كراية الأب لابنه والشيخ لتلميذه ، وأسأل الله العظيم أن يرفع درجته ، ويصلح نيته ، ويحسن بعد طول عمر وحسن عمل ميته .

ثم أشكر جميع مشايخي الفضلاء الذين غمروني بالعلم والحلم والأدب داخل الجامعة وخارجها ، فجزاهم الله عني خير الجزاء على التربية والعلم .

والشكر موصول لكل من رمى بسهم المشاركة والمناصرة لي ، أو أعان على إتمام هذه الرسالة من قريب أو بعيد ، أو كان له فضل ؛ إليهم جميعًا كل التقدير مع خالص الدعاء بالتوفيق في الدنيا والآخرة .

كما أشكر جامعة أم القرى ممثلة بكلية الدعوة وأصول الدين على إتاحة الفرصة لإكمال دراستي ، وتسهيل أموري فيها .

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : العزّة في القرآن الكريم (دراسة موضوعية) .

اسم الباحث : وائل بن محمد بن علي جابر .

الدرجة : مقدمة لنيل درجة الماجستير .

من أهم أسباب اختيار الموضوع :

✓ أولاً : أهمية الموضوع ، والتي تتمركز في ثلاثة محاور :

الأول : لتعلقه بالمجتمع الإسلامي ، وجماعة المسلمين ، ومصادر العزّة لديهم . **الثاني :** لتعلقه بالنفس البشريّة .

الثالث : لتعلقه بواقع الأمة المرير ، وما تُعانيه من ظلم وإهانة .

✓ ثانياً : تحرير مصطلح العزّة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي خلطت بينه وبين الكبر .

✓ ثالثاً : إخراج الموضوعات القرآنية بالبحث والدراسة ، لتكون زاد للدعاة والمصلحين بما يتوافق مع طبيعة العصر .

محتويات الرسالة :

اشتملت الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة :

أما المقدمة : فتناولت فيها أهمية الموضوع ، وأسباب الاختيار ، والدراسات السابقة فيه ، ومنهج البحث وخطته .

% الفصل الأول : (معاني العزّة في القرآن الكريم ومشتقاتها ومرادفاتها وما يُقابلها) ، وذكرت فيه معنى العزّة لغةً واصطلاحاً ، ومشتقات لفظة العزّة ومرادفاتها وأضدادها ، ثم الفرق بينها وبين الكبر .

% الفصل الثاني : (آيات العزّة في القرآن الكريم ، وعنايته بها) ، وقد ذكرت فيه آيات العزّة في القرآن الكريم بحسب ترتيب المصحف الشريف ، ثم صنّفتها على مجموعات ، وبيّنت العناية التي أولاها القرآن الكريم للعزّة لفظاً ومعنى ، مع بيان مظاهرها ، وفضل العزّة والثناء على أهلها ، ثم ختمت بذكر حديث القرآن عن العزّة .

% الفصل الثالث : (أسلوب القرآن الكريم في حديثه عن العزّة ، وخصائصه) ، وتحدّثت فيه عن الأساليب

البلاغية التي استخدمها القرآن في حديثه عن العزّة ، وخصائصه .

% الفصل الرابع : (حقيقة العزّة وأنواعها ووسائلها وآثارها) ، وتحدّثت فيه عن حقيقة العزّة ، وأهمية التربية

الميدانية لهذا الخلق ، ومصادره وأنواعها ومجالاتها ومظاهرها ، ووسائل تحقيقها على الأفراد والمجمعات ، وصفات أهلها ، وآثارها .

وأما الخاتمة : ففيها نتائج البحث ، وتوصياته ، والفهارس المتنوعة .

ومن أهم نتائج البحث : إزالة الإلتباس الحاصل من جراء تشابه معنى العزّة والكبر ، ومعرفة آثار العزّة على الأفراد والمجمعات ، وكثرة ورود لفظة العزّة في القرآن بمشتقاتها للدلالة على أهميتها... الخ .

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وسلّم .

Summary

Title of the thesis: Glory in The Holy Qura'an (objective study)

The researcher: Wae'el Bin Mohammed Bin Ali Jabir

The degree: presented for obtaining the master degree

The reasons for choosing the subject:

Firstly: The importance of the subject centered in three issues:

The first reason :because it is related to the Islamic society, Muslims' group and the their glory reasons

The second reason: because it is related to the humanity since the glory is one of the Muslims' moralities that every Muslim should distinguish by.

The third reason: because it is related to the reality of the nation's bitter and what they suffer from injustice.

Secondly: editing the term of glory and correcting the wrong concepts that confuse between it and arrogance.

Thirdly :bringing out Qura'anic subjects by searching and studying to be as a supply for the heralds and reformers with what goes with the nature of the time.The content of the thesis: this thesis contains an introduction, four chapters and a conclusion,

The introduction: it dealt with the importance of the subject and the reason for choosing it, the previous studies and the approaches of the research and it scheme.

The first chapter:(I mentioned the meaning of glory in The Holy Qura'an, its derivatives, its synonyms and its equivalents.), also it indicates the meaning of glory linguistically and in idiom , and derivative from the term, its synonyms and its contrasts then the difference between glory and arrogance.

The second chapter:(verses of the Holy Qura'an and how it dealt with it)I mentioned some verses in the glory of generosity according the arrangement of the Suras of The Holy Qura'an then I classified it to groups and I showed the attention that The Holy Qura'an pays to the term glory and to its meaning with showing its indication and the merit of glory and it praises the possessors then I conclude it by mentioning what The Holy Qura'an says about Glory.

The third chapter: (the method that the Holy Qura'an follows in talking about glory and its characteristics)I talked here about the rhetorical method that The Holy Qura'an used in about glory and its characteristics.

The fourth chapter: (the reality of glory, its kinds, its method and it its effects)here I talked about the reality of glory and the importance of breeding field for this manner , its resources, kinds, fields and its manifestations, the method of bringing it to the individuals and the societies, the peculiarities of its possessors and its effects.

As for the conclusion: it includes the results of the research , its recommendations and the different kinds of index.

The most important result of the research:

eliminating the confusion between the similarities between the meaning of glory and arrogance, knowing the effects of glory on the individuals and the societies and the repetition of mentioning the term glory in The Holy Qura'an with its derivatives to show its significance...etc.

May Allaah send blessings and peace upon our Prophet Muhammad and his family and companions and the peace

المقدمة

المقدمة

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنِّ يَا كَرِيمُ

الحمد لله ذي العزّة والجبروت ، مالك الملك والملكوت ، القويّ القاهر الحيّ الذي لا يموت ، أعزّ مَنْ تَمَسَّكَ بكتابه وسنة نبيه ﷺ ورَفَعَهُ ، وأذلّ مَنْ خالفهما باتباع الهوى والشهوات وَوَضَعَهُ .

أحمده سبحانه انه حمداً يليق بعظمته وجلاله ، وأمجده بما مجّده به الأنبياء والمرسلون على جماله وكماله ، وأشكره على جلاله ودقائق نعمه وإفضاله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ الذي أرسله ربّه بالعزّة العظمى ، والحكمة الكبرى ؛ فأخرج الناس من ظلمات الذلّ والهوان ، إلى نور العزّة والإيمان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، أمّا بعدُ :

(فإن أشرف العلوم على الإطلاق ، وأولاها بالترتيب على الاستحقاق ، وأرفعها قدرًا بالاتفاق) (1) : علوم القرآن المجيد ، الذي أنزله المولى _ جلّ جلاله _ على نبيه الخاتم الرشيد ، فأثار به قلوبًا _ من ظلمة الكفر _ قد اسودّت ، وأجسامًا _ من لُجج المعاصي _ قد غرقت ، وآدانًا _ من سماع الهوى _ قد انصمت .

وعلم به من علم ، ودلّ من عباده الموفقين على استخراج كنوز معانيه وفهم ؛ فسبحانه الحكيم الأكرم ، + عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٣٠﴾ (2) .

ولا شكّ عند كل لبيب أريب : أن شرف كل شيء بشرف متعلّقه ؛ فلذلك كان علم التفسير أولى العلوم باهتمام ؛ لأنه أسُّ العلوم وألصقها ارتباطًا بكتاب ربنا _ جلّ في علاه _ .

والقرآن الكريم بحرٌ زاخرٌ لا ساحل له ؛ لأنه مَجْمَعُ العلوم والمعارف ، وبغية الموافق والمخالف ؛ (ولما كان القرآن الذي هو كلام ربنا ،

(1) : ((فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)) لمحمد بن علي الشوكاني ، (1 / 17) .
(1) : [العلق : 5] .

ومعجزة نبينا ، ومنبع العلوم ، ومعدن المعارف والفهوم ؛ كان على العاقل المؤمن المسلم الدّين الموحدّ : قراءته ودراسته ، وتفهمه وتلاوته ، وعلى قدر قراءته وتلاوته وتفهمه يكون عمله وإيمانه وإسلامه وتوحيده وفضله كله (1) .

وقد قامت حول كتاب الله علوم كثيرة ؛ إلا أن أهمها علم التفسير الذي يقوم على أربعة مناهج رئيسية ، وهي : التفسير التحليلي ، والتفسير الإجمالي ، والتفسير المقارن ، والتفسير الموضوعي . وجميع هذه الأنواع تُوقفنا على فهم مراد الله تعالى من الآيات بقدر الطاقة البشرية .

وفي عصرنا هذا تشدّد الحاجة إلى التفسير الموضوعي ؛ لأنه يجمع لنا الآيات القرآنية المرتبطة بموضوع واحد ، ويبيّن ما يتعلق بها من حكم وأسرار من أجل إبراز جوانبها المختلفة ، وإيضاح الهدى القرآني فيها .

وهو لونٌ جديرٌ بالاهتمام ، لما يُحقّقه من خيرٍ مرجوٍ للفرد والأمة ، وكذلك : لما يُظهر من براعة هذا القرآن وإعجازه ، وتلبيته لحاجة العصر الحديث بأسلوبه ولغته .

وهو مع ذلك : له شاهده القوي ، وثمرته المرجوة منه _ إذا أُجيد تطبيقها _ على واقع الأمة الإسلامية في هذه الأيام .

لذا ؛ كان توجيهُ شيخنا الفاضل الحبيب ، والمعلم الصادق النجيب : الشيخ سليمان الصادق البيرة _ نورَ الله بصيرته ، ورفع درجته _ : على اختيار موضوع من الموضوعات ، يُتناول من خلال التفسير الموضوعي بطرقه وأساليبه المصطلح عليها الآن .

وكلُّ يُدلي بدلوه ، وقد أكرمني الله يوم أن اخترت بأن يكون دلوي في مسيرة التفسير الموضوعي بموضوع : (العزّة في القرآن الكريم) لكي أساهم في إثراء مكتبة التفسير الموضوعي ، وكذا لك أساهم بنزري يسير في تقويم بعض المجتمعات والأفراد من خلال هذا الموضوع ؛ لما له من حاجة ماسة في حياة الأمة الإسلامية والفرد كذلك .

أسباب اختيار الموضوع :

(2) : ((التنكار في أفضل الأذكار)) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، (13) .

السبب الأول : أن هذا الموضوع لم يُطرق من قَبْلُ كرسالةٍ علميّةٍ مخدومة خدمة علميّةٍ ، وهذه الخدمة العلمية غير متحققة في هذا الموضوع من جهتين :

الجهة الأولى : (جهة عامة) : حيث إنه بحثٌ علمي يستلزم منه إتباع طرائق البحث العلمي وأساليبه الصحيحة ، مع تنظيمه وحسن ترتيبه . وهذا العمل المنظم لن يتم إلا بوجود مشرفٍ يُشرفُ على البحث ، ويدل الطالب إلى تقويم وتصحيح بحثه .

الجهة الثانية : (جهة خاصة) : من ناحية الكتابة في هذا الموضوع بقواعد وضوابط الكتابة في التفسير الموضوعي المتعارف عليها عند أهل هذا الفن ، كما ذكرها د / عبد الستار فتح الله سعيد في كتابه ((المدخل للتفسير الموضوعي)) ، و د/ مصطفى م سلم في ((مباحث في التفسير الموضوعي)) ، و د/ صلاح الخالدي في ((التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق)) ، وغيرهم .

ومعلومٌ كون تلك الجهتين غير متحققتين في هذا الموضوع الذي اخترته ؛ الأمر الذي دعاني لتقديمه كبحثٍ لرسالة الماجستير .

السبب الثاني : أهمية هذا الموضوع والذي يتمركز في ثلاثة محاور :

الأول : لتعلقه بالمجتمع الإسلامي ، وجماعة المسلمين ، ومصادر العزّة لديهم ، وفي ذلك يقول الشيخ محمد الغزالي كما في كتابه ((خلق المسلم)) : (العزّة والإباء والكرامة من أبرز الخلال التي نادى بها الإسلام ، وغرسها في أنحاء المجتمع ، وتعهد نماءها بما شرع من عقائد ، وسنن من تعاليم ...) (1) .

الثاني : لتعلقه بالنفس البشريّة ؛ حيث إنّ العزّة من أخلاقيات المسلم التي ينبغي أن يتحلّى بها ، فهي بذلك تكون طريقاً لتزكية النفس ، وتركها تركٌ لتزكيتها ، وتركٌ لتربيتها على معنى الإحسان الوارد في حديث جبريل

(1) : ((خلق المسلم)) لمحمد الغزالي ، (201) .

وقد سأل النبي x عن الإحسان فقال : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَلْنُ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » أخرجه البخاري ومسلم وغيره ما (1) .

ومن أمثلة ذلك : قول الحسن (2) : (وَإِنْ هَمَلَجْتَ بِهِمُ الْبَرَّانِينَ ، وَطَقَطَقْتَ بِهِمُ الْبِغَالَ ؛ إِنْ ذَلَّ الْمَعْصِيَةُ لَفِي قُلُوبِهِمْ ، أَبِي اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يُذَلَّ مِنْ عِصَاهُ . (3))

وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه ، ولا يذل من والاه ربه ، كما في دعاء القنوت : « إِنَّهُ لَا يُذَلُّ مِنْ وَالِيَّتِ ، وَلَا يَعْزُّ مِنْ عَادِيَّتِ » (4) .

وقال بعض السلف : الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ، ولا يجدونه إلا في طاعة الله (5) .

الثالث : لتعلقه بواقع الأمة المرير ، وما تُعانيه من ظلم صريح ، وذل وإهانة واضطهاد .

(1) : الحديث أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ ، ((صحيح البخاري)) : (3 / 257) ، برقم : (4777) في كتاب : (التفسير) سورة لقمان ، باب قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) ، ومسلم : (1 / 47) ، برقم : (9) في كتاب : (الإيمان) ، باب الإيمان ما هو ، وبيان خصاله . ورواه مسلم أيضاً في ((صحيحه)) من حديث عمر بن الخطاب ؓ ، (1 / 46) ، برقم : (8) ، في كتاب : (الإيمان) باب : بَيَانُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ ، وَوُجُوبِ الْإِيمَانِ بِإِتْبَاتِ قَدْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَبَيَانِ الدَّلِيلِ عَلَى النَّبَرِيِّ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ ، وَإِعْلَاقِ الْقَوْلِ فِي حَقِّهِ .

(2) : هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعي : تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة ، سكن البصرة وتوفي فيها سنة (110 هـ) . ((الأعلام)) : (2 / 226) بتصرف .

(3) : الهملجة : لفظة فارسية معربة ، ومعناها : حسن سير الدابة في سرعة وتبخر . انظر ((لسان العرب)) لأبي الفضل جمال الدين محمد مكرم بن علي بن منظور ، (9 / 138) ، مادة (هملج) .

(4) : رواه أبو داود في ((سننه)) : (2 / 253) ، برقم : (1420) ، في كتاب : (الوتر) ، باب القنوت في الوتر ، والترمذي في ((سننه)) : (2 / 328) ، برقم : (463) ، في كتاب : (الصلاة) ، باب ما جاء في القنوت في الوتر ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، ورواه النسائي في ((سننه)) : (3 / 248) ، برقم : (1746) ، في كتاب : (قيام الليل) ، باب الدعاء في الوتر ، وابن ماجه في ((سننه)) : (2 / 49) ، برقم : (1178) ، في كتاب : (إقامة الصلاة والسنة) ، باب ما جاء في القنوت في الوتر ، وصححه الألباني في : ((إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل)) : (2 / 172) .

(1) : ((إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان)) لمحمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بـ (ابن القيم الجوزية) ، (1 / 100 ، 101) .

السبب الثالث : تَكَرُّر مصطلح العزّة ، و تصحيح المفاهيم الخاطئة التي خلطت (1) بينه وبين الكبر .

قال الرازي (2) في كتابه : ((التفسير الكبير)) : (العزّة غير الكبر ، ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه ، فالعزّة : معرفة الإنسان بحقيقة نفسه ، وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية ، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلها) (3) .

ولأن الفهم الخاطئ قد يؤدي إلى انحرافٍ خُلقي يَشِين طَبَعَ وفطرة الإنسان ، ولذلك يقول ابن قيم الجوزية في ((مدارج السالكين)) : (وإذا انحرقت عن خلق العزّة التي وهبها الله للمؤمنين ؛ انحرقت إما إلى كبرٍ ، وإما إلى ذُلٍّ ، والعزّة المحمودة بينهما) (4) .

السبب الرابع : حيث إنَّ من الموضوعات القرآنية التي حفل القرآن بها ، فالقرآن هو كتاب الحقِّ ﷻ الباقي ، فأخراج مواضعه للمسلمين في قالب موضوعي ووفق منهج علمي مُحدّد ، ممّا يصبُّ في دائرة خدمة القرآن ، وهو جزءٌ من واجبنا تجاه القرآن .

السبب الخامس : أن طبيعة هذا العصر وما يموج به من فتن وشبهات ، تستوجب على طلبة العلم _ المتخصصين في الدراسات الموضوعية _ إخراج الموضوعات القرآنية بالبحث والدراسة ، لتكون زاد الدعاة والمصلحين ، ولتشكل سلاحاً ماضياً يُمكن استعماله في وجه هذه

(2) : أقصد بها أنها مزجت بين المفهومين ، قال ابن منظور في ((لسان العرب)) : (3 / 178) في مادة (خَلَط) : (خلط الشيء بالشيء يَخْلطه خلطاً ، وخالطه فاختلط : مزجه) .

(3) : هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ، الإمام العلامة ، سلطان المتكلمين في زمانه ، فخر الدين ، أبو عبد الله الطبرستاني الأصل ، ثم الرازي . المفسر المتكلم ، إمام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية ، صاحب المصنفات المشهورة ، والفضائل الغزيرة المذكورة ، توفي في عيد الفطر يوم الإثنين من سنة : (606 هـ) . (طبقات المفسرين)) : (444 - 446) .

(4) : ((التفسير الكبير)) : لـمحمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين ، (30 / 16 ، 17) .

(1) : ((مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)) : لـمحمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بـ (ابن القيم الجوزية) ، (2 / 310) .

الهجمة الشرسة ، وأذنبها من الكفرة والمستشرقين ، على ثوابت الإسلام
وحقائقه ، والله المستعان .

الدراسات السابقة :

وأما عن الدراسات السابقة عن هذا الموضوع فإنني لم أجد _ حسب اطلاعي _ من كتب فيه بهذا العنوان ، وإنما وجدتُ كتاباً صغيراً عنوانه : (العزّة في الإسلام) للدكتور : مسفر بن سعيد الغامدي ، وكيل معهد إعداد الأئمة برابطة العالم الإسلامي ، الذي قدّمه لنيل درجة أستاذ .

وهذا الكتاب تبلغ عدد صفحاته (112) مع الفهارس ، وهو كتاب عامٌ _ كما هو واضحٌ من اسمه _ ولا ينطبق عليه وسم التفسير الموضوعي .

وإليك هذا العرض لمباحثه :

بين يدي البحث .

دلالة العزّة .

المبحث الأول : أسرار اقتران اسم (العزيز) بأسماء الله الأخرى .

المبحث الثاني : مكانة العزّة ودورها .

المبحث الثالث : الأسباب الموصلة إلى العزّة .

صور من تمثل صفة العزّة في حياة سلف هذه الأمة ، وقد ذكر فيه المؤلف صوراً لـ (27) إماماً من الأئمة عليهم رحمة الله .

ومن هنا يتضح لنا أن الموضوع عام ، وأنه لا يدخل تحت مسمى التفسير الموضوعي ؛ لأنه لم يسير على طرائق البحث المتعارف عليها عند أهل هذا الفن ، أو أنه أراد عمومه كما هو ظاهرٌ _ والله أعلم _ .

لذا فإن الموضوع جديرٌ بالدراسة الموضوعية من هذه الناحية ، على وفق المنهج المحدّد المطروق في أبحاث التفسير الموضوعي .

هيكلُ البَحْثِ

وأما عن هيكله البحث فهي تشتمل على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة :

% أما المقدمة ، ففيها :

1. فضل القرآن الكريم ، واعتناء العلماء بتفسيره ، وأهمية الموضوع .
2. أسباب اختياره .
3. الدراسات السابقة .
4. خطة البحث .
5. منهج الباحث .

% الفصل الأول : (تعريفُ العزّة ومشتقاتها ومُرادفاتها ومُقابلاتها ، وذكر الفرق بينها وبين الكبر) ، وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : (تعريفُ العزّة) .

المبحث الثاني : (مشتقات العزّة ومُرادفاتها ومُقابلاتها) .

المبحث الثالث : (الفرقُ بين العزّة والكبر) .

% الفصل الثاني : (آيات العزّة في القرآن الكريم وتصنيفها ، وعنايته بها ، وحديثه عنها) ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : (آياتُ العزّة في القرآن وتصنيفها) ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : (آياتُ العزّة في القرآن الكريم) .

المطلب الثاني : (تصنيفُ آياتِ العزّة) .

المبحث الثاني : (عناية القرآن الكريم بالعزّة) ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : (فضل العزّة والثناء على أهلها) مع ذكر نماذج على ذلك

المطلب الثاني : (مظاهر العناية القرآنية بالعزّة) مع ذكر نماذج على ذلك .

المبحث الثالث : (عرض عام لحديث القرآن عن العزّة) .

% الفصل الثالث : (أسلوب القرآن الكريم في حديثه عن العزّة ، وخصائصه) ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : (أساليب القرآن الكريم في حديثه عن العزّة) ، وفيه :

المبحث الثاني : (خصائص أسلوب القرآن الكريم في حديثه عن العزّة)

% الفصل الرابع : (حقيقة العزّة ومصادرها ، وأنواعها ، ومجالاتها ، ومظاهرها ، ووسائلها ، وصفات أهلها ، وآثارها) ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : (حقيقة العزّة) .

المبحث الثاني : (أهمية التربية على العزّة) .

المبحث الثالث : (مصادر العزّة ، وأنواعها ، ومجالاتها ، ومظاهرها) .

المبحث الرابع : (وسائل تحقيق العزّة ، وصفات أهلها) .

المبحث الخامس : (آثار العزّة وثمراتها) .

% خاتمة البحث ، وفيها : نتائج البحث وتوصياته .

% (الفهارس التفصيلية) وتشتمل على الفهارس التالية :

- (1) (فهرس الآيات القرآنية) .
- (2) (فهرس الأحاديث النبوية) .
- (3) (فهرس الأشعار) .
- (4) (فهرس الأعلام) .
- (5) (ثبت المصادر والمراجع) .
- (6) (الفهرس التفصيلي) .

منهج البحث :

- (1) الاعتماد في البحث على كتاب الله وسنة رسوله * ، بدراسة الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة من النواحي اللغوية والبلاغية ، وذكر أقوال العلماء وفهمهم للنص ؛ قدر الجهد والاستطاعة .
- (2) كتابة الآيات القرآنية بخط المصحف الشريف (الخط العثماني) مرقومة مع ذكر اسم السورة في الحاشية .
- (3) تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها الأصلية ، بذكر المجلد والصفحة ، ثم رقم الحديث ، واسم الكتاب ، والباب .
- (4) إن كان الحديث مُخرَجًا في الصحيحين أو أحدهما ، فإني اكتفي بالإحالة إليهما أو أحدهما ، وأمّا إذا كان الحديث في غيرهما ، فيُذكر من رواه من أصحاب السنن أو المسانيد أو غيرهما من كتب السنة ، مع ذكر مَنْ صحَّ الحديث من السلف ؛ وإن لم يُوجد فمن الخلف المختصين بهذا الشأن .
- (5) حرصتُ على الجمع بين المراجع الأصلية للسلف الصالح المتمثلة في كتب تفسير القرآن بالمأثور وغيرها ، أو كتب أمهات الأحاديث الربوية ، أو بعض أمهات كتب الأخلاق الإسلامية ؛ وبين المراجع الحديثة التي تتعلق بالتفسير والآداب وغيرها .
- (6) يُذكرُ اسم الكتاب كاملاً مع اسم مؤلفه والجزء والصفحة عند أول ذكرٍ للكتاب ، ثم اكتفي بعد ذلك بذكر اسم الكتاب مختصراً أو نسبته لصاحبه ، والجزء والصفحة .
- (7) ترجمتُ في الحاشية للأعلام المذكورين في صلب الرسالة من غير المشتهرين من الصحابة ، وكذا المعاصرين وما في حكمهم ؛ من

أجل التعريف بهم وتميّزهم ، ومعرفة ما لهم من مؤلفات (ترجمة موجزة) .

(8) الرجوع إلى المعاجم اللغوية المختلفة في التعاريف اللغوية المذكورة في البحث .

(9) عزو الأقوال إلى أصحابها ، أو الإحالة إلى المصدر المقتبس منه .

(10) شرح الألفاظ الغريبة ، والتعليق على بعض المواضع عند الحاجة لذلك .

منهج البحث :

- استخدمتُ المنهج الإستنباطي ؛ القائم على دراسة النصوص القرآنية واستنباط مبادئ العزّة والكرامة وا لرفعة مدعّمة بالأدلة ، والتدليل عليها بكلام المفسرين .

- سرتُ في بحثي على المنهج التحليلي ؛ الذي يُحلل النصوص القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، من خلال كلام المفسرين وعلماء الحديث وغيرهم .

وأماً عن الصعوبات التي واجهتني في بحثي فهي من ثلاث جهات :

الجهة الأولى : من حيث المادة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع ، حيث كان العناية فيها واضحاً من ناحيتين :

الأولى : قلّة المراجع التي أعتمدُ عليها أو احتاجها في بحثي ، مما حداني للقراءة والاطلاع وربط الأفكار ثم الكتابة .

الثانية : صعوبة التوصل لموضوع العزّة أو ما يتعلق به ، وذلك لتفرقها في بطون كتب الأخلاق والأحاديث واللغة والبلاغة وغيره ا ، مما يُوجب النظر فيها قبل الأخذ منها ، فمثلاً : هناك من كتب الأخلاق من ذكر موضوع العزّة ومنهم من لم يذكره ، ومع ذلك هو موضوع داخل كتاب يحتوي موضوعات عدّة .

الجهة الثانية : السفر من أجل تحصيل بعض المراجع التي قد تفيد البحث ، أو لها تعلقٌ به ، وقد أكرمني الله في كل سفرٍ بمراجع مهمة في بحثي ولو كانت أسطراً معدودة .

الجهة الثالثة : الكتابة وسبك الجمل .

وبعد هذا ، فإنني لا أدعي الكمال ، فالكمال لله وحده ، والنق ص والخلل من شيمة بني الإنسان ، فإنّ العبد قليل الحيلة ، ضعيف الوسيلة ، ومن ذا العبد الذي يستغني عن خالقه ومولاه ، فاللهم إنّنا نبرئ إليك من حولنا وقوتنا إلى حولك وقوتك ، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

وحسبي أنّي اجتهدتُ وثابرتُ ، فما كان من شيءٍ استحسنَ في البحث
فنسبة الفضل فيه إلى المنعم ﷺ ، وما كان فيه من خطأ غير مقصودٍ فمن
نفسى المقصرة ، وأسأل الله أن يَغْفِرَ عني فيه .

وصلّى الله على سيدنا وحبیبنا وقدوتنا محمد ، وعلى آله وصحبه
وسلم.

✍️ وكتب :

وائل بن محمد علي جابر

حُرِّرَ في : 18 / 12 / 1429 هـ

بجوار بيت الله المعظم

الفصل الأول :

تعريف العزّة ومشتقاتها ومرادفاتها ومقابلاتها ،
والفرق بينها وبين الكبر

المبحث الأول :

تعريف العزّة

المبحث الثاني :

مشتقات العزّة ومرادفاتها ومقابلاتها

المبحث الثالث :

الفرق بين العزّة والكبر

المبحثُ الأولُ :
تَعْرِيفُ العِزَّةِ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : (تَعْرِيفُ العِزَّةِ لُغَةً)

المطلب الثاني : (تَعْرِيفُ العِزَّةِ اصْطِلَاحًا)

المطلب الأول

تَعْرِيفُ الْعِزَّةِ فِي اللُّغَةِ

العزّة لغةً : مصدر قولهم : عَزَّ يَعِزُّ عِزَّةً وَعِزًّا ، وذلك مأخوذاً من

مادة : (ع ز ز) (1) ، وجاء في تاج العروس : (عَزَّ الرَّجُلُ يَعِزُّ عِزًّا وَعِزَّةً ؛ إِذَا قَوِيَ بَعْدَ ذَلَّةٍ) (2) ، وقال الرازي (3) : (عَزَّ يَعِزُّ عِزًّا بِكسر العين فيهما _ ، و عَزَاةً بِالْفَتْحِ : فَهُوَ عَزِيزٌ ، أَي قَوِيَ بَعْدَ ذَلَّةٍ) (4) ، وقد يَأْتِي بِمَعْنَى الْقَلَّةِ وَالنُّدْرَةِ .

(وَيُقَالُ : عَزَّ يَعِزُّ بِالْفَتْحِ _ : إِذَا اشْتَدَّ) (5) ، وَيُقَالُ أَيْضًا : (عَزَّ يَعِزُّ عِزًّا _ كَمَدَّهُ _ : فَهَرَهُ وَغَلَبَهُ فِي الْمُعَاوَزَةِ ، أَي الْمُحَاجَّةِ) (6) ، ومنه قوله تعالى : + وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٣٣﴾ " (7) .

والعِزُّ خلافُ الدُّلِّ كما قال ابن منظور وغيره (8) ، وفي اللغة يأتي بعدّة معانٍ :

منها : (القُوَّةُ والشِدَّةُ ، والغَلَبَةُ ، والقَهْرُ) يقول ابن فارس (9) : (عَزَّ : العين والزاء : أصلٌ صحيحٌ واحدٌ ؛ يدلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ وما ضاهاهما ،

- (1) : انظر : (موسوعة نضرة النعيم) إعداد مجموعة من المتخصصين ، (2819 / 7) .
 (2) : (تاج العروس من جواهر القاموس) : لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني المشهور بمرتضى الزبيدي ، (219 / 15) .
 (3) : هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي نسبة إلى الرّي ، صاحب (مختار الصحاح) ، من كتبه : (روضة الفصاحة) و (شرح المقامات الحريرية) ، زار مصر والشام ثم رحل منها إلى قونية وكان بها سنة : (666 هـ) . (الأعلام) لخير الدين الزركلي ، (55 / 6) بتصرف .
 (4) : (مختار الصحاح) لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، (429) .
 (5) : (لسان العرب) لمحمد بن مكرم بن منظور الأفریقی المصري ، (229 / 6) .
 (6) : (تاج العروس) : (221 / 15) .
 (7) : [ص : 23] .
 (8) : (لسان العرب) : (228 / 6) ، (مختار الصحاح) : (429) . وابن منظور هو محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين الأنصاري ، صاحب (لسان العرب) : الإمام اللغوي الحجّة ، وُلِدَ بِمِصْرَ (وقيل : في طرابلس الغرب) ولي القضاء في طرابلس ، وعاد إلى مصر فتوفى فيها سنة (711 هـ) ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد . انظر (الأعلام) : (108 / 7) .
 (1) : هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين : من أئمة اللغة والأدب ، قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان . أصله من قزوين ، وأقام مدة في همدان ، ثم انتقل إلى الري فتوفى فيها ، وإليها نسبته ، من تصانيفه : (مقاييس اللغة) ، و (المجلد) ، توفي سنة (395 هـ) . انظر (الأعلام) : (193 / 1) ، وقزوين هي إحدى مدن جمهورية إيران ، تقع غرب مدينة طهران . انظر : (الأطلس الجغرافي الحديث) لمحمود عصام الميداني ، (83) .

من غلبة وقهر (1) ؛ ولذلك يُقالُ : رجلٌ عزيزٌ : أي منيعٌ لا يُغلبُ ولا يُقهرُ . وهذا هو الأصلُ من معناها ، كما قاله ابن منظور في ((اللسان)) (2)

وقال أيضاً : (وفي التنزيل العزيز : + أذلةً على المؤمنين أعزّة على

الكافرين " (3) : أي أشداء عليهم ، قال : وليس هو من عزّة النفس . وقال

ثعلب (4) : في الكلام الفصيح : [إذا عزّ أخوك فهن] ، أي : إذا تعظم أخوك شامخاً عليك فالزم له الهوان ، قال الأزهري (5) : المعنى : إذا غلبك وقهرك ولم تقاومه فتواضع له وداره ، فإن اضطرابك عليه يزيدك ذلاً وخبالاً .

والذي قاله ثعلب خطأ ، وإنما الكلام : إذا عزّ أخوك فهن _ بكسر الهاء _ معناه : إذا اشتدّ عليك فهن له وداره ، وهذا من مكارم الأخلاق ... (6) . ومن ذلك قول الشاعر :

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ
في كُلِّ نائبةٍ عزازُ الأنفِ (7)

والعزّة : القوة والغلبة (1) ، ومنه إطلاقُ صفة العزّة لله ﷻ ، قال ابن حجر (2) : (قال البيهقي (3) : العزّة تكون بمعنى القوة ، فترجعُ إلى

(2) : ((معجم مقاييس اللغة)) : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، (4 / 38) .

(3) : ((لسان العرب)) : (6 / 228) .

(4) : [المائدة : 54] .

(5) : هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني ، الإمام أبو العباس (ثعلب) ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، ولد سنة (200 هـ) ، صنف مصنفاتٍ منها : ((المصون في النحو)) ، ((معاني القرآن)) ، مات يوم السبت سنة (291 هـ) . ((بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)) لجلال الدين السيوطي ، (1 / 396 - 398) ، و((وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)) لأحمد بن محمد بن خلكان ، (1 / 102 - 104) .

(6) : هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور : أحد الأئمة في اللغة والأدب ، مولده ووفاته في هراة بخراسان . نسبته إلى جدّه (الأزهر) عني بالفقه فاشتهر به أولاً ، ثم غلب عليه التبحر في العربية . توفي سنة : 370 هـ . انظر : ((الأعلام)) للزركلي ، (5 / 311) .

(1) : انظر : ((لسان العرب)) : (6 / 229) .

(2) : ((المحكم والمحيط الأعظم)) : لعلي بن إسماعيل بن سيده ، (1 / 73) ، والبيت لأبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، أحد علماء اللغة ، والنسابة ، والرواة ، من أهل الكوفة ، توفي سنة (231 هـ) ، انظر ((الأعلام)) : (6 / 131) ، ونسب البيت إليه ابن منظور في ((اللسان)) : (1 / 246) .

معنى القدرة ، والذي يظهر أن مُراد البخاري بالترجمة : إثبات العزّة لله ؛
ردًا على من قال أنه : العزيز بلا عزّة ، كما قالوا العليم بلا علم (4) .

ومنها : (المغالبة) ، ومنه قوله تعالى : + وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٣٧﴾ (5)
أي : غلبني في المخاطبة والمخاصمة .

وقيل : مَنْ عَزَّ : بَزَّ ، أي مَنْ غَلَبَ : سَلَبَ (6) .

ومنها : (الامتناع) ، ومنه قولهم : أرضُ عَزَّازٍ _ بفتح أوله مُخَفَّفًا _
أي : صَلَبَةٌ . ومنه قول أبي كبير (7) :

حتى انتهيتُ إلى فِرَاشِ عَزِيْزَةٍ شَعِ وَاءَ ، رَوْتُهُ أَنْفَهَا كَالْمُخَصَّفِ

عنى عِقَابًا ، وجعلها عزيزة لامتناعها وسكناها أعالي الجبال (8) .

(3) : ((الصحاح في اللغة)) لإسماعيل بن حمّاد الجوهري ، (886) .
(4) : هو أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر :
من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ، وُلِع بالأدب
والشعر ثم أُقبل على الحديث ، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ ، وعلت له
شهرة فقصده الناس للأخذ عنه ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره . توفي سنة : (852 هـ) .
انظر ((الأعلام)) : (1 / 178) ، وقد ترجم له تلميذه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن
السخاوي _ 902 هـ _ ترجمة حافلة تقع في مجلدين كبيرين سمّاه ((الجواهر والدرر في ترجمة
شيخ الإسلام ابن حجر)) .

(5) : هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى ، الحافظ ، أبو بكر البيهقي
النيسابوري ، الخُسْرَجَرْدِي ، وخسروجرد (بضم الخاء المعجمة ، وسكون السين المهملة ، وفتح
الراء ، وسكون الواو ، وكسر الجيم ، وسكون الراء ، وفي آخرها الدال المهملة) : قرية من
ناحية بيهق _ من بلاد ما وراء النهر _ فقيه جليل ، حافظ كبير ، أصولي نحري ، زاهد ورع ،
قانتٌ لله ، وُلِد سنة (384 هـ) ، وتوفي سنة (458 هـ) . انظر ((طبقات الشافعية الكبرى))
لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، (8 / 4 - 16) ، طبقات
الفقهاء الشافعية)) لتقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح ، (1 /
332 - 336) .

(1) : ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، (13 / 457) .

(2) : [ص : 23] .

(3) : انظر كتاب : ((المفردات في غريب القرآن)) : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف
بالراغب الأصفهاني ، (2 / 433) ، والمثلُ في ((مجمع الأمثال)) لأبي الفضل أحمد بن
محمد النيسابوري الميداني ، (2 / 307) .

(4) : هو ثابت بن عبد شمس الهذلي . انظر : ((تاج العروس)) : (15 / 231) .

(5) : ((لسان العرب)) : (6 / 228) .

وقال طرفه (1) :

ولو حَضَرْتُهُ تَغْلِبُ ابْنَةُ وائِلٍ * لَكَانُوا لَهُ عِزًّا عَزِيزًا وَنَاصِرًا . (2)

ومنها : (الرفعَةُ) ، قال ابن منظور ر : (و العِزُّ و العِزَّةُ : الرفعَةُ ، والامتناع) (3) ، ومنه ما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه وهو في مقام الفخر والاعتزاز بقومه :

لنا حاضرٌ فَعَمٌّ وِبَادٍ كَأَنَّهُ شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وَتَكْرُمًا . (4)

والبيت من قصيدة له رضي الله عنه عدتها خمسة وثلاثون بيتاً (5) .

ومنها : (نفاضةُ القَدْرِ) وهو قريبٌ من معنى الرفعَة والعلو ؛ ولكنه أخصّ منه ، ومنه قول الله تعالى : + إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاتِبُ عَزِيزٌ ﴿٦﴾ " (6) .

ويذهب أبو سليمان الخطابي (1) إلى حصر العزّة في معان ثلاثة :

(6) : هو (طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل ، شاعر جاهلي ، يكنى أبا عمرو ، وهو المعروف بابن العشرين ؛ لأنه قتل وهو ابن عشرين عاماً) . انظر ((الأعلام)) : (225 / 3) ، وانظر ((معجم المؤلفين)) لعمر رضا كحالة : (14 / 2) ، و((اللآلي في شرح أمالي القالي)) : للوزير أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأونبي ، (319 / 1) .

(1) : ((لسان العرب)) : (228 / 6) .

(2) : ((لسان العرب)) : (228 / 6) .

(3) : ((الأغاني)) لأبي الفرج علي بن الحسن الأصبهاني : (373 / 21) ، و ((شرح ديوان حسان بن ثابت)) لعبد الرحمن البرقوقي ، (423) ، و ((الحيوان)) لعمر بن بحر بن محبوب (الجاحظ) ، (148 / 7) .

(4) : انظر : ((خزنة الأدب)) لعبد القادر بن عمر البغدادي ، (116 / 8) . ومراد البيت : أنّه رضي الله عنه يفتخر بما لقومه من مكارم أخلاق وأمجاد وسؤدد ، سواء منهم من يسكن الحاضر ر ومن يحلّ البادية ، أما حاضرهم فهو مُمتلئٌ بالأمجاد ، وأمّا باديهم فإنه مُنصفٌ بالعزّة وكرم النفس .

وهذا الفعل يُسمى : تشبيهاً عند البلاغيين ؛ لأنه عقد مُماثلة بين شبيئين : (شماریخ رضوى) وهو المشبه به ، وبين الهاء العائدة على (باديهم) وهو المشبه ، معتمداً في ذلك على أداة تُفيد معنى المماثلة ، وهي (كأنَّ) ، أمّا الصفة المشتركة وهي العزّة والتكرم ، فتسمى : وجه الشبه .

(1) : [فصلت : 41] .

المعنى الأول : الغلبة ، ومنه قولهم : من عَزَّ ؛ بَزَّ ، أي من غلب سلب ، يُقال منه : عز يَعُزُّ _ بضم العين _ من يعز ، ومنه قوله تعالى : + وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ " (2) .

المعنى الثاني : بمعنى الشدة والقوة ، ويقال منه : عز يَعُزُّ _ بفتح العين _ من يفعل .

المعنى الثالث : أن يكون بمعنى **نفاة القدر** ، يُقال منه : عزّ الشيء يعزُّ _ بكسر العين _ من يعز (3) .

والملاحظ من حَصْر الخطابي للعزّة في هذه المعاني الثلاثة : أنها معانٍ أصلية جامعة لجميع معاني العزّة ، وغيرها تابعة لها ، والله أعلم .

ومنها : (معنى القلة) ، كقولهم : شاء عزوز ؛ إذا قلّ لبنؤها .

ومنه قول المحدثين (4) : حديثٌ عزيز ؛ أي : عزّ وجوده ، دلالة على الندرة والقلة ؛ لأنّ العزيز لغةٌ : صفةٌ مشبّهة على وزن فعيل من عزّ الشيء يَعُزُّ _ بكسر العين _ عزاً وعزازة : إذا قلّ بحيث لا يكاد يوجد ، أو من عزّ يَعُزُّ _ بفتح العين _ : إذا اشتدّ وقوي .

وسُمي العزيز بذلك : إمّا لقلة وجوده ونُدْرته ، وإما لكونه عزّ ، أي : قوي بمجيئه بعينه من طريق آخر (5) .

(1) : هو حَمَد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب البُسْتِي ، الفقيه الأديب ، صاحب ((معالم السنن)) ، و ((غريب الحديث)) وغير ذلك ، توفي سنة (388 هـ) ، وكان علامة محققاً . ((العِبْرُ فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ)) لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، (2 / 174) بتصرف .

(2) : [ص : 23] .

(3) : ((المحكم والمحيط الأعظم)) : (1 / 434) .

(4) : انظر كتاب ((تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي)) لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي : (2 / 632) ، و ((شرح ألفية العراقي)) لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (331) ، و ((فتح المغيبي شرح ألفية الحديث)) لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، (3 / 31) ، النوع الحادي والثلاثون ، و ((بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب)) لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، (189) ، وانظر ((شرح موقظة الذهبي)) للدكتور : الشريف حاتم بن عارف العوني ، (121) ، و ((شرح نزهة النظر)) للدكتور : الشريف حاتم بن عارف العوني ، (71 ، 72) .

(1) : ((موسوعة علوم الحديث الشريف)) لنخبة من الأساتذة المتخصصين ، (518) .

وهذا (اعتباراً بما قيل : كلُّ موجودٍ مَمْلُولٍ ، وكلُّ مفقودٍ مطلوبٍ ،
وقوله : + وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ " (1) : أي يصعبُ مناله ، ووجود مثله) (2) .

وجاء في ((السنن)) (3) قال كُليبٌ 4: كُنَّا مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ
النبي ✕ يُقَالُ لَهُ مُجَاشِعٌ ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، فَعَزَّتْ الْعَنَمُ ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ✕ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ الْجَدْعَ يُوقِي مِمَّا يُوقِي مِنْهُ النَّبِيُّ » ، قَالَ
أَبُو دَاوُدَ وَهُوَ مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ (5) .

قال محمد شمس الحق (6) : (فعزّت الغنم) : قال في القاموس : عزّ
عزّ الشيء : قل ، فلا يكاد يُوجد ، فهو عزيز (7) .

ومنها : (الصعوبة والمشقة) ، يُقَالُ : عزّ على نفسي غيابك ، أي صعّب

، ومنه قوله ﷺ : + عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ " (8) ، (أي شاقٌّ شديدٌ عليه
عنتكم ، ولقاؤكم المكروه) (9) . ومنه قول المتنبي (1) وهو يُعِيبُ اتب سيفَ
الدولة :

(2) : [فصلت : 41] .

(3) : انظر : ((المفردات)) : (433 / 2) .

(4) : ((السنن)) لأبي داود ، (360 / 3) ، برقم (2792) في كتاب : (الأضاحي) ، باب
ما يَجُوزُ مِنَ السِّنِّ فِي الضَّحَايَا ، وأخرجه ابن ماجة في ((سننه)) : (537 / 3) ، برقم (3140)
في كتاب : (الأضاحي) ، باب ما تُجزئُ من الأضاحي ، من طريق محمد بن يحيى به
، وصححه الحاكم في ((المستدرک)) برقم : (7619) ، (352 / 4) في كتاب : (الأضاحي)
(، وتبعه الألباني ، انظر ((إرواء الغليل)) : (359 / 4) .

(5) : هو كليب بن شهاب بن المجنون الجرمي ، ذكر ابن عبد البر وغيره بأن له صحبة ، ولكن
ابن حجر بيّن أنه من كبار التابعين . انظر : ((تهذيب التهذيب)) : (388 / 8) .

(6) : مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن عائذ بن ربيعة السلمية ، قال البخاري وغيره : له
صحبة ، وله رواية في الصحيحين وغيرهما ، روى عنه أبو عثمان النهدي ، وكليب بن شهاب ،
وأبو ساسان الرقاشي ، وعبد الملك بن عمير ، وغيرهم ، وذكر الذهبي أنه قُتل في موقعة الجمل
عام (36هـ) . ((الإصابة في تمييز الصحابة)) لأحمد بن علي بن حجر ، (511 / 9 - 513)
بتصرف ، و ((العبر في خبر من غبر)) : (27 / 1) .

(1) : هو أبو الطيب ، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي ، علامة
بالحديث ، هندي ، وله كتبٌ منها : ((عون المعبود)) ، توفي بعد عام : 1310 هـ . ((الأعلام)) :
(39 / 6) بتصرف .

(2) : ((عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح ابن القيم عليه)) لأبي الطيب ، محمد
أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم آبادي ، (356 / 7) .

(3) : [التوبة : 128] .

(4) : ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)) لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ،
(2م ، ج 4 / 114) .

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ (وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ)²

من عَزَّ يَعِزُّ عِزًّا : أي يا مَنْ يَصْعُبُ عَلَيْنَا فِرَاقَهُمْ .

ومنها : (أنها قد تستعار للحميّة والألفة المذمومة ؛ فيُوصَفُ بها الكافرُ والفاسقُ ، ومنه قوله تعالى : + أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴿٣٦﴾ " (3) (4) ، وفي الآية الأخرى : + بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٥١﴾ " (5) .

وهذه العزّة المزعومة ما هي إلا تعزّز بالباطل بغير حق ؛ لأن مصدر العزّة الحقيقية الباقية من الله ﷻ ، ومصدر التعزّز الفاني من غيره .

وقد جاء في الحديث : أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها : « هل تدريين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة ؟ ! » قالت : لا ، قال : « تعزّزاً أن لا يدخلها إلا مَنْ أرادوا » (6) . أي : تكبّراً وتشدّداً على الناس (7) .
ومنها : (العظمة) : وهو من المعاني المعنوية للعلو كالرفعة ، ومنه قوله تعالى على لسان إبليس : + قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٠﴾ " (8) .

(5) : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي : الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ، له الأمثال السائرة ، والحكم البالغة ، والمعاني المبتكرة وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين ، ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته ، توفي مقتولاً وهو في طريقه إلى بغداد سنة (354هـ) . ((الأعلام)) : (1 / 115) .
(6) : ((شرح ديوان أبي الطيب المتنبي)) المسمى بـ ((التبيان)) ، لأبي البقاء العكبري ، (2م ، ج 3 / 370) .

(1) : [البقرة : 206] .
(2) : ((روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)) لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (م 1 ، ج 2 / 96) ، و كتاب : ((فتح الباري)) : (13 / 457) .
(3) : [ص : 2] .

(4) : الحديث أخرجه مسلمٌ في ((صحيحه)) : (2 / 790) ، برقم (1333) ، في كتاب : (الحج) ، باب نَقْضِ الكَعْبَةِ وَبِنَائِهَا ، وابن خزيمة في ((صحيحه)) : (4 / 223) في باب : (ذكر الدليل على صحة ما تأولت قول بن عباس ، والبيان أن بعض الحجر من البيت لا جميعه) ، برقم : (2741) .

(5) : ((لسان العرب)) : (6 / 228) .

(6) : [ص : 82] .

وذكر الله ﷻ عن سحرة فرعون أنهم التجّأوا واعتزّوا بعظمة فرعون حين خاضوا معركة التّح دي مع موسى ﷺ ، فقال : **فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ** ﴿٤٠﴾ " (1) .

ومنها : (الكرامة) : فيقال هذا رجلٌ عزيزٌ النفس : أي صاحبُ كرامةٍ ، ويسعى في تحقيقها على نفسه ، وإلقاء الذلِّ عن عاتقها ، والله أعلم . ويقال أيضاً : (وأعزه الله ، وعزّزتُ عليه : كرمْتُ عليه) (2) .

كما قد تُطلق العزّة على (الشرف) ، قال علي ابن سيده (3) : (واعتزّ به وتعزّز : تشرّف) (4) .

والذي يظهر أنّ تفسير ابن سيده للعزّة بعيد عن أصل العزّة لكونها لا ترجع إلى هذا الأصل ؛ إذ أنّ الشرف : هو التشوف إلى الشرف ، والعزّة فيها معنى القوة والرفعة ، ولكن قد يكون هذا الارتباط من بعيدٍ ، كأن يُقال : بأنّ العزّة طريقٌ من الطرق الموصلة إلى الشرف ؛ لأن شرف الإنسان وكرامته تتحقق بأمور ، منها : العزّة ، والله أعلم .

ومنها : (الكرم) : قال ابن منظور في ((اللسان)) : (وأعزّزته : أكرّمته وأحبّيته) (5) .

ويلاحظ من خلال مثال ابن منظور السابق : أنّ لفظ الكرم مصطلحٌ اكتسبه لفظ العزّة ، فهو ليس أصيلاً في معنى العزّة لغةً ، والله أعلم .

(7) : [الشعراء : 44] .

(1) : ((لسان العرب)) : (228 / 6) .

(2) : هو الإمام (علي بن إسماعيل يعرف بابن سيده ، من أهل مُرسيّة ، يكنى أبا الحسن ، وله تأليف حسان ، وكان أعمى ابن أعمى ، وذكره الحميدي وقال : إنه إمام في اللغة العربية حافظاً ، مات قريباً من سنة ستين وأربعمئة) . ((الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)) لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، (299) بتصرف ، وانظر كتاب : ((البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة)) ، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، (148) . وانظر ضبط اللفظة (مُرسيّة) في ((تاريخ علماء الأندلس)) لابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ، (122 / 1) .

(3) : ((المحكم والمحيط الأعظم)) : (72 / 1) .

(4) : ((لسان العرب)) : (228 / 6) .

وقد ذكر الراغب الأصفهاني (1) وغيره : أكثر من ثمانية معانٍ للعزّة (2) ؛ ذكرت في هذا المبحث مدمجة .



(1) : هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب : أديب ، من الحكماء العلماء ، من أهل (أصبهان) سكن بغداد ، واشتهر ، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي . من كتبه : ((محاضرات الأدباء)) ، و ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) ، و ((الأخلاق)) ويسمى ((أخلاق الراغب)) ، و ((جامع التفاسير)) ، توفي سنة (502 هـ) . ((الأعلام)) : (2 / 255) بتصريف .
 (2) : انظر : ((المفردات)) : (2 / 432 ، 433) ، و ((لسان العرب)) : (6 / 227 - 231) .

خلاصة المطلب

والذي يُستخلص ممّا تقدم ، أنه يُمكن حصر العزّة في معانٍ لغويةٍ ثلاثٍ _ هي أصيلة في معناها ، وغيرها تابعة لها ، أو خارجة عن المعنى الأصلي _ :

المعنى الأول : (القوة والشدة) : ويندرج تحته من باب اللزوم (الغلبة) _ ومنه : المغالبة _ والقهر) ؛ لأنّ نتيجة القوة والشدة تستلزم الغلبة والقهر ، فمن كان عزيزاً قوياً ، يستلزم منه أن لا يُغلب ولا يُقهر ؛ لقوته وشدّته .

المعنى الثاني : (الرفعة) : لِمَا يُوحى إليه لفظ العزّة من معنى عند النطق به ؛ شأنه شأن القوة والشدة ، ومنه (نفاسة القدر) ؛ لأنّ الشيء المعتزّ به نفيس القدر ، فالقرآن نفيس القدر لذلك نعتزّ به ؛ فعندما نقول : كتاب الله عزيز عندنا ، أي نفيس القدر عندنا ، فهو من باب النسبة ، والله أعلم ، ومنه قوله تعالى : + إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ " (1) .

ويدخل في ذلك لفظ (العظمة) كالرفعة ، وهو مذكور في القرآن .

المعنى الثالث : (الامتناع) : وقد ورد معناه في القرآن والسنة ولسان العرب ، ومن ذلك : قوله ﷻ : + أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ﴿١٣٩﴾ " (2) ، أي : أيبتغون عندهم المنعة ، والله تعالى أعلم .

(1) : [فصلت : 41] .

(2) : [النساء : 139] .

المطلب الثاني

تَعْرِيفُ الْعِزَّةِ اصْطِلَاحًا

يدور تعريف العزّة في مُجمله على تعريف الراغب الأصفهاني الذي أبدع في وصف معنى العزّة _ وهو يستحقّ بذلك أن يكون أولى التعاريف بالأخذ والاستدلال _ ؛ ولكن ثمة تعاريف أخرى لجلال الدين أبي بكر السيوطي ، والحرّالي ، سنذكرُ بعد تعريف الراغب وذكر قيوده ، فيما يلي :

العزّة اصطلاحاً : قال الراغب الأصفهاني : (العزّة : حالة مانعة

للإنسان من أن يغلب) (1) . وعليه : ففي تعريف الراغب قيودٌ :

التقيد الأول : أنها حالة ، والحالة وصفٌ مُنبعثٌ من داخل النفس

البشريّة ، فهي تُنسبُ إليها في الأصل ، كالأحاساس الداخلي الذي يشعرُ به الإنسان فيملأ القلب والنفس بالإباء ، والرفعة ، والاستعلاء ، وعدم الرضا بالضم ، والثورة على كلّ ما يُذلّ النفس ويُهينها .

بخلاف الهيئة : فهي وصفٌ يختصُّ بالحركات الظاهرة دون الباطنة _ غالباً ؛ ولذلك لو قال ابنُ أبيه : هناك طارقٌ في باب البيت يُريدك ، فقال الأب لابنه : وكيف هي صفته وهيئته ؟ أي : أنه يسأل عن هيئته وملامحه الخارجية _ ، وعليه : تكون الحالة أعم من الهيئة _ والله أعلم _ ، وعلى كلّ : فالأمر واسعٌ ما دام أنه يتعلق بالمصطلحات .

ويُستفاد من كلام صاحب ((الظلال)) : أن العزّة حالة ؛ حيث وصفها بقوله : (والعزّة الصحيحة : حقيقة تستقرُّ في القلب قبل أن يكون لها مظهرٌ في دنيا الناس) (2) .

فحقيقة العزّة أنّها حالة تُصدرُ من القلب حال كون القلب متأثراً بها ، ومن ثمّ تكون الأقوال والأفعال الظاهرة تبعاً لما يحصل في قلب صاحبها ، فلن يقوم قائم العزّة عند أحدٍ حتى يتحرّك قلبه ونفسه بها ، ومن ثمّ ظاهره .

والحالة هذه لا بدّ وأن تكون معنوية ، وقد يدخل في معنى العزّة أن تكون هذه الحالة محسوسة ؛ ولكنها تبعٌ للمعنوية ، فهي الدافعة لها .

التقيد الثاني : أن تكون هذه الحالة موصوفة بصفة المنع والمدافعة .

(1) : ((المفردات)) : (2 / 432) ، وانظر كتاب ((بصائر ذو التمييز)) لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، (4 / 61) .

(2) : ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب ، (5 / 2930) .

فقوله : (مانعة للإنسان) : أي دافعة وراثة للنفس الإنسانية في وقت واحد .

والإنسان : اسم جنس ، فيعم كل إنسان ؛ سواءً أكان ذكراً أو أنثى ، كبيراً أو صغيراً .

ومعلوم : أن المدافعة تكون بين طرفين ، أو أمرين ، أو فكرتين ... ، كمن تُدافعُ نفسه بين فعل المعصية وتركها ؛ فعندها : تظهر عِزّة النفس البشرية عندما تُدافع ما يُقابل هذه العزّة ، وهذه صورة من صور العزّة (1) .

وهذه المدافعة مَحمودة بمدح المولى لها في القرآن الكريم حيث قال **﴿ كَلِمَاتٍ ﴾** : **﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾** (2) ،

حيث مدحهم بوصفين : الهداية والإحسان ، ومن المعلوم أن مقام الإحسان أعلى مراتب الدين الثلاثة ، كما نوه إلى ذلك ابن قيم الجوزية في كتابه ((مدارج السالكين)) (3) ؛ حيث قال : (وجعل النبي x إحسان العبودية أعلى مراتب الدين ؛ فقال في حديث جبريل **﴿ كَلِمَاتٍ ﴾** وقد سأله عن الإحسان : « .. أن تُعْبَدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ .. » (4) .

(والحاصل أن الإحسان هو : مراعاة الخشوع والخضوع وما في معناهما في العبادة ، على وجه مراعاته لو كان رائياً) (5) ، وهذه المراعاة المذكورة لن تتم إلا بإعمال المدافعة والمجاهدة .

وعلى ذلك : فإن من جاهد نفسه ودافعها دفاع المستميت ، وروّضها على فعل الطاعات والمستحبات ، وكبح جماح شهواتها عن الحرام والمكروه ، وترك كثير من المباحات : نال الإحسان .

التقيد الثالث : أن تكون هذه المدافعة من أجل شيئين _ غَالِبًا _ أو أحدهما :

(1) : وسيأتي الحديث عن صورها في المبحث القادم _ إن شاء الله تعالى _ ؛ وإنما أردتُ هنا التمثيل فقط .

(2) : [العنكبوت : 69] .

(1) : ((مدارج السالكين)) : (1 / 124) .

(2) : الحديث سبق تخريجه في ص : (13) .

(3) : ((فتح الملهم شرح صحيح مسلم)) لفضل الله شبير أحمد العثماني ، (1 / 168) .

الأول : الفرارُ من الانهزامية ، وأن تُوصَفَ النفسُ بها .

الثاني : أو لأجل الافتخار والاعتزاز بها من دون خيلاءٍ وكِبَرٍ .

لأنَّ النفسَ الأبيّةَ لا تُحِبُّ أن تُوصَفَ بالانهزامية والدُونيّة في كل الميادين ، وشئى المستويات ، كما أنها لا ترضى أن يفوتها وصفٌ حسنٌ كريمٌ تُذكَرُ به وتُعرف .

وذلك هو المعنى المراد من قوله : (مِنْ أَنْ يُغْلَبَ) : أي من أن يُهزم ويُوسم بالانهزامية وعدم الانتصار ؛ سواءً أكان ذلك الانهزام حسياً أو معنوياً .

وهذه الحالة التي تجعل صاحبها يَأبى الهزيمة والذل والهوان ؛ تستلزم وجود القوة والشدة فيه ؛ لأنه لن يستطيع المقاومة والمدافعة .

وهذه القوة قد تُطلب في المرء من جهات ، وكلّ جهة لها مجالها ، فالقوة قد تكون حسية ؛ فمجالها حينئذٍ : الجهاد في سبيل الله ﷻ ، وإعداد العدة له ، والدفاع عن النفس والعرض والمال .

وقد تكون القوة معنوية ؛ فمجالها حينئذٍ : تحقيق الإيمان بالله أولاً ، والتيقن بموعوده ، وطلب العلم الشرعي بنية التقرب إلى الله ﷻ ، وتحقيق كمال النفس البشرية بالأخلاق الحسنة التي تكون بها العزّة .

وقد تكون القوة مشتركة بينهما ؛ فيكون مجالها : في إنفاق المال ، وتربية النفس على العبادات .

فكلما اجتمعت هذه القوى أكثر ؛ كانت قوة صاح بها أعظم ، وقد كان للنبي ✕ في ذلك القِدْحُ المعلى .

فقد كان إيمانه ويقينه بالله ﷻ مصدر قوته ، وصيامه وقيامه وإنفاقه زاده في شدّته ، وجهاده للكفار والمنافقين كانت عظمته وعزّته .

وخلاصة القول هنا : إنّ كل ما يُحقّق للمؤمن العزّة _ ممّا هو مباحٌ شرعاً وعرفاً _ : يَجِبُ تحصيله ، من تجارةٍ ، وتربيةٍ ، وعبادةٍ ، وعلمٍ ، وعملٍ ... الخ ؛ لأنّ تحقيق كمال النفس البشرية من شتى الجوانب مطلبٌ مهمٌ يُوصل إلى الطريق التي تكون بها عزّة المؤمن .

فالعزّة : هي اعتزاز بقيم الإسلام ، وتتمثل بالموازنة التي ذكرها الله ﷻ : + ... أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... " (1) .

فهذه فيودُ ثلاثة ، دُكرت في تعريفِ الراغبِ الأصفهاني في كتابه : ((المفردات)) .

وثمة تعاريفُ أخرى للعزّة ذكرها العلماء ؛ حيث ذكر الإمام السيوطي تعريفين للعزّة غير تعريفِ الراغب ؛ لكنهما بمعنى واحد ، فهي من باب تعدّد اللفظ والمعنى واحد .

قال السيوطي في ((معجم مقاليد العلوم)) (2) :

(العزّة : التّأبّي عن حملِ المذلّة ، وقيل : التّرفّع عما تلحقه غضاضة) (3) .

فكأنّ الأول بمعنى عدم رضا النفس الأبيّة عن فعل ما يسمّها بالذلّ ويحطّ من قدرها ، وكأنّ الثاني بمعنى حماية النفس من أن يلحقها أي منقصة ؛ سواءً أكانت مذلّة له أو منقصة للهيبه .

(1) : [الفتح : 29] .

(2) : هذا الكتاب في نسبه للإمام جلال الدين السيوطي شكّ ، بل إن الجزم يتأكد إلى أن هذا الكتاب ليس من عمل جلال الدين السيوطي ؛ لسببين :

السبب الأول : لأن من القواعد المشتهرة عند أولي ال نظر : [إرجاعُ المُشْتَبِه إلى المعروف من حَالِ المُصنّف] وهذا قريبٌ منه ؛ لأن الحال المعروف عن السيوطي هو : التوسع في التعبير ، وفي نقل العبارة ، وأمّا كتاب ((معجم مقاليد العلوم)) فإنه مختصر جداً ، والاختصار ليس ديدناً له في كتبه .

السبب الثاني : ترجيح أ.د/ محمد إبراهيم عبادة (أستاذ الدراسات اللغوية بالإسكندرية) محقق الكتاب : أنه منسوبٌ إليه نسبة الخطأ ، وغلب على ظنه أنه لمحمد بن الحسن السيوطي ، المتوفى سنة (808 هـ) ، وعلى كلّ : فقد ذكر أدلة كثيرة تقطع بالجزم أن الكتاب سواءً أكان لشمس الدين محمد أم لغيره ؛ فإنه ليس من عمل جلال الدين السيوطي . راجع مقدمة تحقيق المعجم (ص 6 – 12) .

(3) : ((معجم مقاليد العلوم)) : (203) ، برقم : (1675) .

و لفظ (غضاضة) من معانيه : الخفض _ هذا في الأصل _ ، والمقصود به هنا : (النقص) ، يقول صاحب : ((المصباح المنير)) أحمد بن محمد الفيومي (232) : (غضّ الرجل صوته و طرفه ، و من طرفه ومن صوته ، غضا من باب : قتل خفض ، ومنه يقال : غض من فلان غضا و غضاضة : = إذا تنقصه ، و الغضضة : النقصان ، و غضضت السقاء : نقصته) ، وقال في ((مختار الصحاح)) : (199 / 1) : (و غض منه : وضع ونقص من قدره ، وبابه رد ، ويقال ليس عليه في هذا الأمر غضاضة : أي ذلة ومنقصة) .

وقد عرفها الحرّالي⁽¹⁾ بأنها : الغلبة الآتية على كنيّة الباطن والظاهر (2) ؛ ولكنّ قصد تعريف العزّة المتعلقة بالله ﷻ .

(التعريف المختار) :

والذي يتضح من خلال تعريف الإمام الراغب السابق : أنّه أعمّ وأشمل مع اختصاره ، فهو حدُّ جامع مانع للعزّة ؛ لسببين :

السبب الأول : لأنه اشتمل على القيود الثلاثة السابقة الذّكر .

السبب الثاني : كون ألفاظه كانت غاية في الدقّة من حيث ذكّر العموم ، ليدخل فيها أمران :

الأمر الأول : الحالة التي تعترّي الإنسان مع نفسه ، ولها صور كثيرة ؛ منها : كونه يمتنع من فعل المعصية خوفاً من الله تعالى لكي يُحقق التقوى ، ومن ثمّ يستجلب صفة العزّة من هذا الطريق المشروع ؛ لأن امتثال أمر الله في اجتناب المعاصي طاعة له ﷻ ، والعزّة لا تُنال إلاّ بذلك .

الأمر الثاني : الحالة التي تعترّي الإنسان مع غيره ، ولها صور مع المسلمين وغيرهم .

فعزّة المرء مع غيره من المسلمين تظهر بالتذلل لهم ، وحفظ الألسن من الوقوع في أعراضهم ، وعدم ظلمهم ، أو إظهار ما يشينه ويزدرية أمامهم .

وعزّة المسلم مع الكافر (الذمّي) تظهر في : دعوته إلى الإسلام والتي هي أحسن ، مع عدم الركون لشيءٍ ممّا في حوزّته ، ممّا له تعلقٌ بالعقيدة ، أو الرضا بشيء من ذلك ؛ لأنّ عزّة المسلم مستمدة من الله ﷻ .

(1) : قال الداوودي : هو علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الإمام أبو الحسن الحرّالي الأندلسي ، وحرّالة من أعمال مرسية . قال الذهبي : ولد بمراكش ، وأخذ العربية عن ابن خروف ، وحجّ ، ولقي العلماء ، وجال في البلاد ، وشارك في عدّة فنون ، ومال إلى النظريات وعلم الكلام ، مات سنة سبع وثلاثين وستمئة للهجرة . ((طبقات المفسرين)) لمحمد بن علي الداوودي ، (268) ، وانظر ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي ، (47 / 23) .

(2) : انظر كتاب : ((التوقيف على مهمات التعاريف)) لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، (512) ، و ((نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)) لإبراهيم بن عمر البقاعي ، (162 / 2) .

ومن مقتضيات هذه العزّة : الرحمة بالآخر والرفق به ، ومن ذلك : قصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عمرو بن العاص رضي الله عنه حينما سبق ابن القبطي ابن عمرو ، فضرب ابن عمرو ابن القبطي ، فسمع بها عمر فدعا عمرو وضرب ابنه وقال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً (1) .

وعزّة المسلم مع الكافر (المحارب) تظهر في : دعوته إلى الإسلام أولاً ، ثم إرغامه على دفع الجزية ، أو قتاله ومُحاربتَه _ هذا في الأصل _ ؛ وإلاّ فواقع المسلمين اليوم من الضعف والخور والذلّ والهوان لا ينطبق عليه هذا الأصل ؛ لأنّ أكثر بلاد الكفار اليوم بيننا وبينهم عهدٌ وميثاق ، وما بقي لنا إلاّ دفع الصائل ، والدفاع عن الحرمات والأوطان .

ولكن الواضح من تعريف الراغب أنّه تعريف لعموم العزّة ، وأمّا تعريف العزّة في القرآن الكريم فهي :

(حالةٌ قلبيةٌ تدفعه نحو القوّة والشجاعة ومعالي الأمور ، وتمنعه من قبول المذلة ، وتكون هذه الحالة مُستمدّةً من الله تعالى ، ومن أجله تعالى) .

فعلهم من ذلك : أنّ العزّة ليست كبراً ، وإنّما هي موازنة بين طرفين ، فهي حكمة الدين ، واكتمال شخصية المسلم ونضوجها ، وهي شعورٌ يبعث على الاعتزاز بالدين ، وما دعا إليه من قيمٍ وأخلاق والثبات عليها ، وتطبيقها في ذات المرء ، والتعامل مع غير المسلم بحسب موقفه من الإسلام ؛ كل ذلك في صورة من الإحسان والرحمة والرفق ، فسميّة الإسلام العامة : هي الرحمة مع القريب والبعيد ، مع الكافر والمسلم ، ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن الرحمة : تنازل عن الثوابت أو المساومة عليها ؛ وإنما هي رحمة القوي ، فالإسلام هو القوّة ، والمؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف .

وعلى كلّ ؛ فقد ظهر ممّا سبق معنى العزّة اصطلاحاً ، وأنه يشتمل على قيودٍ ثلاثة ؛ فإذا توفرت تلك القيود : صحّت التسمية حينئذٍ .

(1) : انظر كتاب : ((فتوح مصر والمغرب)) لابن عبد الحكم (195) ، ((حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة)) لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (1 / 578) عند ذكره لأمرء مصر .



أولاً : (مشتقات العزّة) :

ذكر علماء اللغة مشتقات للعزة ، وفيما يلي استعراضٌ لبعض مشتقاتها :

(1) (العزيز) : وهو اسمٌ من أسماء الله ﷻ ، وصفةٌ من صفاته العُلى ، ومعناه : (الغالب الذي لا يُقهر) (1) .

وقد بيّن الرازي في ((التفسير الكبير)) (2) أنّ اسم العزيز يُطلق على أحد معنيين ؛ حيث قال : (العَزِيزُ : إما الذي لا يُوجد له نظير ، وإما الغالب القاهر) ومن هذا المنطلق يُقال : (رجلٌ عَزِيزٌ : مَنِيعٌ لا يُغلب ولا يُقهر) (3) .

وقد ورد لفظ العزيز في القرآن كثيراً ، ومن ذلك : + إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ (4) ، وكانت العرب تعرف ما لهذا الاسم من معنى عظيم ؛ لذا كانوا يستعملون هذه اللفظة في أشعارهم ، ومن ذلك : أبياتٌ قالها حمزة بن عبد المطلب ﷺ في هذا الاسم (5) :

حَمَدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فُؤَادِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالدِّينِ الْحَنِيفِ
لِدِينِ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ خَبِيرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ

(2) (الْمُعِزُّ) : وهو اسمٌ من أسماء الله ﷻ ، ومعناه : الذي يَهَبُ العزَّةَ لمن يشاء من عباده (6) ، وقد وردَ مرَّةً واحدةً في القرآن الكريم على صيغة المضارع : + قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

(1) : ((المعجم الوسيط)) تأليف : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، (598 / 2) .

(2) : ((التفسير الكبير)) : (255 / 29) .

(3) : ((تاج العروس)) : (232 / 15) .

(4) : [البقرة : 129] .

(5) : ((الوافي بالوفيات)) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفي ، (104 / 13) .

(6) : ((المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى)) لأبي حامد محمد الغزالي (89

، و ((لسان العرب)) : (228 / 6) .

الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

(3) (أَعَزُّ) : من العزيز ، وقد ورد مرتين في القرآن الكريم في سورة هود والكهف (2)؛ وورد في السنّة المطهرة ، وعلى لسان الشعراء ، ومن ذلك : ما مدّح به الشاعر المشهور أسامة بن منقذ الكناني الشيزري (3) ؛ صلاح الدين الأيوبي (4) في قصيدة طويلة (5) ، وفيها :

يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ حِينَ تَخَاذَلْتُمْ عَنْهُ الْمُلُوكُ وَمَظْهَرِ الْإِيمَانِ
بِكَ قَدْ أَعَزَّ اللَّهُ حِزْبَ جُنُودِهِ وَأَذَلَّ حِزْبَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ

(4) (الأَعَزُّ) : وقد ورد مرّة واحدة في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : + يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ .

قال الطبري (7) : (ويعني بالأعزّ : الأشدّ والأقوى) (1) .

(2) : [آل عمران : 26] .
(3) : [هود : 92] ، و [الكهف : 34] .
(4) : هو ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبى الشيزري ، أبو المظفر ، مؤيد الدولة : أمير ، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (بقرب حماة من جهة الشمال) ، وهو من العلماء الشجعان ، له تصانيف في الأدب والتاريخ ، منها : ((لباب الآداب)) و ((البديع في نقد الشعر)) و ((المنازل والديار)) ، وقاد عدّة حملات على الصليبيين في فلسطين ، وعاد إلى دمشق ، ثم برحها إلى حصن كفي في أفاق إلى أن ملك السلطان صلاح الدين دمشق ، فدعاه السلطان إليه ، فأجابه وقد تجاوز الثمانين ، فمات في دمشق سنة (584 هـ) . ((الأعلام)) : (1 / 291) بتصرف .

(5) : هو يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر ، صلاح الدين الأيوبي ، الملقب بالملك الناصر : من أشهر ملوك الإسلام ، كان أبوه وأهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان) وهم بطن من الروادية ، من قبيلة الهذانية من الأكراد ، نزلوا بتكريت ، وولد بها صلاح الدين ، ثم ولي أبوه (أيوب) أعمالاً في بغداد والموصل ودمشق ، ونشأ هو في دمشق ، وتفقّه وتأدّب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية ، وحدث في القدس توفي سنة (589 هـ) . ((الأعلام)) : (8 / 220) بتصرف .

(6) : ((العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين)) للدكتور : أبو حمّاد صغير أحمد الأنصاري ، (93) .

(1) : [المنافقون : 8] .

(2) : هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري أبو جعفر ، الإمام ، صاحب التصانيف المشهورة ، استوطن بغداد ، وأقام بها إلى حين وفاته ، وقد رحل في طلب الحديث ،

(5) (العزّة) _ بفتحات _ : هي بنت الظبية ؛ لذلك تُسمى المرأة :
عزّة ، قال ابن منظور : (والعزّة بالفتح بنت الظبية ، قال الراجز :
هان على عزّة بنت الشحّاج مهوى جمال مالك في الإدلاج ،
وبها سميت المرأة عزّة) (2) .

(6) (العزّي) : صنمٌ لقريش كانت تعبده ، قال صاحب القاموس
المحيط : (وهو صنمٌ ، أو سمرّة عبدتها غطفانٌ ، أولٌ من اتخذها ظالمٌ بنُ
أسعد ، فوق ذاتِ عرقٍ إلى البستانِ يتسعة أميالٍ ، بنى عليها بيتًا ، وسماه
بُسلًا . وكانوا يسمعون فيها الصوتَ ، فبعثَ إليها رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد
، فهدمَ البيتَ ، وأحرقَ السمرّةَ) (3) .

وقد ورد مرّةً واحدةً في القرآن الكريم ، في قوله ﷻ : + أفريتم ألت

وَأَلْعَزَى ﴿١١﴾ " (4) .

(7) (عزّز) : قال ابن منظور : (عزّزتُ القومَ وأعزّزتهم وعزّزتهم
: قوَّيتهم وشدّدتهم) (5) .

وقد ورد مرّةً واحدةً في القرآن على صيغة الماضي في سورة يس :
+ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١١﴾ " (6)

قال ابن منظور : (فعزّزنا بثالث : أي قوَّينا وشدّدنا ، وقد قرئت :
فعزّزنا بثالث ، بالتخفيف كقولك : شدّدنا) (7) .

وسمع بالعراق والشام ومصر من خلق كثير، وحدثت بأكثر مصنفاته، توفي سنة : (310 هـ) .))
طبقات المفسرين)) : (374 – 379) .
(3) : ((جامع البيان في تأويل القرآن)) لمحمد بن جرير الطبري ، (23 / 402) .
(4) : ((لسان العرب)) : (6 / 231) ، و((الصحاح في اللغة)) : (886) .
(5) : ((القاموس المحيط)) لمحمد يعقوب الفيروز آبادي ، (2 / 292) .
(1) : [النجم : 19] .
(2) : ((لسان العرب)) : (6 / 229) .
(3) : [يس : 14] .
(4) : ((لسان العرب)) : (6 / 229) .

(8) (أَعَزَّةٌ) : جمع عزيز ، وقد وردت مرتين في القرآن الكريم ،
في المائدة : + يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ
سُحُجِيمٍ وَسُجُوبُهُمْ أُذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ " (1) .

ومعنى أعزّة على الكافرين : أي أشداء عليهم ، غلظاء بهم . (2)

وفي النمل قال تعالى : + قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ " (3) .

قال القرطبي (4) : (أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور) (5) .



(5) : [المائدة : 54] .

(6) : ((جامع البيان)) : (421 / 10) ، وانظر ((معالم التنزيل)) للحسين بن مسعود
البعثي ، (72 / 3) ، و ((نظم الدرر)) : (191 / 6) .

(1) : [النمل : 34] .

(2) : هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الخزرجي ، الأندلسي ، أبو عبد الله ،
القرطبي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق واستقر بمنية
ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة (671 هـ) .

من كتبه : ((الجامع لأحكام القرآن)) ، و ((قمع الحرص بالزهد والقناعة)) ، و ((الأسنى في
شرح أسماء الله الحسنى)) ، و ((التذكار في أفضل الأذكار)) ، و ((التذكرة بأحوال الموتى
وأحوال الآخرة)) . ((الأعلام)) : (322 / 5) بتصرف .

(3) : ((الجامع لأحكام القرآن)) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، (155 / 16) ،
وانظر : ((معالم التنزيل)) : (160 / 6) ، و ((فتح القدير)) : (166 / 4) ، و ((زاد
المسیر في علم التفسیر)) لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، (70 / 6) ، و ((بحر العلوم))
لنصر بن محمد بن أحمد ، أبو الليث السمرقندي ، (607 / 2) .

ثانياً : (مرادفات العزّة) :

جاءت ألفاظٌ مرادفةٌ للعزّة على لسان العرب ، وجاء ببعضها القرآن الكريم ، ومن ذلك :

(1) الرفعة : قال الزبيدي (1) : (والعزّ في الأصل : القوة ، والشدّة ، والغليّة ، والرفعة ، والامتناع) (2) ؛ ولذلك يُقال : هذا رجلٌ ذو رفعةٍ ومكانةٍ عالية ، أي : عزيز القدر .

ومنه قول الله ﷻ : + يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ^ع (3) .

قال في ((فتح القدير)) : (+ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ " : في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما ، + وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ^ع " : أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا، والثواب في الآخرة) (4) .

والكرامة هي بمعنى الشرف والعزّة ؛ لأنّ الكرامة في اللغة تأتي (بمعنى العزّاة ، حيث تقول : فلانٌ كريمٌ عليّ ، بمعنى عزيزٌ لديّ) (5) ، وقال في اللسان : (وله عليّ كرامةٌ ، أي : عزّاة) (6) .

(1) : هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى : علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب ، من كبار المصنفين ، أصله من واسط (في العراق) ، ومولده بالهند (في بلجرام) ، ومنشأه في زبيد (باليمن) ، رحل إلى الحجاز ، وأقام بمصر ، واشتهر فضله ، وتوفي فيها بالطاعون سنة (1205 هـ) .

من كتبه : ((تاج العروس في شرح القاموس)) ، و ((إتحاف السادة المتقين)) في شرح إحياء العلوم للغزالي ، و ((أسانيد الكتب الستة)) . ((الأعلام)) : (70 / 7) بتصرف .

(2) : ((تاج العروس)) : (219 / 15) .

(3) : [المجادلة : 11] .

(4) : ((فتح القدير)) : (231 / 5) .

(1) : ((الموسوعة الإسلامية العامة)) لِنخبة من الأساتذة تحت إشراف أد . محمود حمدي زفروق ، (1186) .

(2) : ((لسان العرب)) : (645 / 7) .

(2) **المنعة** ؛ يُقال : هذا (رجلٌ عزيزٌ : منيعٌ لا يُغلب ولا يُقهر) (1)

وَدَقُولُ : نَحْنُ مِنْ عِزِّكَ عَلَى جَبَلٍ مَنِيْعٍ (2) ، (ورجل منيعٌ : لا يُخْلَصُ إِلَيْهِ ، وهو في عِزٍّ وَمَنَعَةٍ ، ومنعةٌ يُخَفِّفُ وَيَثْقِلُ) (3) ، وهو في مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ، أي في عِزٍّ (4) .

(3) **القوة والشدة** ؛ قال ابن منظور : (و عَزَزْتُ الْقَوْمَ ، و أَعَزَزْتُهُمْ

، و عَزَزْتَهُمْ : قَوَيْتَهُمْ وَشَدَدْتَهُمْ ، وفي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : + فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ " (5)

(5) أي قَوَيْنَا وَشَدَدْنَا ، وقد فُرِّئْتُ : + فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ " بالتخفيف ، كقولك شَدَدْنَا

(6) .

قال ابن خَالَوَيْهِ (7) : (قوله تعالى + فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ " : أجمع القراء

على تشديد الزاي فيه ؛ إلا ما رواه أبو بكر عن عاصم من التخفيف ، فمعنى التشديد : قوينا ، ومنه أعزك الله ، ومعنى التخفيف : غلبنا ، ومنه مَنَ عَزَّ : بَزَّ ، أي مَنَ غَلَبَ أَخَذَ السَّلْبَ (8) .

(4) **الشرف** ؛ يُقال : فلانٌ شريفٌ القوم : أي عزيزهم ، قال ابن

منظور : (وتعزَّز الرجل : صار عزيزاً ، وهو يَعْتَزُّ بِفُلَانٍ ، واعتزَّ به ، وتعزَّز : تشرَّف) (9) .

(3) : ((لسان العرب)) : (228 / 6) .

(4) : ((أساس البلاغة)) لمحمود بن عمر الزمخشري ، (380 / 2) ، م ر ع .

(5) : ((العين)) للخليل بن أحمد الفراهيدي ، (163 / 2) .

(6) : ((جمهرة اللغة)) لأبي بكر بن دريد ، (142 / 3) .

(7) : [يس : 14] .

(8) : ((لسان العرب)) : (229 / 6) ، وممن قرأها بتخفيف الزاي : أبي بكر ، وقرأ الباقون بتشديدها ، انظر : ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري ، (353 / 2) .

(1) : هو الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله : لغوي ، من كبار النحاة ، أصله من همدان ، زار اليمن وأقام بدمار مدة ، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب ، وعظمت بها شهرته ، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة ، توفي فيها سنة (370 هـ) . ((الأعلام)) : (231 / 2) بتصرف .

(2) : ((الحجة في القراءات السبع)) للحسين بن أحمد بن خالويه ، (298) .

(3) : ((لسان العرب)) : (229 / 6) .

وجاء في الصحاح : (الشَّرَفُ : العلوُّ ، والمكان العالي ... ، وجبلٌ مُشرفٌ : عالٍ . ورجلٌ شَرِيفٌ ، والجمع : شُرَفَاءُ ، وأشْرَافٌ) (1) .

(5) الكرامة : الكرم : شرف الرجل . رجل كريمٌ وقوم كرمٌ وكِرامٌ ... والكرامةُ : اسمٌ للإكرام (2) ، وقال في القاموس : (وشَرُفٌ ، ككْرَمٍ) (3) .

وقال ابن منظور : (وأعزّه الله ، وعَزَزْتُ عليه : كَرُمْتُ عليه) (4) .

والذي يُحافظ على كرامته بالتقوى ، فهو صاحبُ عزّةٍ في نفسه ، ولا شكَّ أنّ (أجلّ المكارم : اجتنابُ المحارم) (5) .

(6) المشقّة : قال في اللسان : (يُقال : عَزَّ عليّ يَعِزُّ أن أراك بحال سيئةٍ ، أي يشتدُّ ويشقُّ عليّ) (6) .

ومنه قوله تعالى : + لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ (7) ، أي يشقُّ عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه (8) .

(7) القلّة والنُدرة ؛ يُقال : قلٌّ أن تجد مثل هذا الرجل الوفيّ: أي عَزَّ

. قال ابن منظور : (وعَزَّ الشيءُ يَعِزُّ عِزًّا وَعِزَّةً وَعِزَازَةً وهو عَزِيزٌ : قلٌّ حتى كاد لا يوجد ، وهذا جامع لكل شيء) (9) .

(8) السمو : قال في ((المصباح المنير)) (1) : (سما ، يسمو ،

سموًّا : علا ، ومنه يُقالُ : سَمَتِ همته إلى معالي الأمور ؛ إذا طلب العزَّ والشرف) .

(4) : ((الصحاح في اللغة)) : (1379 ، 1380) .

(5) : ((العين)) : (368 / 5) .

(6) : ((القاموس المحيط)) : (212 / 3) .

(7) : ((لسان العرب)) : (228 / 6) .

(1) : ((أساس البلاغة)) : (131 / 2) .

(2) : ((لسان العرب)) : (229 / 6) .

(3) : [التوبة : 128] .

(4) : ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)) : (م 2 ، ج 4 / 114) .

(5) : ((لسان العرب)) : (229 / 6) .

(9) **إِبَاءُ الضَّيْمِ** : وهو خُلُقٌ يُفِيدُ معنى الاستمساك بالعزّة والقوة ، والثورة على المذلة والهوان (2) ، وأصل الإباء في اللغة : الامتناع ، يقول الزمخشري (3) : (وأبى عليّ وتأبى : امتنع ، وهو أبى الضيم وأبى الضيم : له نفسٌ أبيّةٌ وفيّ عبيّةٌ) (4) .

وأما الضيم : فيأتي بمعنى الظلم ، ويأتي بمعنى النقص والانتقاص ، قال في ((اللسان)) (5) : (الضيم : الظلم ، و ضامه حقّه ضيماً : نقصه إياه ، قال الليث : يُقال ضامه في الأمر و ضامه في حقه يضيّمه ضيماً وهو الانتقاص) . وقال النابغة : (6)

يَا مَانِعَ الضَّيْمِ أَنْ يَغْشَى سُرَاتِهِمْ
وَالْحَامِلِ الإِصْرَ عَنْهُمْ بَعْدَمَا
عَرَفُوا

(10) **العظمة** : ومنه قوله تعالى : + فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا

بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٨٠﴾ " (7) أي : بعظمة فرعون (8) .



- (6) : ((المصباح المنير)) : (151) .
 (7) : انظر : ((موسوعة أخلاق القرآن)) للدكتور : أحمد الشرباصي ، (17 / 1) .
 (1) : هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب . ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة : 467هـ ، وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله . توفي سنة : 538هـ في الجرجانية من قرى خوارزم . من أشهر كتبه : الكشاف ، و أساس البلاغة ، و المفصل ، و المقامات . انظر : الأعلام للزركلي : (178 / 7) .
 (2) : ((أساس البلاغة)) : (19 / 1) .
 (3) : ((لسان العرب)) : (359 / 12) .
 (4) : ((أساس البلاغة)) : (29 / 1) ، والنابغة هو : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أمامة : شاعر جاهلي ، من الطبقة الاولى ، وهو أحد الأشراف في الجاهلية ، شعره كثير ، جمع بعضه في (ديوان) صغير ، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة ، لا تكلف في شعره ولا حشو ، وعاش عمراً طويلاً . ((الأعلام)) : (3 / 54 ، 55) بتصرف .
 (5) : [الشعراء : 44] .
 (6) : ((زاد المسير)) : (39 / 6) ، و ((فتح القدير)) : (120 / 4) .

ثالثاً : (مقابلات العزّة) :

إن مقابلات العزّة كثيرة ؛ إلا أن أهمها : (الدُّلُّ و الكِبْرُ) :

وقد تبين مما سبق أنّ معنى العزّة المذكور آنفاً ؛ لا يعني التكبر ، ولا التعالي على الخلق بغير حقّ ، كما أنه لا يُترك حتى يُصبح ذلاً ؛ لأنّ العزّة وسط بين طرفين :

الطرف الأول : (الكِبْرُ) : وهو نوعٌ من الغلو والإفراط في فهم وتطبيق معنى العزّة الحقيقي .

الطرف الثاني : (الدُّلُّ) : وهو تفريطٌ في تطبيق معنى العزّة من ناحية العدم .

قال الرازي : (قال بعض العارفين في تحقيق هذا المعنى : العزّة غير الكبر ، ولا يجلُّ للمؤمن أن يذلّ نفسه ، فالعزّة : معرفة الإنسان بحقيقة نفسه ، وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية ، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه ، وإنزالها فوق منزلها ...) (1) .
وما أجمل ما ذهب إليه قلم ابن القيم (2) حين وُقِّقَ في تععيد قاع دة جميلة في باب الأخلاق ؛ حيث قال :

(وكلُّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ مُكْتَنَفٍ بِخُلُقَيْنِ ذَمِيمَيْنِ ، وهو وسطٌ بينهما وطرفاهُ خُلُقَانِ ذَمِيمَانِ ، كالجود الذي يكتنفه خُلُقَا البخل والتبذير ، والتواضع الذي يكتنفه خُلُقَا الذل والمهانة ، والكبر والعلو .

فإنّ النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخُلُقَيْنِ الذميين ولا بد ، فإذا انحرفت عن خلق التواضع ؛ انحرفت إما إلى كبر

(1) : ((التفسير الكبير)) : (م 15 ، ج 30 / 17 ، 18) .
(2) : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، مولده ووفاته في دمشق توفي سنة : (751 هـ) ، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شريء من أقواله ، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه ، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس ، أغري بحب الكتب ، فجمع منها عددا عظيماً ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً . وألف تصانيف كثيرة . ((الأعلام)) : (6 / 56) ، وانظر ترجمته في ((طبقات المفسرين)) لمحمد بن علي الد اوودي، (363 - 365) .

وعلو ، وإما إلى ذل ومهانة وحقارة ، وإذا انحرفت عن خلق الحياء ؛
انحرفت إما إلى قحة وجرأة ، وإما إلى عجز وخور ومهانة ... ، ثم قال :
وإذا انحرفت عن خلق العزّة التي وهبها الله للمؤمنين ؛ انحرفت إما إلى كبر ، وإما إلى ذل ،
والعزّة المحمودة بينهما (1) .

وقال في ((الفوائد)) : (والغيرة لها حدُّ إذا جاوزته صارت تُهمّة
وظناً سيئاً بالبريء ، وإن قصرت عنه كانت تغافلاً ومبادئ دياثة ،
وللتواضع حدُّ إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة ، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر
والفخر . وللعزُّ حدُّ إذا جاوزه كان كبراً وخلقاً مذموماً ، وإن قصر عنه انحرف إلى الذلِّ و
المهانة .

وضابط هذا كله : العدل ، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي
الإفراط والتفريط ، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة ؛ بل لا تقوم مصلحة
البدن إلا به ، فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه
ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك (2) .

ولعلَّ من الأمور المهمة أن يُذكر الفارقُ بين العزِّ الحقيقيِّ والذلِّ ؛
لأنَّ العزّة بذلك تكون وهجاً إيمانياً ، ونوراً ربانياً ؛ لمن حقَّق وسائلها ،
وهي تدلُّ على حياة قلب صاحبها ، والذلُّ حالةٌ تعترى الإنسان تدلُّ على
ضعف إيمانه ، ومرض قلبه ؛ لأنَّ الذلَّ ناتجٌ عن ضعفٍ وخورٍ وتَ خاذلٍ
بخلاف العزّة ، فالعزُّ خلاف الذلِّ .

وأصل الذلِّ في اللغة : الضعف والهوان ، قال في ((المصباح
المنير)) : (ذلٌّ ، ذلٌّ ، من باب ضرب ، والاسم : الذلُّ _ بالضم _ ،
والذلةُ _ بالكسر _ ، والمذلةُ : إذا ضعف و هان فهو ذليل ، والجمع : أذلاء
و أدلة) (3) .

ولقد ظهر للباحث من خلال القراءة والتدبر أنَّ الفرق بين العزِّ والذلِّ
يكمن في أربعة أمورٍ _ على سبيل المقارنة _ :

(1) : ((مدارج السالكين)) : (295 / 2 ، 296) .
(2) : ((الفوائد)) لِمحمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بـ (ابن القيم الجوزية) ، (206) .
(1) : ((المصباح المنير)) : (111) .

الأمر الأول : أن العزّة أصل منشئها القوّة والشدّة ، وأمّا الذلّ فمنشؤه الضعف والعجز (1) ؛ لأن الضعيف عاجز والقوي قادر (2) ، ألم ترّ إلى ذلك المجاهد الذي خرج مُستدبراً بيته ، مُستقبلاً أرض المعركة ، تاركاً أهله وماله ، وهو يع لم أنّه بين خيارين عظيمين : الموت والشهادة أو النصر ؛ فمن أين له هذه العزّة إذا لم تكن في قلبه القوّة والشجاعة الكافية للقيام بمثل هذا العمل الجليل .

وعلى عكس ذلك الذلّ ، فالذليل الذي لحقه عارُ الدلّة والصغار والهوان ؛ إنّما كان مُحصّلة الضعف والخور والجبن الذي كان عليه ، نشأة أو اكتساباً ، أو واقعاً اجتماعياً يُعايشه ، وهكذا ...

ولذلك نبّه النبي * إلى شيءٍ من ذلك المعنى _ من أن القوّة حسيّة كانت أو معنوية خيرٌ وأحبُّ إلى الله ﷻ من الظهور بالضعف والعجز ، وفي كلّ خير _ ، قال * : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ... » (3) .

قال النووي (4) : (وَالْمُرَادُ بِالْقُوَّةِ هُنَا عَزِيمَةُ النَّفْسِ وَالْقَرِيحَةَ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ ، فَيَكُونُ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ أَكْثَرَ إِقْدَامًا عَلَى الْعَدُوِّ فِي الْجِهَادِ ، وَأَسْرَعَ خُرُوجًا إِلَيْهِ ، وَدَهَابًا فِي طَلْبِهِ ، وَأَشَدُّ عَزِيمَةً فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِي كُلِّ ذَلِكَ ، وَاحْتِمَالَ الْمَشَاقِّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَرْغَبَ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْأَذْكَارِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ ، وَأَنْشَطَ طَلَبًا لَهَا ، وَمُحَافَظَةً عَلَيْهَا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .

وأما قوله * : (وَفِي كُلِّ خَيْرٍ) فَمَعْنَاهُ فِي كُلِّ مِنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ خَيْرٌ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْإِيمَانِ ، مَعَ مَا يَأْتِي بِهِ الضَّعِيفُ مِنَ الْعِبَادَاتِ (5)

(2) : أقصد منشؤها في قلب الإنسان ؛ لا منشؤها من حيث الاستمداد أو المعطي لها .
(3) : وقد يقوى الضعيف ، ويعجز القوي ؛ ولكنّ الأصل ما ذُكر .
(1) : أخرجه مسلمٌ في ((صحيحه)) : (1629 / 4) ، برقم : (2664) ، في كتاب (القدر) ، باب : في الأمر بالقوّة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله .
(2) : هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحج زامي الحوراني ، النووي ، الشافعي ، أبو زكريا ، محيي الدين : علامة بالفقه والحديث ، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران ، بسورية) واليهما نسبته ، من كتبه : ((المنهاج في شرح صحيح مسلم)) ، و ((الأذكار)) ، و ((منهاج الطالبين)) ، توفي سنة : (676 هـ) . ((الأعلام)) : (149 / 8) بتصرف .
(3) : ((المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)) : (م8 ، ج16 / 175 ، 176) .

وبالتالي كانت القوّة المنسوبة للمؤمن معلّماً من معالم العزّة ،
والضعف المنسوبة إليه علامة على المذلّة والهوان .

الأمر الثاني : أن دوافع العزّة شريفة المطلب ، بخلاف الذلّ فدوافعه
مذمومة .

وذلك أن الدافع للعزّة هو : طلب مرضات الله ﷻ ، والبذل له ﷻ ،
وإكرام النفس ، وصونها عما يشينها أو يكون سبباً في مذلّتها وهوانها ،
وتلبية حاجتها ورغبتها الملحّة في اكتساب الفضائل والأخلاق الحسنّة
التي من خلالها تكملُ بها شخصيتها ...

أما الذلّ فدوافعه تكمنُ في : الخوف المذموم ، والضعف ، والهوان ،
والخور ، والعجز والكسل ، وحبّ الدنيا ، والارتواء في ملذاتها بالإقبال
عليها والإعراض عن الآخرة ، وكراهية الموت تبعاً لذلك كما بيّن ذلك
الحبيب المصطفى x (1) .

الأمر الثالث : أن العزّة مألها الدنيوي إلى الفلاح والرفعة والنصر
والتمكن ، بخلاف الذلّ فمألها إلى الإهانة والخسارة .

(1) : أخرج أبو داود في ((سننه)) : (38 / 5) ، برقم (4297) ، في كتاب : (الملاحم)
، باب : في تداعي الأمم على الإسلام) عن ثوبان قال : قال رسول الله x : ((يوشك الأمم أن
تداعي عليكم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها)) ، فقال قائلٌ : ومن قلة نحن يومئذٍ : ((قال بل أنتم
يومئذٍ كثيرٌ ؛ ولكنكم غناءً كغناء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن
الله في قلوبكم الوهن)) فقال قائلٌ : يا رسول الله : وما الوهن ؟ قال : ((حُبُّ الدنيا ، وكراهية
الموت)) . ورجاله ثقات ، ما عدا صالح بن رستم الهاشمي أبو عبد السلام ، فقد اختلف فيه ، ()
قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : مجهول لا نعرفه ، وذكره ابن حبان في
كتاب الثقات ، وقال أبو زرعة الدمشقي في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام : أبو عبد السلام
روى عنه بن جابر اسمه صالح بن رستم سألت عن ذلك شيخاً من ولده ، فأخبرني باسمه ، وكذلك
سماه النسائي وأبو بشر الدولابي ، وذكره الحاكم أبو أحمد فيمن لم يقف على اسمه ، روى له أبو
داود حديثاً واحداً ... قال توشك الأمم أن تداعي عليكم ...) . ((تهذيب الكمال)) للحافظ جمال
الدين أبي الحجاج يوسف المزي ، (45 / 13) . ولكن ابن حجر رجح أن : (صالح بن رستم
الهاشمي مولا هم أبو عبد السلام الدمشقي مجهول من الثالثة ، وهو غير أبي عبد السلام الذي روى
عن ثوبان على الصحيح) ، انظر : ((تقريب التهذيب)) للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
، (445) . وصحّ الحديث الألباني في : ((صحيح سنن أبي داود)) : (24 / 3 ، 25) ،
برقم : (4297) .

فإن الله ﷻ جعل الفلاح لحزبه المعتزين بدينهم ، الذين لا يؤالون أعداءه ، قال تعالى : + لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ ﴿١١٧﴾ " (1) .

وجعل الرفعة العليا بعد الأنبياء لأهل العلم ، ثم لمن علا بإيمانه ، وتلك عزة العالم وعزة المؤمن ، قال تعالى : + يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٨﴾ " (2) .

ووعد بالنصر والتثبيت من ينصر دينه وشرعته ، قال ﷻ : + يَتَأَيَّدُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَصَرُوا لِلَّهِ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿١١٩﴾ " (3) .

ووعد عباده وأولياءه بالتمكين والاستخلاف في الأرض ، والذي من شأنه أن يحقق لهم الأمن والأمان ؛ ولك ن شريطة أن يحققوا الإيمان في ذواتهم صدقًا ، وأن يُبْرَهُنُوا على هذا الإيمان بالعمل الصالح حقًا ، قال ﷻ : + وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢٠﴾ " (4) .

. (1) : [المجادلة : 22] .

. (2) : [المجادلة : 11] .

. (3) : [محمد : 7] .

. (1) : [النور : 55] .

وبيّن أن من يكفر بالله ﷻ أو يُعادي دينه بأيّ فعلٍ ؛ فإنّ ماله الذلُّ والخسران ؛ كما حصل لبني إسرائيل ، قال تعالى : **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ** **أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا لِأَنّ حَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾** (1) .

الأمر الرابع : أنّ مآل العزيز أفضل من مآل الذليل عند الله ؛ لا يستونون أبداً ، بل من الأذلاء من لا يدخلون في هذا التفاضل إذا كان سبب ذلهم كفراً أو ردة عيادا بالله .

والذلُّ صفة مذمومة تأباها النفوس الكريمة ، والطباع السليمة ، والمؤمن مُطالبٌ في شرعنا الحنيف _ بعدم الاتصاف بهذه الصفة ، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : **« الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ... »** (2) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يتعوذ في دعائه من الذلّة، فقد جاء في ((السنن)) (3) ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : **« كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الفقر ، وأعوذ بك من القلّة ، والذلّة ، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم »** .

بل قد أمرنا صلى الله عليه وآله بالتعوذ من الذلّ ، كما في الحديث الآخر عن أبي هريرة قال ، قال صلى الله عليه وآله : **« تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ ، وَمِنَ الْقِلَّةِ ، وَمِنَ الذِّلَّةِ ، وَأَنْ أَظْلَمَ أَوْ أُظْلَمَ »** (4) .

(2) : [آل عمران : 112] .

(3) : سبق تخريجه في : (61) .

(1) : أخرجه النسائي في ((المجتبى)) : (261 / 8) ، برقم (5460) ، في كتاب (الاستعاذة) ، باب الاستعاذة من الذلّة . واللفظ له ، وأخرجه أبو داود في ((سنن أبي داود)) : (304 / 2) ، برقم (1539) ، في كتاب (الوتر) ، باب في الاستعاذة ، وصحّ إسناده الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) : برقم : (5475) ، و ((إرواء الغليل)) : (3 / 354 ، 355) .

(2) : أخرجه النسائي في ((المجتبى)) : (654 / 8) ، برقم (5463) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب (الاستعاذة) ، باب : الاستعاذة من الذلّة ، وباب : الاستعاذة من القلّة ، وباب : الاستعاذة من الفقر ، وصححه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) : (3 / 430) ، برقم : (1445) .

فلذلك لا يليق بالمؤمن العزيز أن يتصف بصفة الذلّ والهوان ؛ حتى لا يفقد صفة العزّة التي منحها الله ﷻ له .

وبما أنّ الأمر كذلك ؛ فإنه يجب حينها على المؤمن أن ينفر من أسباب الذلّ والهوان ، فكما أنّ العزّة له أسباب ، فكذلك الذلّ ، و من أعظم تلك الأسباب الموصلة إليه :

1- (البيئة الذليلة) : وأقصد بذلك أحد أمرين :

الأمر الأول : البيئة التي يتربى عليها المرء من أسرة ومدرسة ونحوهما ، فقد يتربى الناشئ في بيئته الصغيرة على الذلّ ، ويُمارسُ معه أنواعٌ من الاستذلال ، فكيف تُراه ينشأ؟!

والذُّ يُحطّم ابنه أمام الآخرين وينهره ويزجره ولا يُشجعه ، ومعلّمٌ يضربُ تلميذه ، وأمٌّ تكذب وتربّي أطفالها على الكذب ، فكيف سيكون كلُّ هؤلاء أعزّاء !

(إنّ الحاجة إلى المكانة ، والشعور بشيءٍ من الاستقلال من الأمور التي يحتاج إليها الطفل ؛ فهو يجب أن يحظى باهتمام من حوله ، فينشأُ احترام والديه ومعلّميه وأقرانه وكل من حوله ، ويرفّبُ ذلك من خلال ردود أفعالهم على تصرفاته وأقواله .

فيحتاج أن تُوكل له بعض الأعمال والمسؤوليات المحبّبة لنفسه ، والتي تتناسب مع عمره وقدراته) (1) .

إن الاحترام والتقدير _ وغيره من حاجات البناء النفسي _ يُحقّق للناشئ المسلم كيانه وشخصيته ، ومن ثمّ عزّته ، والعكس بالعكس فمن لم تتحقّق لديه تلك الحاجيات أو كانت ناقصةً لديه ؛ لحقه من الذلّ بقدر ما فاته من النقص في تلك الحاجيات .

الأمر الثاني : الموطن الذي ينتمي إليه الفرد المسلم من بلاد الله في الأرض .

وقد عانت كثرٌ من بلاد المسلمين الاستذلال في فترةٍ من فترات تاريخها ؛ إلا ما كان من وسط الجزيرة العربية ، فإنها لم تُدقّ طعم

(1) : ((ما لا نعلمه لأبنائنا)) للأستاذة : بسمة بنت كمال بدوي ، (260) .

الاستدلال على مرّ التاريخ ، وعلى ذلك يكون جنس العرب أعزّاء لأنهم عاشوا في وسط جزيرة العرب .

ولذلك أرسل الله ﷺ سيدنا محمداً * في جزيرة العرب لكي يُنزل دعوته في بيئة خصبة مزروعة بالعزّ ، فإذا سُقيت بماء العزّ الحقيقي أِينعت وترعرعت تلك النفوس ، فمنهج العزّة الذي جاء به الرسول * وافق نفوساً عزيزة ، والتاريخ خير شاهدٍ على ذلك ، ويُذكر منه _ على سبيل المثال _ خَبْرين كلاهما في غزوة بدر الكبرى :

فمن أمثلة تربيته * لأصحابه ﷺ على العزّة : ما فعله سَوَاد بن غزِيّة _ حليف بني النجار _ عندما وَغَزَهُ رسول الله * في بطنه بالقضيب ، وقال : ((استقم يا سواد)) ، وكان سواد بارزاً خارج الصفّ ، فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ؛ فأقِدْنِي ، فكشف رسول الله * عن بطنه راضياً ، وقال : ((استقد يا سواد)) فاعتنقه سَوَاد ، وقَبَّل بطنه ! فقال الزهبي * : ((وما حملك على هذا يا سواد ؟)) ، قال : يا رسول الله حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك ، فدعا له الرسول بخير (1) .

فما أروع من مشهد ! وما أروع تلك التربية ! أمّا المشهد : فَيُسْتَنْبِط منه مقدار روح العزّة التي كان يتمتع بها صحب النبي * الكرام ﷺ ؛ حيث إنه تجرّأ وطلب من قائده إقامة العدل ، والاستفادة منه .

وأما عن تربيته * لأصحابه على العزّة فظاهرةٌ جليّة ؛ وهو أنه * لم يكن من خُلِقَه أن يُكَمَّم الأفواه ، وأن يجعل بينه وبين أصحابه وأتباعه حواجز معنوية ولا حسيّة ؛ بل يسمع منهم كلامهم * ، ولا يجعل في نفوسهم الخوف والمذلة ؛ بل يجعل في نفوسهم العزّة مع احترامهم له ﷺ .

وأما المثال الثاني ، والذي يُستدلُّ به على وجود أصل العزّة فيهم : ما قاله أبو

جهل لابن مسعود ﷺ في غزوة بدر : (لقد ارتقيت مُرتقى صعباً يا رُوَيْعِي الغنم !) (2) .

(1) : انظر كتاب : ((تاريخ الأمم والملوك)) لمحمد بن جرير الطبري ، (2 / 446 ، 447) ، وصححه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) : (6 / 808) ، وللاستزادة من القصة انظر كتاب : ((السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة)) لمحمد أبو شهبه ، (2 / 139) .
(1) : انظر القصة مروية عن ابن إسحاق في : ((السيرة النبوية)) لابن هشام ، (2 / 278) ، وانظر : ((الرحيق المختوم)) : لصفي الرحمن المباركفوري ، (221) .

فلعله لوحظ من خلال كلام أبي جهل : أنه كان على مشارف الموت والنزع الأخير ، ثم يقول مثل هذه الكلمات التي تُنبئ عن عزّة نفسه ، بغَضِّ النظر عن التساؤل المطروح : هل هذه العزّة محمودة أم مذمومة ، أو هي عزّة أم تُعزُّزُ؟! .

فلم يخفض رأسه بل رفعه ، ولم يطلب المساعدة أو الشفقة عليه ؛ إنّما ذكّوه بتلك الأيام الخوالي في مكة عندما كان يرعى الغنم ، وكأنه يُومئ إليه بأنك كنت ذليلاً وأنا العزيز _ فيما يراه أبو جهل _ .

قال عنتره بن شداد (1) :

فلا تَرْضَ بِمَنْقَصَةٍ وَذُلٌّ وَتَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْحُطَامِ

فَعَيْشُكَ تَحْتَ ظِلِّ الْعَزِّ يَوْمًا وَلَا تَحْتَ الْمَدَلَّةِ أَلْفَ عَامٍ (2)

وهناك أصدادٌ أخرى للعزِّ ؛ لكنها تندرج إمّا تحت الذلّ أو الكبر ، كالضعف والجبن والخور ...



(2) : هو عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العَدَنِيّ : أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى ، من أهل نجد ، أمه حبشية اسمها زبيبة ، سرى إليه السواد منها ، وكان من أحسن العرب شيمة ، ومن أعزهم نفساً ، يوصف بالحلم على شدة بطشه ، وفي شعره رقة وعضوية . وكان مُغرماً بابنة عمه : عبلة ؛ فقلّ أن تخلو له قسيمة من ذكراها ، قتله الأسد الرهيص أو جبار ابن عمرو الطائي سنة (22 قبل الهجرة) . ((الأعلام)) : (91 / 5) بتصرف .

(1) : لم أجده في ((ديوان عنتره بن شداد)) .



قد سبق الحديث عن الفرق بين العزّ والذلّ ، و كان الفرق واضحاً سهلاً التصور ؛ لأنّ لفظة الذلّ أصيلة في الضدية .

لكن الفرق بين العزّة والكبر غير ذلك ؛ لأنّ بين العزّة والكبر فرقاً دقيقاً ، فهما يشتركان في وصفٍ ويختلفان في آخر .

فالعزّة تُشبه الكبر من حيث الصورة ، وتختلف عنه من حيث الحقيقة ، فصورة العزّة تشترك مع الكبر في معنى القوة والشدة ... ، وتختلف عنه في أمرين :

الأمر الأول : من حيث الدافع لهذه القوّة والشدّة والرفعة والمنعة ؛ فالأول : إكرام النفس ، وطلب مرضات الله ﷻ ، والثاني : إزدراء الخلق ، والتعالي عليهم ، وإشباع رغبات النفس .

الأمر الثاني : أنّ العزّة مقرونة بالعفو ، والرحمة ، والعدل ، والإيمان ، بخلاف الكبر : فإنه مقرون بالتعالي ، والظلم ، والغرور .

وينضم إلى ذلك أمران _ كما سبق في الفرق بين الذلّ والعزّ (1) _ :

الأول : مآل العزيز والمتكبر في الدنيا ، فالعزيز محبوبٌ عند الناس ، مرغوب في صحبته ، قدوة في أقواله وأعماله ، وأمّا المتكبر فهو مبغوض عند الناس ، ينفر الناس منه ومن طباعه ...

الثاني : مآل العزيز والمتكبر في الآخرة ، فالعزيز قد تخلق بخلق يُحبه الله ، ولذلك سيكون مُعزّزاً عنده ﷻ ، بخلاف المتكبر .

قال الرازي : (فالعزّة تشبه الكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة ، كاشتباه التواضع بالضعفة ، والتواضع مَحمود ، والضعفة مذمومة ، والكبر مذموم ، والعزّة مَحمودة ، ولمّا كانت غير مذمومة ، وفيها مشاكلة للكبر ؛ قال تعالى : + بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ " (2) :

(1) : انظر صفحة (62 ، 64) .

(1) : [الأحقاف : 20] .

وفيه إشارة خفية لإثبات العزّة بالحق ، والوقوف على حدّ التواضع من غير انحراف إلى الضعة ، وقوفاً على صراط العزّة المنسوب على متن نار الكبر (1) .

والكبرُ عرّفه الحافظ ابن حجر بقوله : (الكبرُ : بكسر الكاف وسكون الموحدة ثم راء ، قال الراغب : الكبر والتكبر والاستكبار متقارب ، فالكبر : الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه ، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره ، وأعظم ذلك أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق ، والإذعان له بالتوحيد والطاعة) (2) .

والكبر (هو ثمرة العجب ، وقد هلك بها كثير من العلماء والعباد والزهاد) (3) . والتكبر يأتي على وجهين :

أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة زائدة على محاسن الغير ، ومن ثم وُصِفَ ﷺ بالتكبر .

والثاني : أن يكون متكلفاً لذلك ، متشبعاً بما ليس فيه ، وهو وصف عامة الناس ، نحو قوله تعالى : + كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿١٥﴾ (4) ، (5) .

والكبرُ مذمومٌ ، وهو معدودٌ من كبائر الذنوب (6) ، وتركه : واجبٌ فرضاً ، كما قاله ابن عبد البر (7) .

وسبب حصول الكبر في قلب صاحبه : هو توهم الكمال ، قال ابن خلدون (1) : (واعلم أن هذا الكبر والترفع من الأخلاق المذمومة إنما

(2) : ((التفسير الكبير)) : (م 15 ، ج 30 / 17 ، 18) .

(3) : ((فتح الباري)) : (10 / 600) .

(4) : ((عمدة القاري بشرح صحيح البخاري)) لبدر الدين العيني ، (22 / 219) .

(1) : [غافر : 35] .

(2) : انظر : ((فتح الباري)) : (10 / 600) .

(3) : عدّه من الكبائر جماعة من الفقهاء ؛ منهم : ابن حجر الهيتمي [974 هـ] _ في ((الزواجر

عن اقتراف الكبائر)) : (1 / 109) .

(4) : انظر : ((التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)) للحافظ يوسف بن عبد الله ابن

عبد البر النمري الأندلسي ، (15 / 124) .

يَحصل من توهم الكمال ، وأن الناس يَحْتاجون إلى بضاعته من علمٍ أو صناعةٍ ، كالعالم المتبحر في علمه ، والكاتب المجيد في كتابته ، أو الشاعر البليغ في شعره ؛ وكل مُحسن في صناعته يتوهم أن الناس مُحْتَاجون لِمَا بيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك) (2) .

والحقيقة أن توهم الكمال إنما يَحصل بسبب (ضعف النفس) ؛ لذلك أمر الإسلام بالتواضع في القول والعمل ، فقال الله تعالى : **+ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** (3) .

وذلك أن القول الحسن فيه قهرٌ للنفس في مجال كِبَرها ، وقال **x** : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامًا ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » (4) ، فكثره إلقاء السلام على القريب والبعيد تدلُّ على خلوِّ القلب من الكِبَر والعُجب اللذين يَمنعان صاحبهما من المكارم الأخروية .

وكذلك في مجال العمل فقد أوصى الحبيب محمدٌ **x** بأن يُشارك المرء غيره في طعامه ؛ سواءً أكان الطعام مصنوعاً خصيصاً للضيف والجار ، أو من طعام أهل البيت ؛ لأن الإطعام عملٌ جليلٌ يدلُّ على وجود المحبة والرحمة بالمؤمنين في قلب صاحبه ، وعدم الترفع عليهم .

(5) : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الأشبيلي ، من ولد وائل بن حجر : الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي البَحَّاث ، أصله من إشبيلية ، ومولده ومنشأه بتونس ، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ، وتولى أعمالاً ، واغترضتُفًا دسائس ووشايات ، وعاد إلى تونس ، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برفوق ، وولي فيها قضاء المالكية ، ولم يتزى بزى القضاة محتفظاً بزى بلاده ، وعزل ، وأعيد ، وتوفي فجأة في القاهرة سنة (808هـ) ، كان فصيحاً ، جميل الصورة ، عاقلاً ، صادق اللهجة ، عزوفلاً عن الضيم ، طامحاً للمراتب العالية . ((الأعلام)) : (330 / 3) بتصرف .

(6) : ((مقدمة ابن خلدون)) : (409) .

(1) : [البقرة : 83] .

(2) : أخرجه الترمذي في ((سننه)) : (286 / 4) ، في كتاب : (الأُطعمة) ، باب : ما جاء في فضل إطعام الطعام ، برقم : (1859) وقال : حديث حسن صحيح ، والدارمي في ((سننه)) واللفظ له (1 / 405) برقم (1460) في كتاب : (الصلاة) ، باب فضل صلاة الليل ، وابن ماجة في ((سننه)) : (2 / 127) ، برقم (1334) في كتاب (إقامة الصلاة والسنة) ، باب : ما جاء في قيام الليل ، والحاكم في ((مستدرکه)) في كتاب (الهجرة) برقم : (4342) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه . (3 / 14) ، وصححه الألباني في ((إرواء الغليل)) : (3 / 239) .

كما أنّ فيه سدٌّ لعوز الم محتاج والفقير ، وإدخال السرور عليه وعلى أهل بيته ولو كانوا أغنياء .

ثمّ وجّه في ثالث الخصال _ التي من شأنها أن تُدخِل صاحبها الجنّة بعد فضل الله ﷻ _ إلى الاهتمام بأحوال هذا القلب ، وما يعترّيه من عوامل وأمر تُفسده أو تُعيّقه نحو المسير إلى الله ﷻ والدار الآخرة ، فأمر أمر النذّب : بالصلاة في الليل والناس في مراقدهم ؛ مرشداً لهم بذلك إلى مراقبة الله والخوف منه ، دالاً لهم بالابتعاد عن العجب بالعمل الذي يُورث الترفع والتكبر على الآخرين ؛ كلُّ ذلك كان بإشارة منه × حينما قال : ((والناس نيام)) ، فحثّ على التعبد في الخفاء حرصاً منه على أمّته من العجب والكبر والرياء الذي يذهب بالعمل أو ببعضه ، ويُفسد القلب على صاحبه .

(فيا عجباً ممّن راح يهتمّ بوجهه الذي هو موضع نظر الخلق ، فيغسله ويُنظفه من الأقدار والأدناس ، ويُزيّنه بما أمكنه ، لئلا يطّلع مخلوق فيه على عيب ، ولا يهتمّ بقلبه الذي هو موضع نظر ربّ العالمين ، فيطهره ويُزيّنه ويُطيّبه ؛ كي لا يطّلع الربُّ جلّ ذكره على دنس فيه وشين ، بل يُهمله مملوءاً بفضائح وأقدار وقبائح لو اطّلع الخل ق على واحدٍ منها .. لهجروه وتبرؤوا منه وطرده !! والله المستعان) (1) .

قال بعض الشعراء (2) :

وَالْمِرْحُ وَالضِّحْكُ الْكَثِيرُ سُفُوطٌ

الْكِبْرُ ذُلٌّ وَالتَّوَاضُّعُ رَفْعَةٌ

وَالْيَأْسُ مِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ قُنُوطٌ

وَالْحِرْصُ فَقْرٌ وَالتَّقَاعَةُ عِزَّةٌ

ولعله قد تبيّن ممّا سبق : الفرق بين العزّة وبين الذلّ والكبر ، وهناك أصداد أخرى ذات بُعدٍ في معنى الضديّة ؛ ولكنها ذات صلة ، مثل : الهوان ، والغرور ، والعجب ، والضعف ، والانهازمية ، والتراخي .



(1) : انظر : ((منهاج العابدين إلى جنة ربّ العالمين)) لأبي حامد الغزالي ، ص : (113) .

(2) : انظر : ((الآداب الشرعية)) لأبي عبد الله محمد بن مُفلح المقدسي ، (2 / 216) .

الفصل الثاني :

(آيات العزّة في القرآن الكريم وتصنيفها ،

وعنايته بها ، وحديثه عنها)

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : (آيات العزّة في القرآن الكريم ، وتصنيفها) .

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : (آيات العزّة في القرآن الكريم) .

المطلب الثاني : (تصنيف آيات العزّة) .

المبحث الثاني : (عناية القرآن الكريم بالعزّة) . وفيه مطلبين :

المطلب الأول : (فضل العزّة والثناء على أهلها) .

المطلب الثاني : (مظاهر العناية القرآنية بالعزّة) .

المبحث الثالث : (حديث القرآن عن العزّة) .

المبحث الأول :

آيات العزّة في القرآن الكريم
وتصنيفها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : آيات العزّة في القرآن الكريم

المطلب الثاني : تصنيف آيات العزّة في القرآن

المطلب الأول

آيَاتُ العزّة
في
القرآن الكريم

(1) قال تعالى : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٦٦﴾ " (1) .

(2) قال تعالى : + قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٧﴾ " (2) .

(3) قال تعالى : + الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُورَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٦٨﴾ " (3) .

(4) قال تعالى : + يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٩﴾ " (4) .

(5) قال تعالى : + لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٠﴾ " (5) .

(6) قال تعالى : + وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧١﴾ " (1) .

(1) : [البقرة : 206] .

(2) : [آل عمران : 26] .

(3) : [النساء : 139] .

(4) : [المائدة : 54] .

(5) : [التوبة : 128] .

(7) قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ

فِينَا ضَعِيفًا ^ط وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ^ط وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٦١﴾ " (2)

(8) قال تعالى : + قَالَ يَنْقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ

وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٦٢﴾ " (3)

(9) قال تعالى : + وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن

نَفْسِهِ ^ط قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ^ط إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٣﴾ " (4)

(10) قال تعالى : + قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَن نَفْسِهِ ^ع

قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ^ع قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْمُنْجَنِّ

حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَن نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

" (5)

(11) قال تعالى : + قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُدَّ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ

أَحَدَنَا مَكَانَهُ ^ط إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ " (6)

(1) : [يونس : 65] .

(2) : [هود : 91] .

(3) : [هود : 92] .

(4) : [يوسف : 30] .

(5) : [يوسف : 51] .

(6) : [يوسف : 78] .

(12) قال تعالى : + فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا
الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوَفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا^ط إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ " (1) .

(13) قال تعالى : + وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ " (2) .

(14) قال تعالى : + وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا
أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٩١﴾ " (3) .

(15) قال تعالى : + وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا
﴿٩٤﴾ " (4) .

(16) قال تعالى : + فَأَلْقُوا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
الْغَالِبُونَ ﴿٩٥﴾ " (5) .

(17) قال تعالى : + قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً^ط وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٩٦﴾ " (6) .

(1) : [يوسف : 88] .

(2) : [إبراهيم : 20] .

(3) : [الكهف : 34] .

(4) : [مريم : 81] .

(5) : [الشعراء : 44] .

(6) : [النمل : 34] .

(26) قال تعالى : + يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْزُ
 مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا
 يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ (1) .

هذه هي آيات العزّة المصرّح بها في القرآن الكريم ، من حيث
 المعنى اللغوي أو الاصطلاحي ؛ وهناك آيات تتعلق بمعنى من
 معاني العزّة أو وسيلة لها ، لم تُذكر هنا وإنما اكتفيت بما صرّح فيه
 بلفظ العزّة .

المطلب الثاني

تصنيفُ آياتِ العزّة
في
القرآن الكريم

إنّ آيات العزّة في القرآن العظيم لم تأت بصيغة واحدة ؛ بل أتت بصيغ متعدّدة ، ممّا يبيّن تداعي تصنيفها إلى محاور على النحو التالي :

المحور الأول : مجيء التعبير القرآني بلفظة العزّة تصرّيحاً ، وهو يأتي على عدّة أقسام :

القسم الأول : (العزّة صفةً للربّ ﷻ) ⁽¹⁾ : وهي أكثر هذه الأقسام ذكراً في القرآن العزيز ؛ حيث ذُكرت بألفاظٍ أربعة : (العزيز ، عزيزاً ، عزيزٌ ، العزّة) ، ومن أمثلة وقوعها في القرآن :

(1) + إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾ " (2) .

(2) + إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥١﴾ " (3) .

(3) + فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ " (4) .

(4) + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (5) .

وقد وردت هذه الكلمة (صفةً لله ﷻ) في القرآن (92) مرّة ، كان منها اقتران العزيز بـ (الحكيم) : (46) مرّة ، وبـ (الرحيم) : (5) مرات ؛ لأنها تكررت في الشعراء (8) مرات ، فحسبت واحدة فأصبح المجموع على التفصيل (13) ، وبـ (القوي) : (7) مرات ، وبـ (العليم) : (6) مرات ، ومع (الغفور والغفار) : (5) مرات ، ومع (المنتقم) : (4) مرات ، ومع (الحميد) : (3) مرات ، ومع (الوهاب) : (1) ،

(1) : استفتت في هذا القسم من الكتب التالية : الكتاب الأول : ((المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم)) لمحمد بسام الزين ، (2 / 809) ، ولكن لم يستوعب كل الأقسام في نظري ، الكتاب الثاني : ((العزّة في الإسلام)) لـ د : مسفر بن سعيد الغامدي : (7 - 25) ، الكتاب الثالث : ((المعجم المفهرس)) لمحمد فؤاد عبد الباقي ، (617 ، 618) .

(2) : [البقرة : 129] .

(3) : [النساء : 56] .

(4) : [البقرة : 209] .

(5) : [فاطر : 10] .

وبـ(الجبار) : (1) ، وبالمقتدر : (1) ، وبمفردها : (5) مرات ، والله أعلم .

فكان ارتباط صفة العزّة بالحكمة أكثر هذه الصفات ؛ وكأنها إشارة إلى أنّ خلق العزّة ينبغي أن يصدر عن حكمة ، وهي وضع الشيء في موضعه اللائق به ، ثم بالرحمة لأنّ ال عزّة لا تتنافى مع الرحمة ؛ بل هي عزّة في بعض المواطن ، ثم بالقوّة لأنها جزء من العزّة مع الكافر والمعتدي ، ثم بالعلم ليؤكد أنها لا تصدر إلا عن علم .

القسم الثاني : (العزّة كصفة لسيدنا محمد *) : ووردت مرّتين ، في

سورة التوبة ، قال الله ﷻ : + لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ " (1) وقد جاءت

بمعنى : أي يصعب ويشق عليه ما شقّ عليكم وأذاكم وجهدكم ، سواءً أكانت المشقة حاصلة عليهم حساً كالنصب والتعب وملاقة الأعداء ، أو معنى

كالغفلة عن الله ﷻ ، وهذا من مقتضيات رحمته بأمتة وحرصه عليهم * . (2)

وفي سورة المنافقون : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَلِكُنَّ

الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ " (3) .

القسم الثالث : (العزّة كصفة للقرآن الكريم) : ولم ترد في القرآن الكريم

إلا مرّة واحدة ، في سورة فصلت ، قال الله ﷻ : + إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا

جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاثِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤﴾ " (4) ، حيث إنّ الكتاب هنا القرآن ، ومعنى

(1) : [التوبة : 128] .

(2) : انظر : ((جامع البيان)) : (4 / 360) ، و((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي ، (10 /

441 /) ، و((زاد المسير)) : (3 / 247) . ويلاحظ أن تفسير المفسرين للآية لا يخرج عن كون المشقة حسية أو معنوية .

(1) : [المنافقون : 8] .

(2) : [فصلت : 41] .

عزيز : أي (منج الجناب ، لا يرام أن يأتي أحد بمثله) (1) ، (فهذه عزّته ، وليست لأحدٍ إلا له) (2) .

وقد يأتي وصف الكتاب بمعنى العزّة ؛ لإعزاز الله إياه ، وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا ، أو تغييرا ، من إنسي وجني وشيطان وارد (3) .

القسم الرابع : (العزّة كصفة مَحْمُودَة) : والعزّة خُلُقٌ لا يُوصف به إلا مَنْ اندرجَ تحت وصفِ العبودية لله حقًا ، كوصف الرسول * والمؤمنين بها ، ومن أمثله : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ، وقوله سبحانه : + يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ ، وقوله ﴿٥﴾ : + مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿٦﴾ .

فبيّنَ ﷺ أن العزّة بمعناها ومآلها ثابتهٌ للمؤمنين تبعًا لعزّته سبحانه بسبب عبوديتهم لله وإيمانهم به ، وهذا هو مفهوم قوله + يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ ﴿٧﴾ .

القسم الخامس : (العزّة كصفة مذمومة ، أو بغير الحق) : وهي وصفٌ لكل مَنْ اعتزَّ بغير العزيز ، كمن يعتزُّ بتكبره أو منصبه أو ماله أو عشيرته ،

(3) : ((تفسير ابن كثير)) : (484 / 5) .

(4) : ((أحكام القرآن)) لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي : (372 / 3) ، ((معالم التنزيل)) : (160 / 6) .

(5) : ((جامع البيان)) : (479 / 21) .

(6) : [المنافقون : 8] .

(1) : [المائدة : 54] .

(2) : [الفتح : 29] .

(3) : [المائدة : 54] .

ويظهر ذلك في مثل قوله تعالى : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ^ع
فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ " (1) ، وقوله ﴿٢٦﴾ + وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ " (2) أي : بعظمة فرعون (3) .

وجاءت على وزن أفعال التفضيل في ثلاث آيات وهي قوله ﴿٤٤﴾ + قَالَ
يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا^ط إِنَّ رَبِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤٣﴾ " (4) ، وقوله ﴿٤٣﴾ + وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٤٥﴾ " (5) ، وقوله ﴿٤٥﴾ + يَقُولُونَ لِمَن
رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلُّ^ع " (6) .

وكذا من المعنى المذموم قوله ﴿٤٤﴾ + وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٤١﴾ " (7) ، مأخوذٌ على معنى المنعة والتحصن بهم من
العذاب ، قال ابن جرير الطبري : (واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من
قومك آلهة يعبدونها من دون الله ، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزًّا ، يمنعونهم
من عذاب الله) (8) .

(4) : [البقرة : 206] .

(5) : [الشعراء : 44] .

(6) : سبق تفسيرها في صفحة : (57) .

(7) : [هود : 92] .

(1) : [الكهف : 34] .

(2) : [المنافقون : 8] .

(3) : [مريم : 81] .

(4) : ((جامع البيان)) : (18 / 249) ، وانظر : ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي ، (

509 / 13) ، و ((معالم التنزيل)) : (5 / 254) ، و ((فتح القدير)) : (3 / 428) .

وكذلك قوله ﷻ : + قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَبَ أَهْلَهَا أَذِلَّةً^ط وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ " (1) أي : (أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور ، فصدق الله قولها : وكذلك يفعلون) (2) .

ومِمَّا يتصلُ بذلك ، قوله ﷻ : + بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٦٧﴾ " (3) ، نقل الطبري عن قتادة : أي في حمية وفراق . (4) .

القسم السادس : (العزّة كلقب لمن يملك مصرًا) : وقد وردت (4) مرّات ، كلها في سورة يوسف عليه السلام ، وهي قوله تعالى : + وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ^ط قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا^ط إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٤﴾ " (5) ، وقوله ﷻ : + قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَن نَّفْسِهِ^ط قُلْ حَشَى لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ^ط قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ اللَّئِنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٦٥﴾ " (6) ، وقوله تعالى : + قَالُوا يَتَّيْمُوا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ^ط إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾ " (7) ، وقوله تعالى : + فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَّيْمُوا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْأَظْرُوجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا^ط إِنَّ اللَّهَ جَزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٦٧﴾ " (8) .

(5) : [النمل : 34] .

(6) : ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي ، (16 / 155 ، 156) .

(7) : [ص : 2] .

(8) : ((جامع البيان)) : (21 / 142) .

(1) : [يوسف : 30] .

(2) : [يوسف : 51] .

(3) : [يوسف : 78] .

(4) : [يوسف : 88] .

ولفظ العزّة أصبح علماً لكل من يملك إمرةً في بلاد مصر (لأنّ كلّ من ملك اليمن : يُسمّى ثُبَعًا ، كما أنّ كلّ من ملك فارساً : يُسمّى كِسْرَى ، وكلّ من ملك الروم : يُسمّى قَيْصَرًا ، وكلّ من ملك الحبشة : يُسمّى النجاشي ، وكلّ من ملك الثرك : يُسمّى خَاقَان) (1) .

القسم السابع : (العزّة في الأفعال) : وهي ثلاث آيات ، الأولى : على صيغة المضارع من أعزّ ، وهي قوله تعالى : + قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ " (2) ، والثانية والثالثة : على صيغة الماضي (عزّ) في قوله تعالى : + إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِذْ نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٣١﴾ " (3) ، وقوله ﴿٤٠﴾ : + إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٤١﴾ " (4) .

المحور الثاني : مجيء ألفاظ في القرآن مُعبّرًا بها عن معنى العزّة ، أو بما يؤول إليه معنى العزّة ، ومن ذلك :

(1) (الرفع) قال تعالى : + يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾ " (5) ، (والدرجات مستعارة

للكرامة ، فإنّ الرفع في الآية رفعًا مجازيًا ، وهو التفضيل والكرامة ، وجيء للاستعارة بترشيحها بكون الرفع درجات) (6) ، فيلاحظ هنا أنّ رفعة الدرجات كان القصد منها المعنى المجازي المحمول على الكرامة والعزّة ، ومن هنا كانت الرفع تستلزم معنى العزّة كما هو

(5) : عمدة القاري (19 / 233) .

(1) : [آل عمران : 26] .

(2) : [ص : 23] .

(3) : [يس : 14] .

(4) : [المجادلة : 11] .

(5) : ((التحرير والتنوير)) للشيخ : محمد الطاهر ابن عاشور ، (م 11 ، ج 28 / 42) .

واضح من خلال السياق ، وكذلك قوله تعالى : **نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ^ط وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾** " (1) .

(2) (ولاية الله للمؤمنين) : في مثل قوله تعالى : **+ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾** " (2) ، وقوله تعالى : **+ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٧﴾** " (3) ، قال الطبري : (يعني تعالى ذكره بقوله : **+ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا** " : نصيرهم وظهرهم ، يتولاهم بعونه وتوفيقه) (4) .

وهذه العزّة متحققة للمؤمنين بولاية الله لهم ، وولاية الله أعظم عزّة ، ولذلك قال البقاعي (5) في قوله تعالى : **+ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ** **وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾** " (6) : (وللمؤمنين : أي الذين صارَ الإيمان لهم وصفاً راسخاً ؛ لأنّ عزّتهم بعزّة الولاية ، ونصر الله إيّاهم عزّة لرسولهم x ، ومن تعزّز بالله لم يلحقه ذلٌّ) (7) .

(6) : [يوسف : 76] .

(1) : [البقرة : 257] .

(2) : [يونس : 62] .

(3) : ((جامع البيان)) : (424 / 5) ، وانظر : ((معالم التنزيل)) : (315 / 1) .

(4) : هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي ، أبو الحسن برهان الدين : مؤرخ أديب ، أصله من البقاع في سورية ، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة ، وتوفي بدمشق سنة (885 هـ) . ((الأعلام)) : (56 / 1) بتصرف .

(5) : [المنافقون : 8] .

(6) : ((نظم الدرر)) : (90 / 20) .

(3) (العلو) : وقد يكون حسياً أو معنوياً ، وأعني به عزّة المكان والمكانة الناتجة للمؤمن تجاه الكافر ، قال تعالى : + وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ " (1) .

وقال تعالى : + فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ ﴿١٤٠﴾ " .

قال الطبري : (قال ابن زيد في قوله + فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ " : لا تضعف أنت وتدعوهم إلى السلم وأنت الأعلى ، قال : وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال ، يقول : لا تهن فتضعف ، فيرى أنك تدعو إلى السلم وأنت فوقه ، وأعزّ منه ، + وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ " : أنتم أعزّ منهم) (2) ، فهذه عزّة معنوية ، وقد تكون حسية كانتصار المسلمين على الكافرين .

(4) (نصره الله للمؤمنين) : وأمثله كثيرة ، ومن ذلك قوله ﴿١٤١﴾ : + إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤٢﴾ " (3) ، وقوله ﴿١٤٣﴾ : + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿١٤٤﴾ " (4) ، وقوله ﴿١٤٥﴾ : + وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴿١٤٦﴾ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٧﴾ " (5) .

(1) : [آل عمران : 139] .

(2) : ((جامع البيان)) : (22 / 189) ، وانظر ((زاد المسير)) : (7 / 196) .

(3) : [آل عمران : 160] .

(4) : [محمد : 7] .

(5) : [يونس : 47] .

(5) (معية الله للمؤمنين) : قال تعالى : + **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٥١﴾ " (1) ، فالمعية تستلزم معنى النصرة ، والنصرة : عِزَّة .

(6) (عاقبة الموالين لله) : قال تعالى : + **وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴿٥١﴾ " (2) ، والغلبة من معاني العزّة كما سبق (3) .

(7) (دفاعه سبحانه عن المؤمنين) : قال تعالى : + **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴿٥١﴾ " (4) .

قال ابن الجوزي (5) : (قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألف ، وهذا على مصدر «دَفَع» . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي : «إن الله يدافع» بألف «ولولا دفع» بغير ألف ، وهذا على مصدر «دافع» ، والمعنى : يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم) (6) .

المحور الثالث : مَجِيءُ التعبير القرآني بذكر سبب من الأسباب الموصلة

إلى العزّة ، وهي كثيرة كذلك ، ومن ذلك :

(2) : [الأنفال : 19] .

(3) : [المائدة : 56] .

(4) : انظر صفحة : (27 ، 28 ، 31 ، 42 ، 51) .

(5) : [الحج : 38] .

(6) : هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج : علامة عصره في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف ، مولده ووفاته ببغداد ، له نحو ثلاث مئة مصنف ، منها : ((تلقيح = فهم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار)) قطعة منه ، و ((الأذكياء وأخبارهم)) و ((مناقب عمر بن عبد العزيز)) ، توفي سنة (597 هـ) . ((الأعلام)) : (3 / 316) .

(1) : ((زاد المسير)) : (5 / 318) .

1. (التمكين للمؤمنين في الأرض ، وخلافتها ، والأمن فيها) حيث إنه صورة من صور العزّة ؛ وعد الله به المؤمنين مقابل : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قال الله تعالى : + الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَقِيبَةُ الْأُمُورِ ﴿١١﴾ " (1) .

وذكر في آية أخرى أمرين جامعين لتحقيق هذا السبب المذكور ، فقال ﷻ : + وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٤٦﴾ " (2) .

2. (نصره الله لمن ينصره) : قال تعالى : + الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُلِدَّتْ صَوَامِعُ وَيَعٍ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٢٤﴾ " (3) .

3. (تحقيق تقوى الله سبيل إلى نيل العزّة والرفعة في الدنيا والآخرة) : قال تعالى : + زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣١﴾ " (4) ، والفوقية

(2) : [الحج : 41] .

(3) : [النور : 55] .

(1) : [الحج : 40] .

(2) : [البقرة : 212] .

والعلو هنا قد يكون حسياً في الجنة ، وقد يكون معنوياً بمعنى رفعة الدرجات
(1) .

المحور الرابع : مجيء التعبير القرآني بذكر أصدقاء العزّة ، من ذلّ
وكبرٍ ومهانةٍ وضعفٍ وخسرانٍ وما إلى ذلك من معانٍ ، وهي كثيرةٌ ؛ منها
:

قوله تعالى : **+ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ** ﴿١٠٦﴾ (2) ، قال الطبري :
ولا تُطع يا محمد كلّ ذي إكثارٍ للحلف بالباطل ، (مهين) : وهو الضعيف ،
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

غير أنّ بعضهم وجّه معنى المهين إلى الكذاب ، وأحسبه فعل ذلك
لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه عليه ، وكذلك
صفة الكذوب ، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه (3) .

وقوله ﷺ : **+ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِن أَصَابَهُ خَيْرٌ**
أَطْمَأَنَّنَ بِهِ ۖ وَإِن أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ ﴿١١٠﴾ (4) .

قال ابن كثير (5) : (فلا هو حصل من الدنيا على شيء ، وأمّا
الآخرة فقد كفر بالله العظيم ، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة ؛ ولهذا قال :
+ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ ") (6) .

(3) : انظر : ((فتح القدير)) : (1 / 278) .

(4) : [القلم : 10] .

(5) : ((جامع البيان)) : (12 / 183) .

(1) : [الحج : 11] .

(2) : هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، الدمشقي ، أبو الفداء ، عماد الدين : حافظ مؤرخ
فقيه ، وُلد في قرية من أعمال بصرى الشام ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ، ورحل
في طلب العلم ، وتوفي بدمشق سنة (774 هـ) . تتناقل الناس تصانيفه في حياته .

من كتبه : ((البداية والنهاية)) في التاريخ ، و ((شرح صحيح البخاري)) ، و ((تفسير القرآن
الكريم)) . ((الأعلام)) : (1 / 320) بتصرف .

(3) : ((تفسير القرآن العظيم)) : (4 / 415) .

وقوله ﷻ : + يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ^ع إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ^ط وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ^{٧٣} (1). ذكر أبو حيان الأندلسي (2) في تفسير الطالب والمطلوب : (العابد والمعبود فضعف العابد في طلبهم الخير من غير جهته ، وضعف المعبود في إيصال ذلك لعابده _ ثم قال _ قال الزمخشري : كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ، ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب ، وذلك مغلوب والظاهر أنه إخبار بضعف الطالب والمطلوب . وقيل : معناه التعجب ، أي : ما أضعف الطالب والمطلوب) (3) ، والله تعالى أعلم .



(4) : [الحج : 73] .

(5) : هو أنير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ، وُلد بمطخشارش (مدينة من حاضرة غرناطة) ، كان عالماً بالنحو والعربية والأدب والتفسير والحديث ، من تصانيفه : البحر المحيط ، ومختصره النهر ، والتكميل في شرح التسهيل ... ، توفي سنة (754 هـ) انظر ترجمته في ((أعيان العصر وأعوان النصر)) للصفدي : (5 / 235) ، و ((معجم المؤلفين)) : (3 / 784 ، 785) برقم : (16473) .
(1) : ((البحر المحيط)) : (6 / 390) .

المبحث الثاني :

(عناية القرآن الكريم بالعزّة)

وفيه تمهيدٌ ومطلبان :

المطلب الأول :

(فضلُ العزّة والتّناء على أهلها)

المطلب الثاني :

(مظاهرُ العنايةِ القرآنيّةِ بالعزّة)

مَهَيِّدٌ

إنّ المتأمل في القرآن الكريم يُدرك اهتمام القرآن ببناء شخص صية الفرد المسلم بناءً قوياً ، ولذلك نجد أنّ الإسلام قد أحاط المرء منذ أن كان حَمْلاً في بطن أمّه بسياج من العزّة متين ، فلا يُمارس مع أمّه الذلّ أو أي نوع من أنواع الإهانة كالضرب والشتم مثلاً ؛ لكي لا يُصبح ذليلاً يوماً ما ؛ لأنّه من المعلوم أنّ مثل هذه العوامل (تُؤثر على أعصاب الأمّ في هذه المدّة ، من استقرار واضطراب ، وأمن وخوف ، وسرور وحزن ، وتؤثر على حملها تبعاً لذلك) (1) .

وكذلك إذا أصبح غلاماً يافعاً فإنّه لا يُمارس معه أي مظهر من مظاهر الذلّ ، فإنّ على الأب أن يُربيّه على الشجاعة والكرم والعبادات والأخلاق الفاضلة التي من شأنها أن تقوده إلى العزّة ، ويمتنع عن ضربه أو شتمه أو الاستهزاء به أو تربيته على الجبن والبخل وترك الطاعات والأخلاق الذميمة ، التي من شأنها أن تقوده إلى المذلة والهوان .

ولو نظر المرء _ نظرة تأمل _ إلى فترة العهد المكيّ وما صاحبها من أحداث ؛ لوجد أنّ القرآن الكريم كان يُوجّه إلى ترسيخ المعاني التي يحتاجها الفرد والمجتمع آنذاك كالعقيدة ، والترغيب والترهيب من خلال ذكر قصص الأولين وذكر الجنة والنار ، وترسيخ بعض الأخلاق الأساسية

...

وكان من تلك المعاني والأخلاق التي تمّ ترسيخها _ من خلال ذلك التوجيه _ : معاني العزّة على اختلاف المعنى المقصود منها ، أو المنسوب إليه تلك اللفظ .

وقد كان اهتمام القرآن وعنايته بهذا الجانب مُتنوعاً على أربع هِيئات ، فمرةً : يذكر لفظ العزّة تصریحاً ، وأخرى : يذكر اللفظ الذي يؤول معناه إلى عزّة ، وثالثةً : يذكر السبب الذي من شأنه أن يكون جسراً مُوصِلاً إلى بوابة العزّة ، ورابعةً : بدم أصدادها ومقابلاتها .

(1) : ((القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية)) للدكتور : محمد جمعة عبد الله ، (26) .

وعموماً ؛ فقد وردت لفظة العزّة ومشتقاتها في القرآن الكريم (119)
مرّة ، في (48) سورة ؛ كان نصيب المكي ⁽¹⁾ منها : (72) آية في (33)
سورة ، ونصيب المدني منها : (49) آية في (15) سورة .

وقد بلغ عدد ألفاظ العزّة المصرّح بها في القرآن الكريم (27) لفظة ،
كان نصيب المكي منها : (20) لفظة في (13) سورة ، وكان نصيب
المدني منها : (7) ألفاظ في (6) سور ، فكان نصيب الآيات المكية لهذا
اللفظ أكثر من الآيات المدنية من أجل تأسيس معنى العزّة في النفوس ، والله
أعلم ⁽²⁾ .

وأما آيات العزّة المدنية فقد كانت صريحة في طلب العزّة وتهييج
نفوس المؤمنين على اكتسابها ، والترهيب من تركها ، أو طلبها من غير
مطابقتها ، ولا أدلّ على ذلك من آيتي سورة (النساء) وسورة (المنافقون)
، فقد كانتا في معرض الحديث عن المنافقين وذمّهم بسبب تعزّزهم باليهود ،
قال تعالى + الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ
عِنْدَهُمْ وَالْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٦٦﴾ " (3) ، وردّ ادعائهم الباطل بأنهم
أصحاب عزّة وشرفٍ بقوله تعالى : + يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ؕ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾ " (4) .

وجاءت الآية (54) من سورة المائدة تصبّ في نفس الاتجاه ، +
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

(1) : على الأشهر من تعريف المكي ؛ وهو : ما نزل قبل الهجرة ، ولو كان في أيّ مكان ، كما
أشار إلى ذلك : السيوطي _ رحمه الله _ في : ((الإتيان في علوم القرآن)) : (16 / 1) .

(2) : هذا العدد من غير اللفظة المكرّرة في نفس الآية كقوله تعالى : + أبيتُّنَّ عندهم العزّة
فإنّ العزّة .. " ، وللاستزادة راجع : ((المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)) لمحمد فؤاد عبد
الباقي ، (617 ، 618) .

(1) : [النساء : 139] .

(2) : [المنافقون : 8] .

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾ " (1) .

وأما عن لفظة العزّة صفةً لله ﷻ ، فقد وردت في القرآن العزيز (92 مرةً ؛ كان نصيب المكي منها (48) آية ، ونصيب الآيات المدنية منها (41) آية .

وكان لهذا الاهتمام المكي بهذه اللفظة حكمةً بالغة من الله ﷻ ، وهي أنّ الله ﷻ أراد أن تمتلئ أسماع المؤمنين بهذه اللفظة ، وترسخ معانيها في أذهانهم ، فيترّبون على حبّها في بداية الأمر .

(فكانه أراد بذلك أن يملأ أسماع المؤمنين بحديث العزّة والقوّة ، فإذا ما سيطر عليهم اليقين بعزّة ربهم ، استشعروا القوّة في أنفسهم ، واعتزّوا بمن له الكبرياء وحده في السماوات والأرض ، وتابّوا على الهوان حين يأتيهم من أي مخلوق ، وفزعوا إلى واهب القوّة والقدر ؛ يرجونه أن يعزّهم بعزّته) (2) .

كما أنّ هذه العناية القرآنية اشتملت على آياتٍ وألفاظٍ كثيرة يؤول معناها إلى معنى من معاني العزّة على وفق المقرر لغةً و اصطلاحاً ، وكذا ذمّ كلّ خلقٍ يصاد أمر العزّة في قلب المؤمن ؛ كالوهن فقال تعالى : + وَكَأَيِّنْ مِن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ " (3) ، والمذلة كما في قوله تعالى : + وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

(3) : [المائدة : 54] .

(4) : ((موسوعة أخلاق القرآن)) : (1 / 17) .

(1) : [آل عمران : 146] .

يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ " (1) ، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة الدالة على عناية القرآن بهذا الخلق الكريم .

المطلب الأول

فَضْلُ الْعِزَّةِ وَالتَّنَائِ عَلى أَهْلِهَا

(العزّة خلقٌ إسلاميٌّ ، وهي صفةٌ نفسيةٌ نبيلةٌ ، وهي تحمل معنى الإباء والألفة . فالعزيزُ : هو الذي يأبى النقصَ ، ويأنف أن يفعل أو يقدم على ما يمكن أن يمسّ كرامته ، أو يلمز في شخصيته) (1) .

ومن هذا المنطلق فإنّ المسلم يحرص على فعل المستحبات وترك المكروهات وما يخشى ضرره ؛ ومن باب أولى ترك المناهي وفعل المأمور به قدر الاستطاعة ، فقد قال الرسول * عندما سُئل عن الإحسان : « .. أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ .. » (2) .

وقد بيّن الله ﷻ أنْ خُلِقَ العزّة من لوازم الإيمان العظيمة ؛ لأنّه نادى المؤمنين به في قوله تعالى : + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ " (3) ، فالعزّة _ المستمّدة من عزّته تعالى _ : صِنُو الإيْمَان فِي الْقَلْبِ الْمُؤْمِنِ ، ولذلك وجب على المؤمن أن يُحصّلَ من الأعمال والأخلاق ما يكون به عزيزاً في نفسه وفيما بينه وبين الناس .

فخلق العزّة _ الفردية والجماعية _ هو بوابة الإسلام ، وحصنه الحصين الذي يحفظ على المسلمين أمنهم وإيمانهم ، ويحفظهم من كيد أعدائهم وتكالبهم عليها ، ويحفظ نفس المرء من أن تُذل بفعل الكبائر والمعاصي ، أو ترضى بالذلّ لغير الله ﷻ .

وخلق العزّة له فضله العظيم ؛ حيث هو قدوة وسلوك يظهر على صاحبه فيفتدي به الآخرون .

وقد أثنى الله تعالى في القرآن على أهل العزّة المؤمنين في مواضع من القرآن ، ومن ذلك : قول الله ﷻ : + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

(1) : ((الأخلاق والأخلاق التطبيقية في الشريعة الإسلامية)) لمحمد ماجد عتر ، (143) .
 (2) : الحديث رواه مسلمٌ ، وقد سبق في ص : (13) .
 (3) : [المائدة : 54] .

مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ " (1) .

حيث أبان ﷺ في الآية بأنه مُحِبٌّ لِمَنْ حَقَّقَ الصفات التالية :

الصفة الأولى : اللين والتواضع للمؤمنين .

الصفة الثانية : الشدة والغلظة على الكافرين .

الصفة الثالثة : الجهاد لإعلاء كلمة الله ﷻ .

كما بيّن أنّ من فعل هذه الصفات بأنه مُحِبٌّ لله ﷻ ، وهذا ظاهرٌ في المدح والثناء على من حَقَّقَ العزّة المذكورة في الآية .

وقد ذكر الرازي في ((تفسيره)) : أنّ الله ﷻ مدحَ المؤمنين بقوله :
+ تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ " (2) ، على معنى
المحبة والنصرة (3) .

ومن هذه المواطن التي يُمدح فيها أهل العزّة : قول الله ﷻ : + يَقُولُونَ لَيْنَ

رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَأَعِزُّ مِنْهَا الْأَذِلَّةُ وَاللَّهُ أَعِزُّ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَيْكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ " (4) .

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ
الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ . فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ × قَالَ : « مَا هَذَا ؟ ! »
فَقَالُوا : كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا
لِلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ × : « دَعُوهَا فَإِنَّهَا

(1) : [المائدة : 54] .

(2) : [المائدة : 54] .

(3) : ((التفسير الكبير)) : (6م ، ج 12 / 29) بتصرف يسير .

(1) : [المنافقون : 8] .

مُتَبِّئَةٌ « قال جَابِرٌ : وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ * أَكْثَرَ نَمِّ كَثْرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، قَالَ النَّبِيُّ * : « دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » (1) .

زاد الترمذي : (وقال عَيْرُ عمرو : فقال له ابْنُهُ عبد الله بن عبد الله : والله لا تنفلت حتى تُقِرَّ أَنَّكَ الدَّلِيلُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ * الْعَزِيزُ ؛ ففَعَلَ) . (2)

وقد أظهرت هذه الحادثة طويّة المنافقين ، وما اشتملت عليه قلوبهم من بُغْضٍ للمؤمنين ، وهو ما أظهره رأس النفاق : عبد الله بن أبي بن سلول حين قال : (ما مثلنا ومثل هؤلاء _ يعني المهاجرين _ إلا كما قال القائل : سمن كلبك ؛ يأكلك) (3) .

(وإرْمًا أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل هو فَرْدٌ من أفرادهم _ وهو عبد الله بن أبي _ ؛ لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم ، وهم راضون بما يقوله ، سامعون له مطيعون) (4) .

والشاهد من هذه القصة : أن المؤمنين قد امتدحهم الله بالعزّة ، وكذب زعم المنافقين الذين ادعوا لأنفسهم في هذه الآية .

والعزّة لها فضائل عديدة ، منها :

1- **أنها تربط العبد بالله ﷻ** ؛ لأن الله هو الواهب الحقيقي لها ، فيرتبط العبد بربه : إيمانًا ، و يقينًا ، ودعاءً ، وتوكلاً ، وخوفًا ، ورجاءً ...

2- **أن هذه العزّة لا تنال إلا بطاعة الله ، وطاعة الله مأجور عليها صاحبها .**

(2) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (306 / 3) ، برقم : (4907) ، في كتاب : (التفسير) ، باب قوله تعالى : + يَقُولُونَ لِنُنْزِلَنَّكَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّكَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " ، ومسلم في ((صحيحه)) : (4 / 1586) ، برقم : (2584) ، في كتاب : (البر والصلة والآداب) ، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا .

(3) : ((سنن الترمذي)) : (417 / 5) ، برقم : (3326) ، في كتاب : (تفسير القرآن) ، باب : (وَمِنْ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(1) : ((تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، (801) ، ورواية (ما مثلنا ومثل هؤلاء) حكم عليها ابن حجر بالإرسال عن قتادة ، انظر ((الفتح)) : (8 / 838) .

(2) : ((فتح القدير)) : (5 / 281) .

قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) : (وأما قوله تعالى + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (1) فمعناه : من كان يُريد أن يُعزَّزَ فليكتسب العزّة من الله فإنها له ، ولا تُنال إلا بطاعته ، ومن ثمّ أثبتتها لرسوله وللمؤمنين فقال في الآية الأخرى + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ " (2) .

3- أن المتصف بها _ بعد كونه مستحقاً لها بتحقيق سببها الرئيس وهو طاعة الله _ : قد شرفه الله ﷻ بالنسبة إليه ، ومن أحسن ممن انتسب لربّ العزّة والجلال !؟

4- أنها تُحقّق للفرد المسلم : قوّته ، وشرفه ، وكرامته ، وكبريائه ، من غير تعدّ وترفع على الخلق بغير حقّ ، فهي لا تجعله يخبط خبط عشواء ، ويذهب يمينه ويسرة في طلبها وتحقيقتها ؛ بل تجعله مُنزناً لأن مصدرها واحد ، وأسباب تحقيقتها معروفة محدودة .

5- كما أنها تُحقّق للأمة الإسلامية جمعاء : المجد والسؤدد ، لتتبوأ مكانتها اللائقة بها بين الأمم ؛ إذا طبقت بمعانيها الصحيحة ، وابتعدت عن أسباب الذلّ والهوان ، وهو ما حذرنا منه الرسول x بقوله : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورَضَيْتُم بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ : سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا ، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » (3) .

يقول محمد العظيم أبادي في ((عون المعبود)) : (سلط الله عليكم ذلًّا : _ بضم الذال المعجمة وكسر ها _ أي صغاراً ومسكناً ، ومن أنواع الذلّ : الخراج الذي يسلمونه كل سنة لملاك الأرض .

(3) : [فاطر : 10] .

(4) : ((فتح الباري)) : (13 / 369) .

(1) : الحديث أخرجه : أبو داود في : ((سننه)) : (4 / 168 ، 169) ، برقم : (3456) في كتاب : (البيوع) ، باب : في النهي عن العينة ، والبيهقي في : ((السنن الكبرى)) : (5 / 516) ، برقم : (10703) ، في كتاب : (البيوع) ، باب : ما ورد في كراهية التبائع بالعينة ، وأحمد في : ((مسنده)) برقم : (4825) ، (8 / 440) ، وقال البيهقي : (قال ابن التركماني : ذكره ابن القطان من وجه صحيح عن عطاء عن ابن عمر - وذكر الحديث - ثم صححه - أعني ابن القطان - وقال : هذا الإسناد كلّ رجاله ثقات) ، وصحّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) : (2 / 365) .

وسبب هذا الذلّ والله أعلم : أنهم لمّا تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عزّ الإسلام وإظهاره على كل دين ، عام لهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلّة بهم ، فصاروا يمشون خلف أذنان البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعزّ مكان (1) .

ففتنة الناس بالدنيا وما فيها من أموالٍ وحرثٍ وزرع ، إذا كانت مُقدّمة على أوامر الله وترك نواهيهِ : كانت الحقيقة الكونية المُرّة وهي (الذلُّ) ، قال الشاعر :

أَلَا إِنَّمَا التَّفَوَى هُوَ الْعِزُّ وَالكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الدُّلُّ وَالْعَدَمُ (2)

وللعزّة فوق ما ذكرَ : فضائل ومآثر _ فرعية _ على الفرد والمجتمع ، وذلك وفق البيان التالي :

1- **أنّها تحمي المسلم من الانحراف** ، وذلك حين يستعلي فيها المسلم بعزّة نفسه على شهواته وملذّاته المحرّمة ، فلا يفعلها خوفاً من الله ﷻ ، وترفعاً من مواطن الحمق والرذيلة والمهانة .

2 - **أنّها تُحرّر المسلم من** : رِقِّ الأهواء ، والركوع والخضوع للمخلوقين ، وتُجعله لا يسير إلاّ وفق ما شرّع الله ورسوله x .

3 - **أنّها تُحرّر المسلم من** : ذلّ الطمع والجشع ، الذي يجعله عبداً لدرهمه وداره ومركبه ، فتجده غير مقتنع بما قسم الله له ، حتى يذهب لأكل الحرام من دون أدنى مبالاة ؛ **تَعَسَ وَأَنْتَ كَسَ ..!**

4 - **أنّها تُحقّق للمسلم** : إيمانه بالله ﷻ ، حينما يُذلُّ نفسه وجسده بين يدي مولاه ، ويُمرّغ وجهه في الأرض لخالقه الإله .

ومقابلة عزّة الله بذلّ العبد من أشرفِ المواطن وأحسنها ؛ لأنّ الله خلق عباده من أجل أن يُعزّهم بطاعته ، ولا يكون ذلك إلاّ بالتذلّ له ﷻ .

(1) : ((عون المعبود)) : (242 / 9) .

(2) : البيت لأبي العتاهية : إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء ، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية : شاعر مُكثر ، سريع الخاطر ، في شعره إبداع ، كان ينظم المائج ، والمائج والخمسين بيئاً في اليوم ، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل ، توفي سنة (211 هـ) . ((الأعلام)) : (321 / 1) . وانظر البيت في : ((ديوان أبي العتاهية)) : (349) .

- 5 - **أَنَّهَا تُحَقِّقُ لِلْمُسْلِمِ** : كيانه ، وشخصيته في ظلّ تعاليم الإسلام ، وتنظيم الحياة وفق ذلك في شتى المجالات .
- 6 - **أَنَّهَا تُحَقِّقُ لَهُ** : ما يُوافق فطرته السليمة التي خلقه الله ﷻ عليها ، وما يحتاجُ في تلبية النقص والتقصير الحاصلان من جرّاء وقوع المرء في أحوال الدنيا وذرائلها .
- 7 - **أَنَّهَا تُحَقِّقُ لِلأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ** : مكانتها بين الأمم ، فتجعلها قائدة لا مَفُودَة ، وسيدة لا مَسُودَة .
- 8 - **أَنَّهَا تُمَكِّنُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا فِي الذُّودِ عَنِ حِمَى الإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ** ، فلا يُمَسَّ جَنَابُهُ ما دامت فيه تلك العزّة .
- 9 - **أَنَّهَا تُرَبِّي عَلِيَّ** : قولة الحقّ ، وإقامة العدل بالعلم ، وإتباع العلم بالعمل .
- 10 - **أَنَّهَا تَجْعَلُ مِنْ أَفْرَادِهَا** : دعاءً إلى الخير على الحقّ ، مشفقين على الخلق .
- 11 - **أَنَّهَا تُحَقِّقُ لِلجَمَاعَةِ المَوْمِنَةِ** : الترابط بين أفرادها ، فالأخوة الإيمانية الحقيقية التي تذوب في ساحتها الشعارات والمصالح ، شعارها : التواضع ، واللين ، والمحبة ، والشفقة ، والنصح من غير فضيحة ، والمناصرة .
- 12 - **إِنَّهَا تُعِينُ عَلِيَّ** : نصرة المظلوم ، وردع كيد الظالم ، ومُحاربة الغاشم .

المطلب الثاني

مَظَاهِرُ العِنَايَةِ القُرْآنِيَّةِ
بِالعِزَّةِ

إنّ اعتناء القرآن بأيّ لفظٍ أو معنى جاء فيه ؛ له مظاهره التي تدلُّ على اهتمامه به ، ومن ثمّ أهميته .

وهذه المظاهر ليست حكرًا على أحد في استنباطها ؛ بل هي محض فضل الله ﷻ يُؤتيه من يشاء من عباده ، فقد يظهر للمتدبر لآيات القرآن ما لا يظهر لمتدبر آخر ، وفضلُ الله واسع ، ولا يحدُّ كرمه مانع .

إلاّ أنّه قد ظهر _ عند البحث _ بعضٌ من مظاهر العناية القرآنية لخلق العزّة ؛ أجمالها فيما يلي :

أولاً : (كثرة ذكر القرآن للفظ العزّة) ؛ حيث سبق أنها وردت في القرآن الكريم بـ مشتقاتها (119) مرّة _ من غير اللفظ الذي يؤول إلى معناها ، أو ما جعل سببًا مُوصلاً إليها _ ، وهذا العدد ليس عددًا قليلًا .

ثانيًا : (تنوع معانيها التي تؤول إليها ، والمذكورة في القرآن العظيم في مواضع شتى) ؛ ممّا يزيد من أهميتها ، ومن ثمّ يدلُّ تعدّد معانيها في القرآن على شأن العناية بها .

ثالثًا : (ذكره لمصدر العزّة الحقيقي الذي تُطلب منه ، والمعطى لها : وهو الله ﷻ) ، وذلك في أكثر من سورة من سورة وآية) ؛ بل أخذ يُقرّر هذا المعنى في أكثر من سورة ، بلها أكثر من آية ؛ حتى غدا قاعدة العزّة الأولى ؛ لأنّ العزّة لها قاعدتان أساسيتان :

القاعدة الأولى : (أنّ العزّة لله ، ومن الله) فهي له ، ومنه ﷻ .

القاعدة الثانية : (أن طريق نيل العزّة واحد : وهو تقوى الله ﷻ) وتقوى الله ﷻ تقود إلى عمل الصالحات ، وترك المنكرات .

والعزّة _ في الحقيقة _ لا تطلب إلاّ من الله ﷻ ، قال ﷻ : + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (1) ، قال الراغب الأصفهاني : (معناه : مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُعَزَّ ، يَحْتَاجُ أَنْ يَكْتَسِبَ مِنْهُ تَعَالَى الْعِزَّةَ فَإِنَّهَا لَهُ) (2) .

(1) : [فاطر : 10] .

(2) : ((المفردات في غريب القرآن)) : (2 / 433) .

وقال ابن القيم : (وقال تعالى + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " :
أي من كان يطلب العزّة فليطلبها بطاعة الله ؛ بالكلم الطيب والعمل الصالح .
وقال بعض السلف : الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في
طاعة الله ﷻ ...

وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه ، ولا يذل من و الإله ربه ، كما
في دعاء القنوت : إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت (1) . (2)

وهذه الحقيقة مستقرّة عند أئمة التفسير قاطبة ولم يخالفها فيهم أحد (3)
؛ لأنها ثابتة نصاً وعقلاً ، حساً ومعنى .

أما النص : فقد ثبت في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله x :

فمن الكتاب : قوله تعالى : + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (4)

قال القرطبي : (فمن طلب العزّة من الله وصَ دَقَّ في طلبها بافتقار
وذلل ، وسكون وخضوع ، وجدها عنده إن شاء الله غير ممنوعة ولا
مَحجوبة عنه ، قال x : « وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » (5) ، ومَن
طلبها من غيره وكله إلى من طلبها عنده (6) .

ومن السنة : قوله x : « قال الله ﷻ للكبرياء ردائي ، والعظمة
إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما : ألقيته في النار » (7) .

(4) : سبق تخريجه في صفحة : (14) .

(3) : ((إغاثة اللهفان)) : (100 / 1 ، 101) .

(5) : وانظر على سبيل المثال : ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن)) ، و((تفسير البيضاوي
بحاشية الخفاجي)) : (574 / 7) ، وابن كثير في ((تفسير القرآن العظيم)) : (396 / 2) ،
وتفسير : ((التسهيل لعلوم التنزيل)) محمد بن أحمد بن جزي الكلبّي : (155 / 3) .

(6) : [فاطر : 10] .

(1) : ((صحيح مسلم)) : (1588 / 4) ، برقم : (2588) كتاب : (البر والصلة والآداب)
، باب استحباب العفو والتواضع .

(2) : ((الجامع لأحكام القرآن)) : (355 / 17) .

(3) : أخرج أبو داود في ((سننه)) : (417 / 4) ، برقم (4087) ، في كتاب : (اللباس)
، باب : ما جاء في الكبر ، وابن ماجه في ((سننه)) : (458 / 4) ، برقم (4176) ، في
كتاب : (الزهد) ، باب : البراءة من الكبر والتواضع ، وصححه الألباني في ((صحيح سنن
أبي داود)) : (517 / 2) .

قال الخطّابي : (معنى هذا الكلام أنّ الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه ، واختصّ بهما لا يشركه أحد فيهما ، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما ؛ لأنّ صفة المخلوق التواضع والتدلل ، وضرب الرّداء والإزار مثلاً في ذلك ، يقول والله أعلم كما لا يشرك الإنسان في رداءه وإزاره فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق) (1) .

وأما العقل فمن جهتين : فلأنه يُرشد المرء إلى الوسائل الحقيقية التي تُهديه إلى هذا الخلق وأمثاله ، فالعقل يدل الإنسان مثلاً إلى أنّ القوّة في موطنها عزّة ، والرحمة في موطنها عزّة ، والكرم إن لم يكن تذبذباً عزّة ، وحبس النفس عن فعل الشهوات عزّة ، وطاعة الله وذكره عزّة ، ونصرة المظلوم عزّة ، وهكذا ...

ولأنّ حاجة العقل مرتبطة بإشباع عاطفة النفس وغرائزها ، فالنفس تُحبُّ الرفعة والكرامة والقوّة ، وتكره المدّة والضعف والهوان ؛ فكانت حاجة العقل هذه دالة وموصلة إلى مالك هذه الأنواع من العزّة والكرامة ، فتلجأ النفس إلى التدلل لله وحده ، وتطبيق شرعه لتنال منه العزّة ، والعقل السليم لا يبلّ إلا على ذلك .

فدلّ الشرع والعقل على أنّ العزّة ملكٌ لله عزّ وجلّ ، وأنها لا تُطلب إلاّ منه .

رابعاً : (تربية المؤمنين عليها ، ودلائلهم على أسباب تحقيقها في ذواتهم ومجتمعاتهم ؛ سواءً أكانت هذه التربية تصريحاً أو تلميحاً) .

ويمكن أن يتصور هذا المعنى ؛ في قول الله عزّ وجلّ : + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ

فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ... " (2) ، فقله عزّ وجلّ : (من كان يريد) : فيه ملامسة

لشغاف القلب ، ممزوجة بالترغيب والترهيب ؛ لتذهب إلى عزيمة ذلك القلب ، فتدفعه نحو المعالي وطلب العزّة .

وهذه تربية صريحة على طلب العزّة ممن يملكها عزّ وجلّ ؛ لأنه صريح بلفظها .

(4) : انظر ((عون المعبود)) : (6م ، ج 11 / 101) .

(1) : [فاطر : 10] .

وأما التربية عليها تلميحاً فقد وردت في مواطن كثيرة ، منها : قوله تعالى : + وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٥٦﴾ " (1) .

فقد جعل الله ﷻ الاستخلاف في الأرض ، والتمكين فيها _ وذلك دليلٌ على العزّة _ لمن حقّق الإيمان ، وعمل الصالحات ، ولم يشرك به ﷻ .

خامساً : (التدرج في تلقين معنى العزّة ومفهومها) ؛ بل إنّ مفهومها لم يكتمل من جميع جوانبه إلا في العهد المدني حين أمر الله المؤمنين بالقتال ، وعدم موالاته الكفار ، وذلك بعد قيام دولة الإسلام في المدينة .

وفي هذا حكمة بالغة من ربّ العزّة والجلال ؛ لأنه ليس من المناسب في ابتداء الإسلام وإرادة إقامة دولته : أن يُبَيِّتَ في قلوب أفراد ذلك المعنى ؛ لقلّة العدد والعُدّة ، ولضعف المسلمين وضعف شوكتهم آنذاك .

في حين أمرَ به بعد أمرين :

الأمر الأول : (بعد العهد المكي) .

الأمر الثاني : (بعد إقامة دولة الإسلام لا أثناء الإرادة) .

حيث إنّ المقصود في ذلك العهد المكي : بثّ روح الإسلام وأخلاقه العظام ، وترسيخها ببعض وجوهها لكي تستقرّ في أنفس أصحابها .

فبيّن معنى العزّة ، وأنها لا تكون إلاّ لله فهو مالکها ، وأنها لا تكون إلاّ منه لأنه واهبها .

فنترسخ هذه المعاني العظيمة في قلوب المؤمنين ، وتتعلق قلوبهم بالله ، فلا يأخذون إلاّ الله ، ولا يُعطون إلاّ الله ...

ولأنّ الله ﷻ لو أمر بأمر ، أو نهى عن منكر ؛ لم يكن منهم أو من بعض أفرادهم كبير استجابة ، ومن هذا القبيل : التدرج الحكيم من رب العالمين في تحريم الخمر ؛ حيث كان المقصود : أن يُذهبَ من النفوس _ التي كانت مُولعةً بحبه _ البغض له ، ثم إنه لو حرّم الخمر جملةً واحدةً _ ولم يسبق ذلك ترغيب وترهيب _ لم استجاب أحدٌ كما ذكرت عائشة رضي الله عنها (1) .

فكان الترسيخ بمثابة الأساسات واللبنات الأولى لبنان العزّة الشامخ في قلوب المؤمنين آنذاك .

ولعلّه يتضح من خلال هذا المعنى المذكور _ وهي لفته تربوية إيمانية _ ؛ ما استنبطه بعض العلماء المعاصرين ومن قبلهم ، من خصائص الأسلوب والموضوعات القرآنية في الآيات المكيّة _ وهو من أعظمها _ :

ترسيخ العقيدة بالله ، وتعليق القلوب بربنا الإله ﷻ ، ووضع الأسس العامة للتشريع ، والفضائل الأخلاقية (2) .

يقول صاحب كتاب : ((مناهل العرفان في علوم القرآن)) ما نصّه :
(كما أن قانون الحكمة العالية قضى بأن يسلك سبيل التدرج والارتقاء في تربية الأفراد ، وأن يقدم الأهم على المهم ، ولا ريب شأن العقائد ، والأخلاق ، والعادات ، أهم من ضروب العبادات ودقائق المعاملات ؛ لأن الأولى كالأصول بالنسبة للثانية ؛ لذلك كثر في القسم المكي التحدث عنها ، والعناية بها كما علمت في الخواص الماضية : جرياً على سنة التدرج من ناحية ، وتقديماً للأهم على المهم من ناحية أخرى) (3) .

(1) : حديث عائشة هو : ((ولو نزل أول شيءٍ : لا تشربوا الخمر . لقألوا لا ندع الخمر أبداً)) رواه البخاري في ((صحيحه)) ، كتاب : (فضائل الأعمال) ، باب : تأليف القرآن ، برقم : (4993) .

(2) : انظر على سبيل المثال : ((التسهيل لعلوم التنزيل)) لابن جزي الكلبي : (5 / 1) ، وكتاب : ((مباحث في علوم القرآن)) لِمَتَاعِ القَطَّان : (63) ، وكتاب : ((دراسات في علوم القرآن)) لـ د : فهد الرومي ، (223) ، وكتاب : ((المكي والمدني في القرآن)) لعبد الرزاق حسين أحمد : (169 / 1) ، وكتاب : ((المدخل لدراسة القرآن)) للشيخ : محمد بن محمد أبي شهبة : (205) ، وكتاب : ((لمحات في علوم القرآن)) لـ د : محمد الصبّاغ : (146 ، 147) .

(1) : ((مناهل العرفان في علوم القرآن)) للدكتور : محمد عبد العظيم الزرقاني ، (206 / 1) .

وإنما أمر به _ أي القتال _ بعد حصول دولة الإسلام في المدينة ، وبالتحديد في السنة الثانية ، لاستقرار الفئة المؤمنة فيها ، مع مناصرة أهلها لهم ؛ مما كان من شأنه زيادة العدد والعُدّة ، ووجود حماية الأعراض والأموال .

ولم يأمر به في السنة الأولى ، ولم يكن هناك معارك ، أو حتى إعداد العُدّة لها ؛ لأنّ الهدف في ذلك الوقت تكوين الدولة الإسلامية أولاً ، بترسيخ الإيمان والأخلاق الكريمة في قلوب أفرادها .

كما أنّ لقلة العدد والعُدّة ، وضعف المسلمين من الردّ على الكفار ؛ سببٌ في ذلك ، فقد كان المسلمون قلة قليلة ، ولا يستطيع أحدهم دفع البلاء عن نفسه فضلاً عن غيره من المسلمين .





جاء حديث القرآن عن العزّة حديثاً شاملاً وواسعاً في نفس الوقت ، حيث إنّه شمل جوانب كثيرة من جوانب العزّة الإلهية العظمى ، كانفراده بها مُلْغاً وِعِطَاءً وَمَنْعاً ، وتَشْكِيلُهَا بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ بحسب المواقف والأحداث التي تكون في الآية ، فمرة ترتبط عزة الله بالحكمة _ وهي الأكثر _ ، ومرة بالرحمة ، وأخرى بعلمه ومغفرته وهكذا ...

كما أنّ القرآن اشتمل في حديثه على جوانب كثيرة من العزّة الحقيقية بياناً لفضلها وشرفها ، وحثاً لتحصيلها ، وذكرًا لأسبابها ، وتنفيراً لأضدادها من الذلّ والضعف والتكبر .

إنّ القرآن الكريم في حديثه عن العزّة جاء بطرائق متنوعة كثيرة من حيث الأساليب اللفظية والبيانية ، ومن حيث المعاني ، أو الأهداف ، فمرة يأتي من باب الحديث عنها ، ومرة من باب الترغيب فيها بالمدح لها ولأهلها ، أو التنفير من مضاداتها ومقابلاتها بالذمّ لها _ بحسب المعنى المقصود منها _ ، ومرة متعلقة بالأشخاص ، وتارة يُرَبَّى عليها جماعة المؤمنين صراحةً ، وتارة تلميحاً ؛ كلُّ ذلك : بحسب الأحداث والوقائع . وسأتناول فيما يلي تفصيل ذلك :

1 . أنه ذكرها بمعنى المدح تارة ، وبمعنى الذمّ تارةً أخرى ؛ فهما
قسمان :

القسم الأول : (أن تُذكر بمعنى المدح) : وهذا كقوله : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ " (1) ، وقال تعالى
: + أذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ " (2) .

القسم الثاني : (أن تُذكر بمعنى الذمّ) : وهذا كقوله تعالى : + بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٦١﴾ " (3) .

والملاحظ من خلال المعنى الأول بأن المقصود من لفظة العزّة :
الرفعة والشدة والمنعة والقوة (سواءً أكانت قوة حسيّة أو معنوية) .
والملاحظ من خلال المعنى الثاني بأن المقصود من لفظة العزّة : التكبر
والغطرسة (4) .

وقد يُقال في سبب التفريق بين إطلاق معنيي العزّة : (أن العزّة التي لله
ولرسوله وللمؤمنين هي : الدائمة الباقية التي هي العزّة الحقيقية ، والعزّة
التي للكافرين هي : التعزز ، وهي في الحقيقة ذلٌّ) (5) .

وأما ما وردَ في القرآن الكريم من ذكرٍ للعزّة على غير وجهها
الحقيقي فهو من باب المجاز ؛ وقد دلَّ على ذلك : دلالة الألفاظ في سياق
الآية ، فمثلاً قوله تعالى : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ
جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٤١﴾ " (6) ؛ حيث دلَّ سياق الآية بألفاظٍ مختلفة (وإذا

(1) : [المنافقون : 8] .

(2) : [المائدة : 54] .

(3) : [ص : 2] .

(4) : انظر ((نظم الدرر)) : (16 / 323) .

(5) : ((مفردات الراغب)) : (2 / 433) .

(6) : [البقرة : 206] .

قيل له اتق الله ، أخذته ، بالإثم) على أن استعمال لفظ العزّة في غير معناه الحقيقي ؛ وأنه واردٌ هنا في سياق الذمّ .

فجملة (وإذا قيل له اتق الله) تفيّد أن توجيه الأمر بالتقوى كان صادراً عن علم بحال من وجّهت إليه _ وهو التكبر أو فعله للإثم _ وإلا لما استحسن عقلاً طلب التقوى منه ، بدلالة السابق للآية + وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ (1) .

وأما كلمة (أخذته) فمجازٌ عقليٌّ ؛ لأن العزّة ليست لها يدٌ تأخذ بها ، وسرياتي مزيد كلامٍ عنها في الفصل الثالث _ إن شاء الله تعالى _ .

ومن هذا الباب يكون الأخذ هنا بمعنى الحث نحو فعلٍ أو قولٍ معيّن ؛ قال الماوردي : (+ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ " فيه تأويلان : أحدهما : معناه دعت العزّة إلى فعل الإثم .

والثاني : معناه إذا قيل له اتق الله ، عزّت نفسه أن يقبلها ، للإثم الذي منعه منها) (2) .

وعلى ذلك يكون المقصود بالعزّة غير الحقيقية ، أو العزّة الكاذبة .

وكلمة (بالإثم) تدل على أن السياق موضوعٌ للذمّ ؛ لأنّ العزّة الحقيقية لا تطلب بالإثم ، بل بطاعة الله ﷻ .

2 . أنّ القرآن الكريم : حثّ المؤمنين على العزّة ، وعلى طلبها من مصدرها الأول ؛ وهو الله العزيز ﷻ .

فقال تعالى : + مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۗ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْزَوُ ۗ ﴿١﴾ (1) .

(2) : [البقرة : 204] .

(3) : ((النكت والعيون)) لعلي بن محمد البغدادي الماوردي ، (1 / 266) .

فالعزّة لا تطلب إلا من مظائنها ومعدنها ومكانها (2) . وهي (لا تطلب إلا في طاعة الله ؛ لأنها وضعت في ذلك) . (3)

(ويقول الحق ﷻ + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ " أي : الشرف والمنعة على

الدوام في الدنيا والآخرة + فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " فليطلبها من عنده ، بالتقوى ، والعلم ، والعمل كالزهد في الدنيا ، والتبئيل إلى الله _ ، أي : فالعزّة كلها مُختصة بالله ؛ عزّ الدنيا وعزّ الآخرة) (4) .

يقول صاحب الظلال : (إن العزّة كلها لله ، وليس شيء منها عند أحدٍ سواه ، فمن كان يُريد العزّة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره ، ليطلبها عند الله ، فهو واجدها هناك وليس بواجدها عند أحد ، ولا في أيّ كنفٍ ، ولا بأيّ سبب : فله العزّة جَمِيعًا .

إنّ الناس الذين كانت قريش تبتغي العزّة عندهم بعقيديتها الوثنية المهلهلة ؛ وتخشى إتباع الهدى - وهي تعترف أنه الهدى - خشية أن تصاب مكانتها بينهم بأذى . إنّ الناس هؤلاء _ القبائل والعشائر وما إليها _ إنّ هؤلاء ليسوا مصدرًا للعزّة ، ولا يملكون أن يعطوها أو يمنعوها (فله العزّة جميعاً) ، وإذا كانت لهم قوة فمصدرها الأول هو الله ، وإذا كانت لهم منعة فواهبها هو الله .

وإذن : فمن كان يريد العزّة والمنعة فليذهب إلى المصدر الأول ، لا إلى الآخذ المستمد من هذا المصدر ، ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزّة (5) .

3 . أنّ القرآن الكريم ربّي جماعة المؤمنين عليها ، وحنّهم عليها بالتصريح والتلميح ؛ حيث إنّ القرآن صرّح بذلك في مواطن عديدة ، ومن تلك المواطن:

- (1) : [فاطر : 10] .
 (2) : ((حقائق التفسير)) لمحمد بن الحسين السلمي ، (1 / 164) بتصرف .
 (3) : المصدر السابق : (2 / 329) .
 (4) : ((البحر المديد في تفسير القرآن ال - مجيد)) لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ، (6 / 106) .
 (1) : ((في ظلال القرآن)) : (5 / 2930) .

ما جاء في سورة (النساء) عندما أراد المنافقون أن يلجأوا للمشركين ويتقون بهم ، قال الله ﷻ : **+ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتُّنَا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** " (1) .

حيث أنكر الله ﷻ على المنافقين طلبهم للعزّة من الكافرين ، وأنّ م الكها هو الله ؛ فكان هذا تربيّة للمؤمنين بالتلميح ، بأنّ لا يطلبوا العزّة من مسارٍ خاطئٍ ؛ بل عليهم أن يطلبوها من الله ﷻ وهذا تصريح لطلب العزّة منه ﷻ ، يقول ابن كثير في : ((تفسيره)) : (والمقصود من هذا : التهيج على طلب العزّة من جناب الله ، والإقبال على عبوديته ، والانتظام في جملة عبادة المؤمنين الذين لهم النصر في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (2)

4 . أن القرآن العزيز بيّن بأن العزّة خلقٌ نبيلٌ من أخلاق المؤمنين الذي يجب أن يظهر في أقوالهم وأعمالهم ، فقال : **+ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** " (3) .

5 . ومع أمره للمؤمنين بها في قوله تعالى : **+ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ** " ، فقد جعلها وصفًا من أوصافهم ؛ لكي يستشعروا بها أنها من ذواتهم ، فقال ﷻ : **+ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ** " (4) ، فالوصف باللين والشدة هنا من العزّة في ميزان المؤمن .

6 . أنّه وصف إمام النبيين سيدنا محمدًا ✕ بها ، والصحابّة الكرام ﷺ ؛ لكي يقتدي بهم المؤمنون ، فقال : **+ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** " (5) ، ومع ذلك فقد بيّنت الآيتان السابقتان : الموقف الشرعي في التعامل مع فريق المؤمنين وفريق المشركين .

(2) : [النساء : 139] .

(1) : ((تفسير ابن كثير)) : (2 / 396) .

(2) : [المنافقون : 8] .

(3) : [المائدة : 54] .

(4) : [الفتح : 29] .

7 . وأرشد القرآن الكريم إلى خلق إباء الضيم الذي يُفيد معنى الاستمساك بالعزّة والقوّة ، ورَفَضَ المذلة والهوان ، فقال عزٌّ من قائل : + وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٧﴾ " (1) .

ثم لو تأمل المتأمل في هذه الآيات ، كيف ربّى ورقى تلك الفئة المؤمنة التي أصابها شيءٌ من الهزيمة النفسية بعد أحداث غزوة أحد .

فربّاهم على الطاعة المطلقة لرسول الله x ، وأنّ مخالفة الأمر منه وعدم الاستئذان : تجرُّ إلى ذلك وأكثر منه .

وبعد أن استجابوا للدرس ، وندموا على المخالفة ؛ بدأ يُرقيهم ، ويبيّثُ في نفوسهم أمر الاستعلاء والعزّة والرفعة التي كانوا عليها _ وما زالوا _ ، وأنّ الهزيمة في ذلك اليوم لا تعني المذلة والمهانة ، فبتّ رُوح الحماسة فيهم : + وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴿١٠٧﴾ " فنهاهم عن المهانة والحزن ، ووصفهم بالرفعة والعزّة .

فحوّل _ القرآن الكريم بأسلوبه العظيم _ الهزيمة النفسية التي كانوا عليها إلى انتصارٍ معنويٍّ كبير ، عن طريق الإقناع العقلي ، فقال ﴿١٠٧﴾ : + إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ " (2) .

ثم بيّن أنّه كان م ن وراء تلك الحوادث حكّم وأسرارٌ فوق ما ذكّر ، منها : التمحيصُ للمؤمنين الصادقين ، ومنها : أنه سبق في علم الله تعالى أن يتخذ منهم شهداء مكرّمين عنده ﷺ .

8 . (أن الله هدى المؤمنين إلى الطريق الذي يصون لهم العزّة ، ويحصنهم ضد الرضا بالهوان أو السكوت على الضيم ؛ فأمرهم بالإعداد والاستعداد لحفظ الكرامة والنود عن العزّة ، فقال ﴿١٠٨﴾ : + وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۚ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ

(5) : [آل عمران : 139] .

(1) : [آل عمران : 140] .

وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ (1) ؛ لأنّ القوة تجعل صاحبها من موطن الهيبة والافتقار فلا يسهل الاعتداء عليه من غيره من الضعفاء (2) .

وهذه من التشريعات الحربية تحثُّ أبلغ الحثِّ على الاستعداد للأعداء ، وتربي الأمة على الشجاعة الكاملة ، وتُنقذها من الخنوع والاستسلام لأعدائها ، وتُبشِّر مَنْ قتل وهو يُحارب دفاعاً عن دينه ووطنه بأعلى المنازل عند الله تعالى ، فجاء بوجوب إعداد العدة لمقاومة الأعداء والثبات في قتالها إذا نشبت الحرب بيننا وبينهم (3) .

قال القرطبي : (أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقوُّم التقوى ، فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والنفل في وجوههم وبحفنة من تراب ، كما فعل رسول الله ﷺ ؛ ولكنه أراد أن يبنتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ ، وكلما تُعدُّه لصديقك من خيرٍ أو لعدوك من شرٍ فهو داخل في عِدَّتِكَ) (4) .

كما أنّ الآية تُفيد بأنّ على المرء أن يتسلَّح بسياج العزّة والقوّة الحسية والمعنوية لنلا يُذل أو يُستباح دمه أو عرضه أو ماله ، وه ذا من كمال التشريع الإلهي المذكور في غير موضع من القرآن والسنة ، فالشريعة جاءت لحفظ الأنفس .

9 . كما وضَّح القرآن للأمة منهج سلوكها في الحرب والسلام ، وهو رفض البغي والعدوان ، والجهاد بالنفس والمال ضد المعتدين ، كما أنه لا يحلّ سلّم ما بقي عدوان . (5)

10 . (أن القرآن يُعلِّم المؤمنين الإقدام والاحتمال والثبات في مواطن اليأس ، مُوقنين أنّ الله معهم ، قال تعالى : + وَلَا تَهْنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن

(1) : [الأنفال : 60] .

(2) : ((موسوعة أخلاق القرآن)) : (17) .

(3) : ((البيان في مباحث من علوم القرآن)) أ. عبد الوهاب عبد المجيد غزلان ، (12) .

(4) : ((الجامع لأحكام القرآن)) : (10 / 55 ، 56) .

(5) : انظر : ((الشخصية الإسلامية .. دراسة قرآنية)) لـ د. عائشة عبد الرحمن ، (196) .

تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ^ط وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^ط
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ " (1) .

وفي موطن آخر قال ﷺ : + فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴿١٠٥﴾ " (2) .

وليس هذه دعوة إلى بغي أو طغيان ، وإنما يُعوّد القرآن أتباعه أن
يكونوا أولاً على حيطةٍ وحذر ، فيقووا أنفسهم بكل وسائل التقوية والتحسين
، حتى يكونوا أصحاب رغبة في نفوس أعدائهم ، وإلا تناولوا عليهم
وعصفوا بهم ، قال عزّ من قائل : + يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ " (3)
، و قال ﷺ : + وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٦﴾ " ، و
قال ﷺ : + وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ " (4) .

وإذا قدر الله ﷻ يوماً أن يلتقي المؤمنون في معركة مع الكافرين ،
فالواجب حينئذٍ على كل مؤمن أن يظلّ عزيزاً قوياً ، وأن يثبت على مبادئه
وعقائده ، لا يخيفه الألم ولا التعب ، بل يبذل جهده وطاقته ، مُستخدماً كل ما
أعدّه قبل ذلك من سلاح وعتاد ، واثقاً أنه مربوط الأسباب بالله القوي القادر
ﷻ . (5)

11 . وقد بيّن الله ﷻ للعزّة ونبّه المؤمنين عليها في أكثر من آية ،
ومن تلك الآيات الكريمات : قوله تعالى : + يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ^ع وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ

(2) : [النساء : 104] .

(3) : [محمد : 35] .

(4) : [النساء : 71] .

(5) : [النساء : 102] .

(1) : ((موسوعة أخلاق القرآن)) : (17 ، 18) .

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ " (1)، فقد أمرَ الله ﷻ المؤمنين _ أمرَ نهي _

بعدم اتخاذ الأقارب الكفرة أولياء ، وخصَّ الآباء والإخوة دون غيرهم من القرابة : (لأنَّ المرءَ يَلْتَمِسُ النَّصْرَ والعزّةَ فيهم ، أمّا الأبناء فلم يَذْكَرْهم ؛ لأنهم يَغْلِبُ أن يَكُونُوا تبعًا للآباء ...) (2) .

12 . كما أنَّ القرآن اهتم في حديثه العام عن العزّة ؛ بتزكية النفوس ، وترقية القلوب ؛ بتخليصها من كل ما يُكَدِّرُ صفوها في التذلل بين يدي الله ، والإقدام على الخير .

إنَّ الله ﷻ يعلم أنَّ هذه النفس البشرية مَجْبُولَةٌ على مُخَالَفةِ الأوامر التي تُؤمر بها ، وفعل النواهي التي تُنهى عنها ؛ لذلك أمر عباده المؤمنين بمحاسبة نفوسهم .

وما ذلك إلا لأنَّ وراء هذا العبد : أعداء ألداء في حياته ، يأمرونه بفعل المعصية ويزينونها له ، ويردُّونه عن فعل الخير ويُنبِّطونه عنه ، ومن أكبر أولئك الأعداء : النفسُ الأمارَةُ بالسوء ، وشيطان أقسم بعزّة الله أن يُغوي الخلق جميعًا ؛ ما عدا المخلصين منهم (3) .

لذا ؛ كانت مُحاسبة النفس ، ومدافعة خواطر الشيطان : من معاني العزّة المعنوية العظيمة في قلب صاحبها .

ولذلك يُقال : (استعزَّ عليه الشيطان : أي غلب عليه ، وعلى عقله) (4)

والمؤمن مُنحَ من الله (قوَّة القلب وثباته وشجاعته ، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصر ، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة ، فيجمع له بين السلطانيين ، ويهرب الشيطان منه ، كما في الأثر : (إن الذي يُخالف هواه :

(2) : [التوبة : 23] .

(3) : ((من لطائف التفسير)) لأحمد فرح عقيلات ، (1 / 483) .

(1) : ما ذُكِرَ إشارةً إلى الآيتين الكريمتين : الأولى : قوله تعالى على لسان امرأة العزيز _ على الأرجح من أقوال المفسرين _ : + وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ " [يوسف : 53] ، الثانية : قوله تعالى على لسان إبليس : + قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ " [ص : 82 ، 83] .

والمخلص هو : من اصطفاه الله لهداه ، ولم يكن للشيطان عليه سبيل . انظر : ((جامع البيان في تأويل القرآن)) : (17 / 103) .

(2) : ((مقاييس اللغة)) : (4 / 40) .

يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ) ؛ ولهذا يُوجد في المتبع هواه : من ذلّ النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه ، فإنه سبحانه جعل العزّ لمن أطاعه والذل لمن عصاه ، قال تعالى : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ " (1) (2) .

13 . ومن خلال حديث القرآن عن العزّة : يتضح للمتأمل أنّ موضوع العزّة يُشكل حلقة وصلٍ مع الأخلاق الإسلامية الأخرى ، فهو يرتبط معها وترتبط معه ؛ لكي تُشكل لنا سلسلة من الأخلاق والصفات الرائعة ، التي من شأنها : أن تُحقّق التكامل النفسي لشخصية الفرد المسلم ، ومن ثمّ المجتمع ، وقد ذكر الله ﷻ صفة العزّة مع صفاته الأخرى ؛ لكي يُنبّه المؤمنين عليها ، ويعملوا على تحصيلها ، ومن أمثلة ذلك :

أولاً : (ارتباط العفو بالعزّة) :

إنّ ارتباط العفو بالعزّة يعتبر ارتباطاً وثيقاً ؛ لكنه ليس هو تلك الشدّة والأنفة التي تُتصور دا ئماً ، إنّه شدّة مع لئين عند المقدرة ، إنه التسامح والصفح والعفو عندما يقدر الإنسان على من أساء إليه ، فيعفوا عنه ابتغاء مرضات الله ﷻ ، مُتمملاً حديث المصطفى * في فكره وبين ناظره : « وَلَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ » (3) .

إنّها تلك النفس الأبيّة التي ارتفعت إلى سماء الشموخ والعزّ والعظمة ، فحققت لِدَاتِهَا وكيانها معنى العزّة بنوعيتها ، مع استخدامها للحكمة في تنزيل النوعين في مكانهما اللائق بهما .

ولنا في رسول الله * أسوة حسنة ؛ حينما كان مستظلاً تحت ظل شجرة ، فجاءه ذلك الرجل الذي يُريد قتله ، وقد رفع السيف فوق رأسه ، وقال : يا مُحمّد من يَمْنَعُكَ مني ؟ قال : الله ، فأسقط الله السيف من يده ؛ فأخذه رسول الله * من الأرض وقال : من يَمْنَعُكَ مِنِّي الْآنَ ؟ ! قال الرجل : لا أحد ... فعفا عنه النبي * . (4) ، وقصته يوم فتح مكة مع أهلها معلومة كذلك ...

(3) : [المنافقون : 8] .

(4) : ((إغاثة اللهفان)) : (1 / 100) .

(1) : سبق تخريجه في صفحة (117) .

(1) : الحديث أخرجه النسائي في ((سننه الكبرى)) برقم (8719 ، 8801) ، كتاب : (السير) ، باب : النزول عند القاتلة ، (8 / 91 - 92 ، 130) ، والحاكم في ((مستدرکه)) برقم (4322) في كتاب : (المغازي والسرايا) وقال : (هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم

وقد عفا أبو بكر رضي الله عنه عمن تكلم في عرض عائشة رضي الله عنها ؛ بل تابع إحسانه إليه عندما أنزل الله : **+ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** " (1) .

وعفا عليُّ بن الحسين (2) عن جاريته حين سقط منها إبريق الماء فَشَجَّ رأسه ؛ فأدركت تلك المسكينة جُرمَ خطأها ، فرأت الغضب يخرج من بين عينيه ، فذكرته بقول الله تعالى : **+ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** " فقال : كظمتُ غيظي ، ثم تلت عليه قول الله تعالى : **+ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** " ، فقال : عفوتُ عنك ، ثم تلت قوله تعالى : **+ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** " (3) ، فقال في سموِّ المؤمن وقوّة عزّته حينما يستجيبُ لأمر الله تعالى : أنت حرّة لوجه الله (4) .

ومن خلال هذا المشهد : تظهر عزّة وعظمة الأمة يومَ أن تُسارع وتُبادر إلى امتثال أمر الله تعالى ؛ فيصيبها من ذلك العزُّ والشرف والرضوان من العزيز تعالى ، فهلاً تفهّمنا هذا الأمر وطبقناه ..!

ثانياً : + ارتباط العزّة بالتوكل :

يُخرجه () ، وانظر للقصة كما ملة في ((أعلام النبوة)) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، (100) الباب الثامن : في معجزات عصمته * ، وكتاب ((سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)) لمحمد بن يوسف الصالحي (4 / 261 ، 262) .

(2) : [النور : 22] .

(3) : هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ، أمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر يُقال له عليُّ أيضاً ، تُوفي في سنة (94 هـ) على الأرجح ، انظر ((البداية والنهاية)) : (5 / 130 - 138) .

(1) : [آل عمران : 134] .

(2) : القصة رواها البيهقي بسنده في ((شعب الإيمان)) : (6 / 317) برقم (8317) ، وقد ذكرها عنه ابن كثير في ((البداية والنهاية)) : (م 5 ، ج 9 / 130) ، والسيوطي في ((الدر المنثور)) : (م 2 ، ج 4 / 319) ، والألوسي في ((روح المعاني)) : (4 / 59) .

وقد بيّن القرآن الكريم مدى الارتباط بين خلق العزّة وبين التوكل على الله ﷻ الذي هو من أعلى مقامات العارفين كما قال ابن القيم (1) ، فقال ﷻ : + وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٠٧﴾ " (2) .

فأمراً لله بالتوكل في هذه الآية مع ذكر صفة العزّة والرحمة ؛ له حكمته ، وكأنه يُريد لفت الانتباه إلى أن مَنْ أراد النَّصْرَ والحِفظَ والكفاية من الله فليتوكل عليه ﷻ .

قال ابن كثير في معنى الآية : (أي : في جميع أمورك ؛ فإنه مؤيدك وناصرك ، وحافظك ومظفرك ومُعَلِّمك) (3) .

وهذه العلاقة بين العزّة والتوكل ؛ هي لفته عظيمة إلى أن المعتز ليس له غنى عن الله ؛ فليَتَوَكَّلْ عليه ، (ثم جاء بالصفات التي تُؤنس المتوكل ، وهي العزّة والرحمة المذكورتان في أواخر قصص الأمم المذكورة في هذه السورة ، وضمنها نصر كل نبي على الكفرة ، والتهمم بأمره والنظر إليه) (4) .

ثالثاً : + ارتباط العزّة بالحكمة والعلم :

إنَّ ارتباط صفة الحكمة بالعزّة في القرآن الكريم كان أكثر من ارتباطه بالصفات الأخرى ؛ حيثُ ذُكرتَا في (46) آية ، كما ارتبطت العزّة بالعلم في (6) آيات ، وهذا فيه دلالة واضحة على : أن عزّة المؤمن لا تُصدر ولا تُظهر إلا بعد حكمةٍ وعلمٍ .

ويظهر ذلك جلياً من جهتين :

الجهة الأولى : في الموازنة بين استخدام العزّة مع المؤمن ، واستخدامها

مع الكافر ؛ كيف تكون ، فإنَّ تطبيق العزّة مع المؤمنين يستلزم الرحمة واللين والصفح عن الزلّات والنصح له ... الخ ، وأمّا تطبيق العزّة مع

(3) : انظر ((بدائع الفوائد)) : (2 / 465) عند تفسير الفلق .

(4) : [الشعراء : 217] .

(5) : ((تفسير ابن كثير)) : (4 / 650) .

(1) : ((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد

الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي ، (4 / 246) .

الكافرين فإنه يستلزم الشدّة والغلظة من غير تعدّ وظلم ، ويستلزم اعتزاز المسلم بإسلامه ، حين يُطبّق شعائره التعبدية أين ما حلّ وارثل .

قال الله ﷻ : **+ أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين** " (1) ، وقال ﷻ : **+ محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم** " (2) .

الجهة الثانية : من حيث استخدام الحكمة المبنية على العلم في التعامل

مع المواقف والأحداث ؛ سواءً أكانت مع مسلمٍ أو كافر ، فمثلاً : يستطيع المسلم أن يدافع عن عرضه وماله إذا تعدّى عليه أحدٌ ولو كان من المسلمين ، قال النبي × : « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » (3) ، وهذا معلّمٌ من معالم العزّة .

كما أنّ الشدّة والغلظة وتوابعهما على الكافرين ينبغي أن تُحاط بسياج الحكمة والفقه والعلم ، وذلك من خلال تطبيق القواعد الفقهية على الحوادث والنوازل ، كقاعدة : (المصلحة والمفسدة) ؛ فليست كلّ شدّة عزّة ، والله أعلم .

رابعاً : + ارتباط العزّة بالتقوى :

التقوى هي : فعل الأوامر ، وترك المناهي ؛ ابتغاء مرضات الله ﷻ .

فالارتباط يتحقّق بكون المرء مُمتثالاً لأوامر الله ﷻ ونواهيه ، وكذلك أوامر رسوله × ، كما قال الله ﷻ : **+ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** " (4) .

(2) : [المائدة : 54] .

(3) : [الفتح : 29] .

(1) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (2 / 123) ، برقم : (2480) ، في كتاب : (المظالم) ، باب : مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ ، ومسلم في ((صحيحه)) : (1 / 114) ، برقم : (141) ، في كتاب : (الإيمان) ، باب : الدليل على أنّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالٍ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدِرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .

(2) : [الأنفال : 24] .

والعزّة الإيمانية تحصل بمجرد الاستجابة لله تعالى ولرسوله * ، قال ابن القيم وهو يتكلم عن م تابعة النبي * : (والمقصود : أن بحسب متابعة الرسول تكون (العزّة) والكفاية والنصرة ، كما أن بحسب متابعتة تكون الهداية والفلاح والنجاة ، فانه سبحانه علّق سعادة الدارين بمتابعتة ، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته .

فلأتباعه : الهدى ، والأمن ، والفلاح ، والعزّة ، والكفاية ، والنصرة ، والولاية ، والتأييد ، وطيب العيش في الدنيا والآخرة .

ولمخالفه : الذلّة ، والصغار ، والخوف ، والضلال ، والخذلان ، والشقاء في الدنيا والآخرة ، وقد أقسم بأن لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين (1) .

وجاء عن إبراهيم الخوَّاص (2) أنه قال : (على قدر اعزاز المؤمن لأمر الله : يلبسه الله من عزّه ، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين ، وذلك قوله تعالى : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ " (3) (4) . وهو كلام نفيس ؛ قلّ من يتنبّه له ! ...

13 . كما أنّ القرآن الكريم في حديثه عن العزّة قد ربطها بالجهاد في سبيل الله ﷻ في مواضع ؛ منها :

(1) : ((زاد المعاد)) لابن قيّم الجوزية ، (1 / 39) ، وهو يُشير لحديث أنس بن مالك ؓ المخرّج في : ((صحيح مسلم)) : (1 / 69) ، برقم : (44) ، في كتاب : (الإيمان) ، باب : وجوب محبة رسول الله * أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، قال * : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وُلْدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » .

(2) : هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخوَّاص ، كان من زهاد عبّاد أهل الرّي ، كان من أقران الجنيد ، وتوفي في جا مع الرّيّ سنة (291 هـ) وقيل : (284 هـ) ، انظر ترجّمته في ((صفة الصفوة)) لعبد الرحمن بن الجوزي ، (2م ، ج 4 / 346 - 349) .

(3) : [المنافقون : 8] .

(4) : ((صفة الصفوة)) : (2م ، ج 4 / 348) .

قول الله ﷻ : + ألم ﴿١﴾ غلبت الروم ﴿٢﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴿٣﴾ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴿٤﴾ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴿٥﴾ " (1) .

ولعلنا نتساءل : عن سبب إيراد المولى ﷻ العزّة عقب حديثه عن الجهاد في سبيل الله والنصر؟! هل هناك ارتباط بينهما أم لا؟!

نعم ؛ هناك ارتباط وثيق في المعنى بينهما ، ولعل التأمل في سياق الآية يدلنا على سرّ ارتباط العزّة بالجهاد ؛ ذلك أن الجهاد في سبيل الله من وسائل العزّة المحسوسة واقعاً ، والمفروضة شرعاً ، ولا يمكننا أن نلغي هذه الحقيقة من أذهاننا ؛ لأن إغائها يُوجب : تحصيل العكس من المراد بالعزّة وهو الذل ، كيف لا ! ونحن نرى مصداق ذلك في قول نبينا وسيدنا محمدٍ ✕ : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورَضِيتُم بالزرع ، وترَكْتُم الجهادَ : سلط الله عليكم ذلاً ، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (2) .

وتأمل في كلمة (ذلاً) : حيث إنها نكرة فتعم كلّ ذلّ ، والمعنى المستفاد من ذلك : أن العقاب النازل المسلط من الله على من ذكروا في الحديث _ ممن تركوا أسباب العزّة وحققوا أسباب الذلّ _ يكون شاملاً لأنواع وصنوفٍ من الذلّ لا يعلمها إلا الله ﷻ .

وقد تجتمع أصنافٌ من الذلّ على أمة الإسلام ؛ بحسب تفريطها في دين ربها ، وعدم تطبيقها لشرعة الإسلام .

والتاريخ الإسلامي ، والواقع : يشهدان بأن هناك أحوالاً تدلّ على ذلّ الأمة في بعض فتراتِها ، وأنّ هذا الذلّ والهوان لا يرتفع حتى ترتفع أسبابه ، بقيام شاخص العزّة في نفوس المسلمين ، وإحياء تلك الخصلة في مجتمعاتهم كبيرها وصغيرها .

14 . كما أنّ القرآن _ في حديثه عن العزّة _ جاء فيه البيان عن القضية الكبرى التي ترتبط بعزّة المسلمين في عصرنا هذا مع اليهود في

(1) : [الروم : 1 - 5] .

(2) : سبق تخريج الحديث في ص : (110) .

فلسطين الحبيبة ، فلقد توعدّ الله ﷻ اليهود في كتابه العزيز ، وعلى لسان رسوله محمد * بالهلاك والهزيمة على أيدي عبادٍ من أمّة المصطفى * .

قال تعالى : + وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٧١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۗ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿١٧٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿١٧٣﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۗ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عُلُوًّا تَبْتِيرًا ﴿١٧٤﴾ " (1) .

فقوله ﷻ : + وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ " أي : أعلمناهم وأخبرناهم (2) ، + فِي الْكِتَابِ " أي : التوراة ، + لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ " أي : بالمعاصي وخلاف أحكام التوراة (3) ، والأرض هي أرض الشام وبيت المقدس (4) ، + وَلَتَعْلُنَّ " أي : ولتستكبرن ولتظلمن الناس ، + فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا " أي : أولى المرتين . قيل : كان إفسادهم في المرة الأولى : هو ما خالفوا من أحكام التوراة ، و ركبوا من المحارم . + بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا " أي : سلطنا عليكم جنودًا من خلقنا ، + أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ " أي :

(1) : [الإسراء : 4 - 7] .
 (2) : ذكر الشنقيطي في ((أضواء البيان)) : (3 / 483) أنها أظهر الأقوال ، وقال : (ومن معاني القضاء : الإخبار والإعلام) .
 (1) : ((التفسير الكبير)) : (20 / 124) .
 (2) : تفسير هذه الجملة وما بعدها مأخوذ من ((معالم التنزيل)) : (5 / 79) .

ذِي قُوَّةٍ وَبَطْشٍ شَدِيدٍ ، + فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ " أي : فتردّدوا
 ذاهبينَ وجائينَ وسطَ دياركم طلبًا لكم ليقتلواكم ويسبوكم ، + وَكَانَ وَعْدًا
 مَّفْعُولًا " أي : وكان هذا الوعد الأول قضاءً كأننا لا خُلفَ فيه ، حاصلًا قبل
 بعثة النبي × .

وقد اختلف العلماء والمفسرون في العباد الذين سلّطوا على بني
 إسرائيل في هذه المرّة ؛ فقيل : هم جالوت وجنوده . وقيل : هم (ملك
 الموصل) سنحاريب وجنوده . وقيل : هم بُخْتَنَصَّر (ملك بابل) وجنوده .
 (1)

قال تعالى : + ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ " أي : الدولة والغلبة (2) ،
 + وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا " أي : وجعلناكم أكثر
 عددًا ورجالاً من عدوكم ... ، والمعنى : أنهم صاروا بعد هذه الواقعة الأولى
 أكثر انضمامًا وأصلح أحوالًا ، جزاءً من الله تعالى لهم على عودهم إلى
 الطاعة (3) .

ثم قال الله تعالى : + فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ " أي : وعد الإفساد الثاني

(3) : الإمام البغوي في ((معالم التنزيل)) : (79 / 5) رجّح أنه بُخْتَنَصَّر البابلي وجنوده ؛
 وعلى كلِّ : فإنَّ المستفاد من هذه الآية فائدتان :

الأولى : أنَّ المهم من هذه الآية _ وما سبقها وما بعدها _ : العبرة والعظة ، وأنَّ هذا العقاب الذي
 ثوعدوا عليه بسبب ذنوبهم ونشرهم للإفساد بين الناس ، فهي عبرة لنا نحن المسلمين قبل أن تكون
 لهم ، قال الرازي في ((التفسير الكبير)) : (125 / 20) : (واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض
 في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم ؛ بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصي سلّط عليهم
 أقوامًا قتلوهم وأفنوهم) .

الثانية : أنَّ الذين أرسلهم الله على بني إسرائيل لم يكونوا مؤمنين في ذلك الوقت ، فسئِنُ الله لا
 تُحابي أحدًا ؛ لذلك ذكر الله ﷻ بعد هذه الآيات قوله تعالى : + وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا

مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَرْغَبْنَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ [الإسراء : 16] .

(1) : ((تفسير الجلالين)) لجلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي ، (220) .

(2) : ((تفسير القرطبي)) : (23 / 13) .

وقد اختلفَ في وَعَدِ الإفساد الثاني : هل وقعَ أمْ أنه سيقعُ ؟

من العلماء مَنْ جعله على سبيل الماضي وأنه قد وقع ؛ ولكن اختلفوا في عهد مَنْ وقعَ ، فقال البغوي في عهد عيسى عليه السلام ، ومنهم من جعله في عهد نبينا محمد * .

ومن العلماء مَنْ جعله على سبيل المستقبل الذي لم يقع بعدُ ، وسياق الآية ولاحقها يُرجحان هذا القول ، بدلالة قوله تعالى : + وَلِيَدْخُلُوا

الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ " ، فالآية تُفيد أنهم سيدخلون ، والقرآن كتابُ أمةٍ محمد * ، فالخطاب للنبي * ولأُمَّته .

(قال القشيري : وقد حلَّ العَقَابُ ببني إسرائيل مرتين على أيدي الكفار ، ومرةً على أيدي المسلمين) (1) .

وعلى احتمال أنها قد وقعت في عهد عيسى عليه السلام أو نبينا محمد * ، فإنَّ الواقعَ الذي نعيشه اليوم من تجمُّع اليهود في فلسطين بأعدادٍ كبيرة عما سبق ، واستحواذهم على سوق المال في العالم ، مع قوله تعالى + وَإِنْ

عُدْتُمْ عُدْنَا " يجعلُ التكرار بالغلبة وإساءة الوجوه متحقِّقًا ؛ كلُّما تحقَّق إفسادهم .

هذا مع ما أخبر به النبي * من أنَّ الأمة في آخر الزمان سوف تُقاتل اليهود ؛ حتى يقول الحجر والشجر يا عبد الله : هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ؛ إلا الغرقد . (2)

وقوله + لِيَسْتَفُؤُوا وُجُوهَكُمْ " أي : فسوف نبعثُ عليكم عبادًا لنا كما

في المرة الأولى ، ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم : من القتل والقهر والسبي

(3) : نفس المصدر : (32 / 13) .

(1) : الحديث أخرجه مسلمٌ في ((صحيحه)) : (4 / 1774) ، وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ؛ إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)) ، كتاب : (الفتن وأشراط الساعة) ، باب : لا تقومُ الساعةُ حتى يمُرَّ الرَّجُلُ ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ المَيْتِ مِنَ البَلَاءِ ، برقم : (2922) ، وأخرجه البخاري (2 / 253) ، بلفظ آخر في كتاب (الجهاد) ، باب : قتال اليهود ، (2925) .

والإهانة والإحزان⁽¹⁾، + وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ " أي: المسجد الأقصى (بيت المقدس) ، + كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ " أي : متنقلين بين دياركم لطلبكم ، قال الطبري : (فيستنقذكم من أيديهم ، وينتشلكم من الذلّ الذي يحله بكم ، ويرفعكم من الخمولّة التي تصيرون إليها، فيعزّكم بعد ذلك ، وعسى من الله : واجب ، وفعل الله ذلك به م ، فكثر عددهم بعد ذلك ، ورفع خساستهم ، وجعل منهم الملوك والأنبياء، فقال جلّ ثناؤه لهم : وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري، وقتل رسلي ، عدنا عليكم بالقتل والسبّاء ، وإحلال الذلّ والصغار بكم ، فعادوا ، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم⁽²⁾ ، + وَلِيَتَّبِعُوا " أي : يهلكوا ، + مَا عَلَوْا " أي : ما ظهروا عليه وظفروا به ، + تَتَّبِعُوا " أي : إهلاكا⁽³⁾ .

وإساءة وجوه اليهود هنا تكون بإدخال الغمّ والحزن عليهم⁽⁴⁾ ، وإثما عَزَا الإساءة إلى الوجهِ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الإِسَاءَةِ أَنْ تَكُونَ لِلْقَلْبِ ؛ (لَأَنَّ آثار الأعراض النفسانية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه ، فإن حصل الفرخُ في القلب : ظهرت النُضْرَةُ والإشراقُ والإسفارُ في الوجه ، وإن حصل الحُزْنَ والخوفُ في القلب : ظهر الكُلُوحُ والعَبْرَةُ والسوادُ في الوجه ، فلهذا السببُ عُزِيَتْ الإِسَاءَةُ إِلَى الْوَجْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، ونظير هذا المعنى كثير في القرآن)⁽⁵⁾ .

وعلى ضوء ما تقرّر سابقاً : نعلم علم اليقين أننا _ نحن المسلمون _ سننتصرُ على بني صهيون الغاصبين للأراضي المقدسة ، والبقاع الطاهرة ؛ ولكن متى ما عاد المسلمون إلى تطبيق شرع الله ﷻ المبتوث في الكتاب العزيز ، وسنة سيد الأنبياء والمرسلين ، نسأل الله أن يُعجّل بالفرج على المسلمين .

(2) : ((تفسير الجلالين)) : (220) .

(1) : ((جامع البيان)) : (389 / 17) .

(2) : ((مدارك التنزيل وحقائق التأويل)) لعبد الله بن أحمد النسفي ، (445 / 2) ، و ((معالم التنزيل)) : (80 / 5) .

(3) : ((معالم التنزيل)) : (80 / 5) .

(4) : ((التفسير الكبير)) : (127 / 20) .

15 . أن القرآن الكريم نبّه على ضرورة الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة ، والحكمة تقتضي أن يُظهرَ الداعي إلى الله اعتزازه به ﷺ وتوكله عليه ، فلا يأنف من دعوته إلى الحقّ فضلاً عن إظهار شعائر دينه أمام الكفرة والمعاندين .

ولنا في قصص رُسل الله وأنبيائه _ عليهم الصلاة والسلام _ القدوة الصالحة للإتباع ، فقد قال الله على لسان نوح ﷺ : + وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِعَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧٦﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِن أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسَلِّينَ ﴿٧٧﴾ " (1) .

والملاحظ من خلال الآيات : أن نوحاً أراد أن يُظهرَ لقومه اعتزازه بالله ﷻ ، وعدم خوفه منهم ومن كيدهم ، عن طريق اعتماده على الله ، وفي هذا موقفٌ من مواقف العزّة لدى الأنبياء والمرسلين ، صدح فيه نوح ﷺ بالدعوة إلى طريق الحقّ والهداية ، مع التحدي الواضح لهم ثقةً بنصر الله ﷻ .

وقد قال ذلك ﷻ على طريق التعجيز لهم (2) ؛ لأنه يعلم أنهم لن يستطيعوا أن يضروه أو ينفعوه إلا أن يشاء الله ﷻ .

فهذا الاعتماد والتوكل على الله قاده إلى إظهار عزّته به ﷻ ، كما أن وثوقه ﷻ بنصر الله ﷻ له جعله يتحدّاهم هم وشركاءهم بعدم وصولهم إليه بالأذى المعبّر عنه بـ (القضاء) أو (الإفضاء) في القراءة الأخرى ، على أن (افضوا) بمعنى البلوغ ، و (أفضوا) بمعنى التوجّه (3) .

16 . ومن حديث القرآن عن العزّة : إظهاره لعزّة أنبياء الله ورسله عليهم السلام ، ومن ذلك : نشأة كل يم الله موسى ﷻ في بيت عدو الله فرعون ، وما فيها من الحكّم .

(1) : [يونس : 71 ، 72] .

(2) : ((معالم التنزيل)) : (4 / 143) .

(3) : انظر ((تفسير القرطبي)) : (8 / 364) .

ولذلك كان لموسى عليه السلام من العزّة في الدين _ وكذا أنبياء الله ورسله _ ما يجعله يستعلي بدينه ، ويعيش للحقّ داعياً ومُدافعاً ونصيراً .

وتتضح تلك العزّة أكثر عندما تُوعّد فرعون سحرته الذين امنوا بما جاء به موسى عليه السلام بالقتل والصلب ، ولم يتوعدّ موسى عليه السلام مع أنّه كان أساس المشكلات الحاصلة لدى فرعون ، ومنها : كفران السحرة به وإيمانهم بربّ موسى ؛ كان ذلك دلالة واضحة على أنّ فرعون كان خائفاً _ مخافة الذلّ _ من موسى عليه السلام لما كان له من عزّة يستعلي بها عليه السلام .

ولمعرفة فرعون في قرارة نفسه أنّ موسى على الحقّ ؛ فقد كان ينفّر من مُلاقاة موسى في الباطن لا في الظاهر ؛ لأنّ الظاهر أنّ فرعون خرج لموسى ومن معه وأدركهم عند البحر ، لكن الذي استقرّ في قرارة نفس فرعون هو عدم المواجهة ، وأمّا عن السبب الذي دفعه للخروج فهو الكبر والتجبر .

وكذلك الأنبياء _ عليهم السلام _ من قبل موسى ومن بعده ، كانت لهم مواقف من العزّة مع أقوامهم ، فتحطيم الصنم من الخليل إبراهيم عليه السلام فيه موقفٌ من مواقف العزّة ؛ لأنّه أراد أن يُنبههم على ضعف من اعتمدوا عليه في عبادتهم وجلب الحوائج لهم ، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراّ فضلا عن غيرهم ، قال تعالى : **فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ**

يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِغَالِيَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا

فَتَى يَذُكْرُهُمْ يُقَالُ لَهُدَّ إِتْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَالِيَتِنَا يَتَابِرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا

إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ

﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ

وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ " (1) .

قال الطبري : (وقوله : + لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ " : فعل ذلك إبراهيم بالهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم ، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعد ، فيرجعوا عمّا هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله ، والبراءة من الأوثان) (1) .

ولذلك لمّا (رَجَعُوا وشاهدوا ما فعله الخليل _ عليه الصلاة والسلام _ بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها ، وعلى سخافة عقول عابديها + قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ " أي : في صنيعه هذا) (2) .

وكذلك هو الحال في إنكار نبي الله شعيب ما نفوّهت به أحلام قومه حين ظنوا أنّ الاعتزاز يكون للقبيلة ؛ ولولاهم لمّا استطاع أن يجد له مَنْ يَمْنَعُهُ مِنْهُمْ ، قال ﷻ : + قَالُوا يَشْعُوبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٣٦﴾ قَالَ يَنْقُومِ الرّهْطَى - أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٣٧﴾ " (3) .

فقوله تعالى (+ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا " يعنون : ذليلا ؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك) (4) .

وقوله تعالى : + وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ " ، يعنون : ما أنت ممن يكرم علينا ، فيعظم علينا إذلاله وهوانه ، بل ذلك علينا هين ... ، وقوله تعالى : + قَالَ يَنْقُومِ الرّهْطَى - أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ " قال شعيب لقومه : يا قوم ، أعزّرتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ﷻ ، واستخففتم بربكم ، فجعلتموه

(2) : ((جامع البيان)) : (18 / 459) .

(3) : ((تفسير القرآن العظيم)) : (4 / 371) .

(4) : [هود : 91 ، 92] .

(1) : ((تفسير القرآن العظيم)) : (3 / 552) .

خلف ظهوركم ، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ، ولا تعظّمونه حق عظمته ؟ (1)

فكان موقفه هذا _ عليه السلام _ من مواقف العزّة عند الأنبياء .

وكذلك صدّغ نبي الله نوح عليه السلام بالدعوة في مجالس قومه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاً ؛ موقفٌ من مواقف العزّة في سير الأنبياء _ عليهم السلام _ .

17 . كما أنّ العزّة في القرآن تأتي بمعنى التقوية والموازرة والمناصرة ، قال الله تعالى : + إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٠٠﴾ " (2) ، قال ابن كثير : (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ : أي قويناهما ، وشددنا أزرهما برسول ثالث) (3) .

والآية تُشيرُ إلى ضرورة التعاون والتناصر بين الدعاة ، وأن يشد بعضهم أزر بعض ، فالدعوة الصادرة عن الجمع المتآزر المتعاون لها منافعها التي لا تُحصى من عدّة نواحي ، منها :

الناحية الأولى : اختلاف مشارب المدعوين وتمايز طبقاتهم ، وهذا يتطلب إيجاد الكثرة الكاثرة من الدعاة لكي ينتشروا بين الناس ، وتعاونهم وترابطهم .

الناحية الثانية : (أنه قد يخطر للجمع من الدعاة ما لا يخطر على بال الواحد منهم ؛ بل قد تهتدي النفوس أحياناً بأسلوب قليل العلم كثير التقوى ، ولا تهتدي بأسلوب عالم غزير العلم ؛ لأنه لم يتمكن من الوسيلة الموصلة إلى قرار النفوس) (4) .

إنّ التناصر والتآزر بين الدعاة ؛ هو سبب العزّة وا لقوّة والمنعة للأمة الإسلامية ، وقد أخبر الله ﷻ أن فلاح الأمة الإسلامية لن يكون إلا بتآزر

(2) : ((جامع البيان)) : (15 / 459) .

(3) : [يس : 14] .

(4) : (5 / 306) .

(1) : انظر ((فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام)) لمحمود محمد عمارة ، (87 ، 88) .

وتوحدُ الدعوة ، قال تعالى : + وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْعُرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ " (1) .

(خلاصة المبحث)

وخلاصة حديث القرآن الكريم عن العزّة : أنّه كان حديثاً شاملاً لجوانب كثيرة من جوانب العزّة المهمة ، وذكّره لها كان بمثابة ترسيخ قواعد هذا الخلق الكليّة التي تندرج تحتها جزئيات كثيرة .

فذكر أنّ العزّة كلّها لله ﷻ ، وأنّها تُطلبُ منه ؛ لينتفي في قلب سامعها أنّها لغيره ، أو أنّها تُطلب من سواه .

وبيّن أنّها لا تُنالُ إلاّ بطريق واحد وهو طاعة الله ﷻ ، والطاعة : اسم يدخل فيه جميع الطاعات .

ثم إنّه نوّع في أساليبه التي طرح بها هذا الموضوع ، فمرّة يُلبّي حاجة العاطفة والوجدان إلى العزّة عن طريق الترغيب والترهيب ، ومرّة أخرى يُقنع فيها العقل بضرورة طلب العزّة من الله لا من غيره ، مع ذمّ الذلّ والضعف وما إليهما ، وكل ذلك عبر طرق مختلفة كالاستفهام والتكرار ... الخ .

وكان حديث القرآن الكريم عن العزّة واضحاً غاية الوضوح ، كما أنّه بيّن الوسائل والأسباب التي تُوصل المؤمن إلى تحصيل العزّة ، والتي من شأنها أن تكون صاحبة التأثير الفعلي في قلب وحركات صاحبها .

لقد أبان القرآن موضوع العزّة بأسلوب سهلٍ و ممتنع ، يفهمه الجاهل قبل العالم ، في أروع خطابٍ وأحكمه ، نسأل الله أن يُذيقنا حلاوة فهمه وتلاوته ، والله أعلم .

الفصل الثالث :

أسلوب القرآن في حديثه عن العزّة

وخصائصه

وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول :

(أساليب القرآن الكريم في حديثه عن العزّة)

المبحث الثاني :

(خصائص الأسلوب القرآني في حديثه عن العزّة)



مَهَيِّدٌ

لا شكَّ أنّ القرآن الكريم _ الذي هو معجزة نبينا محمدٌ x _ ؛ قد خصّه الله بخصائص عديده ، ومزايا فريدة أوجبت تفضيله وتقديمه على غيره من الكتب والصحف .

ولذلك جاء في الأثر الذي أخرجه البخاري في ((صحيحه)) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (المهيمن : الأمين ، القرآن أمينٌ على كل كتابٍ قبله) (1) .

قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) : (وتوجيه كلام ابن عباس رضي الله عنه : أن القرآن تضمن تصديق جميع ما أنزل قبله ؛ لأن الأحكام التي فيه ؛ إما مقررةٌ لما سبق ، وإما ناسخةٌ ، وإما مجددةٌ ؛ وكل ذلك دالٌّ على تفضيل المجدد (2) أي : القرآن ، وهذا فيه دلالة واضحة على المراد .

وقد دلَّ على أن القرآن هو المهيمن على كل الكتب دالتان :

❖ الدلالة الأولى : (دلالة الخبر) :

ومن ذلك : قول الله تعالى : + وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ... ﴿١٨﴾ " (3) .

❖ الدلالة الثانية : (إجماع المفسرين) : وقد حكاه جمعٌ منهم ، ومن أولئك : ابن كثير في ((تفسيره)) (4) .

(1) : ((صحيح البخاري)) : (م 2 / ج 6 / 223) ، في كتاب (التفسير) ، سورة المائدة ، باب : حُرْمٌ واحدها حرامٌ .

(2) : ((فتح الباري)) : (4 / 9) .

(3) : [المائدة : 48] .

(1) : ((تفسير القرآن العظيم)) : (1 / 22) ، وانظر : ((جامع البيان في تأويل القرآن)) : (10 / 378) ، و((الجامع لأحكام القرآن)) : (8 / 36) ، و((معالم التنزيل)) : (3 / 65) ، والألوسي في ((تفسيره)) : (م 3 / ج 6 / 152) .

ومن هذه الخصائص التي اختصَّ الله القرآن بها : أن القرآن الكريم إذا تكلم عن قضية من القضايا ، أو حقيقة من الحقائق بإثباتٍ أو نفي وما إلى ذلك ؛ فلن يستطيع أحدٌ أن يتعقبها بالمزيد على ما جاء في القرآن .

ذلك أن قضايا القرآن أمورٌ مُسلّمة لا جدالَ فيها ، وإنما تختلف هذه القضايا عن بعضها البعض باختلاف إرادة التفصيل أو الإجمال ، فقد يذكّر القرآن قضية من القضايا المُسلّمة مُجمّلة ، ويأتي في السنة تفصيلها .

(والحقيقة أنه ما كان بمقدور أيّ قوّة إعلامية في الأرض أن تُحقّق ما حقّقه القرآن الكريم في أمته مهما بلغت أساليبها الإعلامية من القوّة والتأثير ، ولكنّ القرآن الكريم بفضل أساليبه المعجزة ودقّته في اختيار البداية الصحيحة ، وقوّة معرفته للنفس البشرية وطبائعها ، وبفضل صدق محتواه ، وشرفِ قصده ؛ استطاع في سنين معدودة أن يفتح أعين الناس على الخير والشر ، ويبيّن آثارهما الحسنة والسيئة .

فرغب في الأخلاق الحسنة ، ونقر من الأخلاق السيئة بعد أن قوَّى إرادة الخير في الإنسان على إرادة الشرّ بزرع العقيدة في قلبه ، فعمّ الصلاح والخير في المجتمع الإسلامي) . (1)

ومن هذه القضايا التي ذكرها القرآن العظيم : (قضية العزّة) ، ومن خلال مطالعتي لآيات العزّة تصريحاً أو تلميحاً ، أو فيما يتعلق بالعزّة في مدلولها الحقيقي _ وهي ما اتصلت بالله ورسوله x والمؤمنين _ ، أو فيما سوى ذلك ممّا يتّصل بالكافرين وسوأهم ، رأيتُ أن أقسّم الآيات التي سيتم استنباط الأساليب منها على النحو التالي :

❖ النوع الأول : (الآيات التي جاء فيها لفظ العزّة مُصرّحاً به) ، وينقسم

هذا النوع إلى قسمين :

❖ القسم الأول : (الآيات الواردة في معنى العزّة الحقيقية) .

❖ القسم الثاني : (الآيات الواردة في معنى العزّة الباطلة) .

(2) : ((الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم)) لمحمد محمود أحمد سيّد أباب الطلابي ، (209 ، 210) .

النوع الثاني : (الآيات الواردة في المعاني التي تؤول إلى العزّة) .

وسيتّم تدارس هذا المبحث من خلال التأمل في هذه الآيات _ بحسب التقسيم السابق _ ، واستنباط الأساليب البلاغيّة منها ؛ ولكن قبل ذلك أذكر تعريف الأسلوب ، ومن ثمّ أدخل في الأساليب ، فأقول مستعيناً بالله ..



تعريف الأسلوب : (تُشيرُ معاجم اللغة إلى أنّ مفهوم الأسلوب هو الطريقة ، يُقال : سلكت أسلوب فلان : أي طريقته .

والأسلوب : الطريق والوجهة والمذهب ، يُقال : أنتم في أسلوب سوء ، ويُجمع على أساليب . والأسلوب : الطريق تأخذ فيه . والأسلوب : الفن ، يُقال : أخذ فلان في أساليب من القول : أفانين منه .

هذا هو معنى الأسلوب في معاجم اللغة (1) ؛ وأمّا في اصطلاح البلاغيين : فهو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير ، أو هو العبارات اللفظية المنسّقة لأداء المعاني (2) .

ولكن الأسلوب الذي يعنينا هنا هو (الأسلوب اللغوي القرآني) .

فالأسلوب اللغوي القرآني : هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه ، واختيار ألفاظه (3) .

وبعد هذا التعريف للأسلوب لغةً واصطلاحاً ؛ أدخل في الدراسة الفعلية للآيات ، فأقول مستعيناً بالله :

❖ **النوع الأول : (الآيات التي جاء فيها لفظ العزّة مُصرّحاً به) ، وينقسم هذا النوع إلى قسمين :**

📖 **القسم الأول : (الآيات الواردة في معنى العزّة الحقيقية) : وقد وردت في هذا المعنى للعزّة ستُّ آيات :**

📖 **الآية الأولى : (في سورة آل عمران) :**

(1) : ((خصائص التعبير القرآني)) د/ عبد العظيم المطعني ، (1 / 41) .
 (2) : انظر كتاب : ((مباحث في إعجاز القرآن)) : (143) بقلم أ.د . مصطفى مسلم .
 (3) : المصدر السابق بنفس الصفحة .

قال الله تعالى : + قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ " (1) .

📖 الآية الثانية : (في سورة النساء) :

قال تعالى : + الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٦﴾ " (2) .

📖 الآية الثالثة : (في سورة المائدة) :

قال تعالى : + يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ " (3) .

📖 الآية الرابعة : (في سورة يونس) :

قال الله تعالى : + وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٦﴾ " (4) .

📖 الآية الخامسة : (في سورة فاطر) :

(1) : [آل عمران : 26] .

(2) : [النساء : 139] .

(3) : [المائدة : 54] .

(1) : [يونس : 65] .

قال تعالى : + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوُ ۝ (1) .

📖 الآية السادسة : (في سورة المنافقون) :

قال تعالى : + يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ (2) .

وقد تبين من خلال البحث أن الأسلوب القرآني في هذا النوع يتَّسم بالآتي :

أولاً : أسلوب الاستفهام .

والاستفهام : هو طلب العلم بشيء لم يتقدم العلم به ، بأدواتٍ معروفة .

وأدواته هي : الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكيف ، وأين ، وأنى ، ومتى ، وأيان (3) .

ولكن قد يخرج الاستفهام إلى معاني بلاغية من : الاختبار ، والإنكار ، والتوبيخ ، والتقرير ، والتكثير ، والتمني ، والتشويق ، والتعظيم .. ، وقد يُصاحب هذه المعاني معانٍ أخرى فرعية كالتعجب والتهكم (4) .

(والذي يُحدِّد نوع الاستفهام من حيث حقيقته أو مجازه هو : علم السائل أو جهله ، فإذا كان السائل جاهلاً بجواب ما يُسأل عنه فا لاستفهام حقيقي .

(2) : [فاطر : 10] .

(3) : [المنافقون : 8] .

(1) : ((تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع)) للخطيب جلال الدين محمد القزويني ، (100) ، بتصرف يسير .

(2) : ((أساليب الاستفهام في القرآن)) / عبد العليم فوده ، (247) ، بتصرف .

وإذا كان عالمًا بجواب ما يُسأل عنه فالاستفهام مجازي ، ويتحدّد المعنى المجازي للاستفهام بحسب الاستعمال والسياق والقرائن الدالة على المراد (1).

وعليه : فالاستفهام الوارد من الله ﷻ في القرآن لا يُراد به معناه الحقيقي ؛ إذ إنّ الله عا لم بكل شيء (2) ، قال ابن هشام (3) : لا يكون الاستفهام من المولى على حقيقته ، وقال الثماني (4) : الله لا يستفهم ، ويجوز أن يُوبّخ ويُقرّر ويكتب (5).

والاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه ، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يُلقى إليه ليتمكّن من فهمه ثم الإجابة عنه (6).

وأسلوب الاستفهام من أعظم الأساليب التي استخدمها القرآن في إثبات حججه ، أو إبطال شبهة المشركين لما له من أثر عظيم في نفوس المدعوين على اختلاف طبقاتهم ؛ لذا كثر الاستفهام في القرآن الكريم .

ففي الآيات المكيّة بلغ عدد أساليب الاستفهام : (996) أسلوبًا ، وأمّا الآيات المدنية فبلغت : (264) أسلوبًا .

(3) : ((نظرات في أسلوب الإنشاء والقصر)) د/ محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ، (41) ، (42) ، و ((الموسوعة الإسلامية العامة)) : (122) .

(4) : انظر : ((منهج الدعوة إلى الله أساليبها وأهدافها من خلال سورة الزمر)) رسالة ماجستير للباحث : أسامة إبراهيم محمود الشربيني ، (282) .

(5) : هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد ، جمال الدين ، ابن هشام : من أئمة العربية ، قال ابن خلدون : ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه ، من تصانيفه : ((مغني اللبيب عن كتب الأعراب)) ، و ((قطر الندى وبل الصدى)) ، توفي سنة (761 هـ) . ((الأعلام)) : (4 / 147) بتصرف .

(1) : هو أبو القاسم الثماني الموصلي الضرير النحوي ، أحد أئمة العربية بالعراق ، أخذ عن ابن جني ، وتصدّر للإفادة ، وصنف شرحًا للمع ، وشرحًا للتصريف الملوكي ، واسمه عمر بن ثابت ، توفي سنة (442 هـ) ، وأمّا لقبه فنسبة لقرية ثمانين بليدة صغيرة بجزيرة ابن عمر بأرض الموصل ، نزلها الثمانون الذين كانوا في سفينة نوح عليه السلام ، فهي أول بلدة بنيت بعد الطوفان . انظر : ((العبر في خبر من عبر)) للذهبي : (2 / 281) ، ((الوافي بالوفيات)) : (22 / 273) .

(2) : ((أساليب الاستفهام في القرآن)) : (247) .

(3) : ((أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهجًا)) للدكتور : عبد الغني محمد بركه ، (172) .

وكثرة الاستفهام في القرآن المكي كان مسايرةً لخواصّ المكي الموضوعية والأسلوبية . (1)

❁ وأسلوب الاستفهام في آيات العزّة عن طريق الاستفهام بـ (الهمزة) ، وقد أتى في قوله ﷻ : + **أَيَّبْتُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ** ، وهذا المقطع من الآية الكريمة في سورة النساء ، جاء فيه الحديث عن موالة المنافقين للكافرين _ على اختلاف المراد بالكافرين ، هل هم اليهود أم كفار قريش ²) _ وذلك في قوله تعالى : + **الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ... " (3) .

ويُلمح في هذا الاستفهام : فُؤة الإنكار وشدّته ؛ لأنه ما كان ينبغي أن تُبتغى العزّة إلا عند مَنْ يملكها ، وكأنّ هذا الإنكار يشي بحقيقة ثابتة تتصلّ بنفسية المنافقين في كل زمان ومكان ، وهو أنّهم يركنون لأعداء دين الله ، وأعداء رسله وأوليائه _ وهم الكافرون سواءً أكانوا يهودًا أو مشركين _ .
وذلك أنّ الولاية بين الكافرين والمنافقين معقودة ، يجمعها العداء لدين الله ولأتباعه في كل زمان ومكان .

(وهكذا تكشف اللمسة الأولى عن طبيعة المنافقين ، وصفتهم الأولى ، وهي ولاية الكافرين دون المؤمنين ، كما تكشف عن سوء تصورهم لحقيقة القوى ؛ وعن تجرّد الكافرين من العزّة والقوّة التي يطلبها عندهم أولئك المنافقون . وتقرّر أنّ العزّة لله وحده ؛ فهي تطلب عنده ، وإلا فلا عزّة ولا قوّة عند الآخرين !) . (4)

والهمزة في (أيبتغون) : **حرف استفهام إنكاري** ، وعليه جمهور المفسرين ، قال أبو السعود في ((تفسيره)) : (أيبتغون عندهم العزّة) :

(4) : الإحصاء العددي للاستفهام وما بعده ذكره الدكتور : عبد العليم فوده في ((أساليب الاستفهام في القرآن)) : (487) .

(1) : (والكافرون المذكورون هنا هم - على الأرجح - اليهود ؛ الذين كان المنافقون يأوون إليهم ، ويتخسّون عندهم ، ويبيتون معهم للجماعة المسلمة شتى المكائد) ، انظر : ((الظلال)) : (780 ، 779 / 2) .

(2) : [النساء : 139] .

(3) : ((في ظلال القرآن)) : (780 / 2) .

إنكار لرأيهم وإبطال له ، وبيان لخيبه رجائهم ، وقطع لأطماعهم الفارغة) (1)

وقال ابن عاشور : (والاستفهام : إنكار وتوبيخ ؛ ولذلك صحّ التفرّيع عنه بقوله : + فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " أي : لا عزّة إلا به ؛ لأن الاعتزاز بغيره باطلٌ ، كما قيل : (مَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِ اللَّهِ هَانَ) . (2)

وقيل : الاستفهام للتهكم والسخرية ، قال ابن عاشور : (وإن كان المراد بالكافرين اليهود فالاستفهام تهكم بالفريقين كقول المثل : كالمستغيث من الرمضاء بالنار) (3) .

(وذهب الألويسي مذهباً قريباً من مذهب أبي السعود ، مع تجويزه أن يكون الاستفهام للتعجب والتهكم ، وهذا لا يُنافي الإنكار أصلاً ...

والخلاصة : أنّ هذا الاستفهام معناه المجازي الأول هو الإنكار ، ويترتب عليه كلُّ من التهكم والتوبيخ والتعجب ، لِمَا في هذه المواقف من غرائب وعجائب) . (4)

وقد يُلتَمَسُ من هذا الاستفهام الذي في الآية : أنّه يُقرّرُ معنى العزّة لله ﷻ ، وعليه : فيكون قد أتى بالهمزة لينكر المعنى الباطل من جهةٍ ، ويُقرّرُ المعنى الصحيح من جهةٍ أخرى ، على ما ذكر بعض النحويين : (أنّ التقرير هو المعنى الملازم للهمزة ، وأنّ غيره من المعاني يَنجُرُّ معه) . (5)

(وإيثار الم ضارع _ قبل الاستفهام _ الواقع صلة الموصول] يتخذون [يدلُّ على أنّ هذا الاتخاذ دأب المنافقين وعادتهم ، يروحون فيه ويغدون ، ويتجدّد يوماً بعد يوم بتجدّد دواعيه الخسيسة ، وفي هذا تحذيرٌ للمؤمنين منهم ، ومن الركون إليهم.

(1) : ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)) : (2 / 244) .

(2) : ((التحرير والتنوير)) : (م 2 ، ج 5 / 234) .

(3) : ((التحرير والتنوير)) : (م 2 ، ج 5 / 234) .

(4) : ((التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم)) للدكتور : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، (1 / 231) .

(1) : ((الجزى الداني في حروف المعاني)) للمراي ، (34) .

وفي الجمع بين الكافرين والمؤمنين : طباق إيجاب ، وهو من مقتضى الحال ، وليس حلية أو زُخرفاً في الكلام . (1)

والتعبير بابتغاء العزّة في جانب هؤلاء المنافقين (أبيتغون) يدلُّ على مدى الحرص والإقبال والرغبة لديهم ، فيما يُريدونه عند أولئك الكافرين .

وتأتي الحقيقة القرآنية الخالدة ، تصفع هؤلاء ومن على شاكرتهم صفحاً ، وتؤكد حقيقة من حقائق الوجود التي لا تتخلف ، وهي أنّ العزّة لله جميعاً .

وإنّما كان قوّة الإنكار وشدّته في الآية مُوافقاً للتدرج المحمود الذي سارَ عليه القرآنُ بدايةً من العهد المكي ثمّ المدني ؛ لأنّ قوّة الإنكار هنا تتناسب مع حال المسلمين وقوّتهم في المدينة النبويّة ، بدليل أمرهم بالقتال وجهاد الكفار في العهد المدني بعد أن أصبح لهم أتباع بخلاف ما كانوا عليه في مكّة ، فتكون القوّة بالقوّة ؛ أي أنّ هذه القوّة لا بُدَّ وأن يكون لها مظهرٌ يدلُّ عليها ، وخاصّةً والموقف موقف قوّة لا دعوة ، وهذا مظهرٌ من مظاهر العزّة المحمودة مع المنافقين والكافرين .

وبجانب هذا : فإنّ الاستفهام أسلوب جدل يُناقش ما أنكره المشركون أو يُناقش بعض الاعتقادات والقضايا المسئمة ، ولعلّ هذا هو السرُّ في كثرة مجيء الاستفهام في القرآن العظيم . (2)

ومن هنا يتضح لنا سبب التعبير القرآني بالهمزة دون غيرها من أدوات الاستفهام الأخرى ، وبيانه : أن الألف أصل أدوات الاستفهام ، كما قاله ابن هشام في ((مغني اللبيب)) (3) ؛ وقيل في ذلك شعرٌ :

وهمزة لها معانٍ نُقِلت ** ندأً والاستفهامُ وهي خُصّصَت

بأنّها أصلٌ للاستفهام ** حاوية لمُعظم الأحكام (4)

ولهذا خُصّصَت بأحكامٍ ؛ منها :

أنها تُردُّ لطلب التصور والتصديق معاً ، فطلب التصور نحو : أزيدُ قائمٌ أم عمرو؟! وطلب التصديق ، نحو : أزيدُ قائمٌ؟ (1)

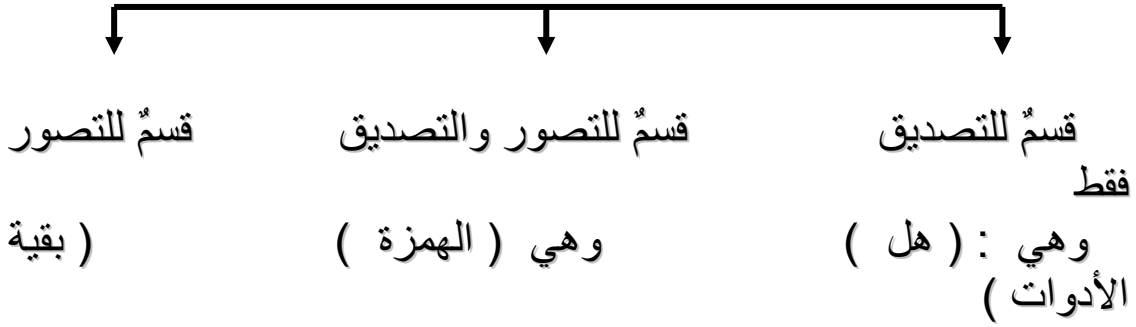
(2) : ((التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم)) : (231 / 1) .

(1) : انظر : ((منهج الدعوة إلى الله أساليبها وأهدافها من خلال سورة الزمر)) : (283) .

(2) : ((مغني اللبيب عن كتب الأعراب)) لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (19 / 1) .

(3) : ((مغني اللبيب مع حاشية الدسوقي)) : (18 / 1 ، 19) .

ذلك أنّ أدوات الاستفهام تنقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث طلب التصور والتصديق _ ، كما قاله علماء اللغة والمعاني : (2)



وبيان ذلك : أنّ التصور عند المنطقة يُرادُ به : (إدراك المفرد من غير حكمٍ عليه بإثباتٍ أو نفي) (3) ، أو قُلْ : حصول صورة الشيء في الذهن ، من غير حكمٍ عليها بإثباتٍ أو نفي .

والإدراك معناه : تحقّق المعرفة من الشيء ، أو وصول النفس إلى المعنى من دون حكمٍ عليه .

وأما التصديق : (حصول صورة الشيء في الذهن ، مع الحكم عليها بإثباتٍ أو نفي) ، وهي مرحلة فوق التصور (4) ؛ لأنّ التصور مُقدّمٌ على التصديق في الوضع الاصطلاحي عند أهله ؛ ولذلك يقولون : (الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره) .

لذلك _ وتأييداً لما ذُكرَ _ قال صاحب ((السلم المنورق)) :

إدراك مفردٍ تصوّراً عِلْمٌ ودركٌ نسبةً بتصديقٍ وُسْمٌ
وقدّمَ الأوّلُ عندَ الوضعِ لأنّه مُقدّمٌ بالطبعِ (5)

(4) : ((مغني اللبيب عن كتب الأعراب)) : (38 ، 41) ، وانظر : ((الموسوعة الإسلامية العامة)) : (122) .

(5) : انظر على سبيل المثال : السيوطي في ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) : (2 / 42) .

(1) : ((المنطق المفيد)) تأليف : محمد عبد العزيز البهنسي ، قسم التصورات : (9 / 1) .

(2) : ((الواضح في المنطق الحديث)) تأليف : أ.د/ علي معبد فرغلي ، ود . عبد المقصود حامد عبد المقصود ، (28 / 3) .

(3) : ((السلم المنورق في علم المنطق)) لعبد الرحمن الأخضرى ، (16) .

ولأنّ (الهمزة وحدها هي التي يُسأل بها عن كل شيء في الجملة ، فيُطلب بها تصور كل ما في الجملة ، كما يُطلب بها حصول النسبة _ أي التصديق _ ، فإنّ الاعتبارات تكثُر في صياغة الجملة الداخلة عليها ، وتَدقُّ حتى تُحتاج إلى حذرٍ ووعي في استعمالها ، والكشفُ عنها كشفٌ عن حكمة بالغة الدقّة ، يَطوي عليها منق هذا اللسان) . (1)

فمن هذا الباب عبّرَ عن الاستفهام بالهمزة دون سائر الأدوات ؛ لأنّ الهمزة أقوى في الاستفهام من غيرها من الوجه الذي ذكر آنفاً ، والله أعلم .

فهذا الاستفهام يُشيرُ إلى حقيقة هامّة ، تتّصل بالنفس البشرية ، التي تتطلّعُ إلى العزّة وتُحصيل أسبابها ، فإنّ العزّة مطلبٌ إنسانيٌّ كريم ، تهفوا إليه كلُّ نفسٍ كريمة .

ثمّ يجيء اللفظ القرآني ببيان الحقيقة الخالدة : أن العزّة لا تُطلبُ إلا من الله ، فهي له ﷻ ، وبه ومنه ومعه ، والله أعلم .

ثانياً : أسلوب الشرط بـ (مَنْ) ، فنجدُهُ في قوله ﷻ : + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (2) .

و (مَنْ) هنا : شرطية وهو الأقرب ، أو موصولة ، ولا يصحُّ أن تكون استفهامية ، ويصحُّ في غير هذا الموضع (3) .

وقوله (فله) الفاء : رابطة في جواب الشرط ، وجملة الله العزّة جميعاً : جواب الشرط .

ويصحُّ أن تكون الجملة تعليلية وهو الأقرب ، وجواب الشرط في هذه الحالة يكون محذوفاً وتقديره : فليطلبها من الله ﷻ ، أو بحسب التفسير .

(وإمّا قيل : إنّ الجواب محذوفٌ ، وليس هو هذه الجملة لوجهين ، أحدهما : أنّ العزّة لله مطلقاً ، من غير ترتبها على شرطٍ إرادةٍ أحدٍ . الثاني :

(1) : ((دلالات التراكيب .. دراسة بلاغية)) للدكتور : محمد محمد أبي موسى ، (208 ، 210) بتصرف .

(2) : [فاطر : 10] .

(3) : لأنّ (مَنْ) لا تقع إلا اسماً كما قال السيوطي ، فتُرد موصولة وشرطية واستفهامية ونكرة موصوفة . انظر ((الإتقان)) : (2 / 606 ، 607) .

أنّه لا بُدّ في الجواب من ضمير يعودُ على اسم الشرط ، إذا كان غيرَ ظرف ، ولم يُوجد هنا ضميرٌ (1) .

ويجوز في (مَنْ) أن تكون موصولية ، وحينئذٍ يكون قوله (فله) وقعت في الجواب لشبهها بالشرط في العموم ، مثل : الذي يأتيني فله درهم ، والله أعلم .

والعزّة في الموضعين _ في أول الآية وآخرها _ هي العزّة الحقيقية ، فطريق هذه العزّة واحد ، ومكانها واحد ليس اثنان ، وأمّا العزّة الباطلة فطرفها أكثر من أن تُحصى ، وأمكثها أكثر من ذلك .

ومعنى ذلك : أنّ العزّة الصحيحة واحدة ، ولن تكون إلا كذلك ، وهي عزّة الله ﷻ ، وكلُّ عزّة صحيحة فإنّما هي مُستمدّة منها .

(1) : ((الدرّ المصون من علم الكتاب المكنون)) لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، (216 / 9 ، 217) .

ثالثاً : أسلوب التوكيد .

التوكيد : مصدر وكدّ ، **والتأكيد** : مصدر أكدّ ؛ **لغتان** (1) ، والأول أفصح (2) .

(والتوكيد من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب ، وبئنه في النفوس وحملها على التصديق به ﷺ ، ولا يكون التوكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره بعبارة واحدة ما أمكن ، والأمر إذا ما أكدّ انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أن حقيقة ثابتة .

ولا شكّ في أنّ التوكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس ، وهذا ما هُديت إليه فطرة الإنسان ، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يُريد نقله إليه ، لِمَا رأى من أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه) (3) .

وهذا الأسلوب جاء في أربع آيات من آيات العزّة المصرّح بها في لفظ العزّة (4) ، منها آيتان جاء التأكيد فيهما بـ (إنّ) التي تُفيد التوكيد ونصب الخبر ، ولفظ (جميعاً) الذي يُفيد التوكيد بلفظه ، وذلك في قوله تعالى : + وَلَا سَخِرْنَاكَ قَوْلُهُمْ إِنْ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (5) ، وفي قوله تعالى : + أَيْبَتُنَّ عِنْدَهُمْ الْعَزَّةَ فَإِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (6) .

بينما جاء التأكيد بصيغة القصر في آيتين ، وهما قوله تعالى : + مَنْ

كَانَ يُرِيدُ الْعَزَّةَ فَلِلَّهِ الْعَزَّةُ جَمِيعًا " (7) ، وقوله ﷺ : + وَلِلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْمُنْفِقِينَ . لَا يَعْلَمُونَ " (8) .

(1) : انظر كتاب : ((همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)) لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (3 / 136) ، وكتاب : ((دراسات لأسلوب القرآن الكريم)) : (11 / 5) ، للدكتور : محمد عبد الخالق عزيمة .

(2) : ((القاموس المحيط)) : (1 / 343) وكذ .

(3) : ((أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهجاً)) : (34 ، 35) .

(4) : وهي في سورة النساء (139) ، ويونس (65) ، وفاطر (10) ، والمنافقون (8) .

(1) : [يونس : 65] .

(2) : [النساء : 139] .

(3) : [فاطر : 10] .

(4) : [المنافقون : 8] .

أمّا آية سورة النساء ، فقد أتى أسلوب التأكيد على أنّ العزّة لله وحده فيها بمؤكدين :

الأول : التأكيد بـ (إنَّ) ، **والثاني :** التأكيد بـ (جَمِيعًا) ؛ بخلاف قوله تعالى : **+ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** " ففيه ثلاث مؤكدات _ كما سيأتي _ .

والعلّة في كون الآية المكية _ التي في سورة فاطر _ اشتملت على ثلاث مؤكدات ، والآية المدنية على مؤكدين : (أن آية النساء نزلت في وقت قوّة الإسلام فلم يحتج فيها إلى تقوية التأكيد) (1) .

وأما آية يونس ، فهي كآية النساء السابقة سواء بسواء .

وأما آية فاطر ، فَيَتَبَيَّنُ من خلالها : أنه حَصَرَ مفهوم العزّة لله ﷻ ؛ لأنّ تقديم المعمول يُفيدُ الحصر والقصر ، (والحصر ليس إلاّ تأكيدٌ على تأكيد) (2) ، ونوع القصر هنا (ادعائي) ؛ لعدم الاعتداد بما للمشركين من عزّةٍ ضئيلة ، أي فالعزّة لله لا لهم (3) .

واللام في قوله تعالى : **+ فَلِلَّهِ** " للاختصاص ، فتفيد اختصاص وملكية الله للعزّة كلّها ؛ لأنّ عزّة غير الله ناقصة من وجهين :

الأول : أنّ عزّة الله ﷻ ذاتية ، وأمّا عزّة غيره فمكتسبة .

الثاني : لكون العزّة من الأمور النسبية التي تتفاوت وتتفاوت فيها المقادير بين الخلق أنفسهم (4) ، فكيف بنسبة تفاوت الخلق بالخالق .

ثم أكّد الحصر هنا بقوله (جَمِيعًا) لكي لا تَنَرِد الأذهان في نسبة تفرّد الله ﷻ بالعزّة ، خاصة وأنّ هذه الآية مكيّة ، وقد تبيّن فيما سبق : أن الهدف من عَرَض العزّة في العهد المكي هو ترسيخ معنى العزّة الحقيقي ، وحثّ

(5) : ((التحرير والتنوير)) : (م 2 / ج 5 / 234) .

(1) : ((الجزى الداني في حروف المعاني)) : (397) .

(2) : ((التحرير والتنوير)) : (م 9 ، ج 22 / 270) .

(3) : من العلماء الذين ذكروا تفاوت مقدار العزّة بأنه أمرٌ نسبي ، الشيخ : الطاهر ابن عاشور

في ((تفسيره)) : (م 11 ، ج 28 / 249) .

المؤمنين إلى الوجهة التي يطلبون منها تلك العزّة ، وأنّ المصدر واحد لا غير وهو الله ﷻ ؛ فكانت بمنزلة التأكيد للقصر الإدعائي .

فيكون بذلك قد أتى بثلاث مؤكّدات ، فالقصر بمنزلة تأكّيدين و (جَمِيعًا) : بمنزلة تأكّيد (1) .

وأما إعرابُ المفسرين وغيرهم للفظ (جَمِيعًا) على أنه حال ؛ لا يتنافى مع كونه أتى للتوكيد كما ذكر ذلك ابن عاشور في ((تفسيره)) (2) .
رابعًا: أسلوب الوصف .

وقد جاء في آية المائدة ، عندما بيّن الله ﷻ بعض صفات المؤمنين بقوله :
+ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " (3) .

حيث إنّ الله ﷻ ناداهم بالمؤمنين ، وحدّرهم من الارتداد عن الدين ، وأرهبهم يوم أن فرضَ عليهم عقوبةً معنويّةً وهي الاستبدال في خلافة الأرض _ وقد تَنَبَّعَهَا الْعُقُوبَةُ الْحَسِيَّةُ _ ؛ إذا توقّر شرطها المحدّر منه وهو الارتداد عن الدين .

ثم بيّن الصفات والأعمال التي يُريدها ﷻ من عباده عن طريق الوصف لهؤلاء القوم .

فقوله ﷻ : (+ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " : أَذِلَّةٌ : نعتٌ لقوم ، وكذلك

+ أَعِزَّةٌ " : أي يرافون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم ، من قولهم دابة ذلول : أي تنقاد سهلة ، وليس من الدلّ في شيء .

(4) : ((التحرير والتنوير)) : (م 9 ، ج 22 / 271) ، بتصريف يسير .

(1) : ((التحرير والتنوير)) : (م 9 ، ج 22 / 271) .

(2) : [المائدة : 54] .

ويغلظون على الكافرين ويعادونهم ، قال ابن عباس : هم للمؤمنين كالوالد للولد ، والسيد للعبد ، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته ، قال الله ﷻ + أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " (1) ، ويجوز (أدلة) بالنصب على الحال ، أي يُحبهم ويحبونه في هذا الحال ... الرابعة : قوله تعالى + مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " في موضع الصفة أيضاً + وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ " بخلاف المنافقين يَخَافُونَ الدَّوَابَّ (2) .

وكذا جاء هذا الأسلوب في آية سورة المنافقين ، قال تعالى : + يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (3) .

حيث وصفت لنا الآية الكريمة حال المنافق : عبد الله بن أبي بن سلول _ المقالي والفعلي _ حينما رجع النبي ﷺ بالجيش الإسلامي (من غزوة بني لحيان ثم بني ال مصطلق _ وهم حي من هذيل _) (4) ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فقال الأنصاريُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وقال المهاجريُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فقال النبي ﷺ : « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » فقال عبد الله بن أبي : أَوْ قَدْ فَعَلُوا ؛ والله ! لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ (5) .

فالأعزُّ : صفة لموصوفٍ مَحذوفٍ تقديره (ليُخْرِجَنَّ الرَّجُلُ الْأَعَزُّ الرَّجُلَ الْأَذَلُّ) .

ولم يَكْتَفِ القرآنُ الكريم بوصف حال الدَّعِيِّ ابن سلول في حاله تلك ؛ بل شَرَعَ فوراً بالردِّ على فِهمه الخاطيء ، أو ادعائه الباطل ، من خلال وصفه ﷻ بأنَّ العزّة له ولرسوله وللمؤمنين .

(1) : [الفتح : 29] .

(2) : ((تفسير القرطبي)) : (8 / 53) .

(3) : [المنافقون : 8] .

(4) : ((الكشف والبيان)) للثعلبي ، (9 / 322) .

(5) : سبق تخرُّجه في الفصل السابق : (108) .

خامساً: أسلوب الاحتراس .

يُعتبرُ الاحتراس _ ويُسمّى التكميل _ من الأساليب البلاغية التي تُدرجُ تحت علم البديع ، ويُقصدُ منه : أن يُؤتى في كلام يُوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان :

ضربٌ يتوسط الكلام ، كقول القائل (1) :

لَوْ أَنَّ عَزَّةً خَاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوفِقٍ لَقَضَى لَهَا

إذ التقدير : عند حاكم موفق ، فقوله : موفق ؛ تكميل . (2)

وضربٌ يقع في آخر الكلام ، كقوله تعالى : + فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ... " (3) .

وهذا الأسلوب جاء في ثلاث آياتٍ من آيات العزّة ، وهي :

(1) قوله ﷻ : + الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

أَيَّبَتُّغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (4) .

(1) : هو كُتَيْبُ عَزَّةَ ، أبو صخر عبد الرحمن الخزاعي المدني . انظر : ((العبر في خبر مَنْ غَبَرَ)) : (101 / 1) .

(2) : وكقول طرفة : فسقى ديارك غير مفسيدها ... صوب الربيع وديمة ثمهي فاحترس من عموم نزول المطر بـ (غير مفسدها) ؛ لأنّ نزول المطر الغزير يكون مظنة الضرر ، كما أنه مظنة الانتفاع والبركة ، وقال الجاحظ في ((البيان والتبيين)) : (228 / 1) مبيّناً أنّ فيها (طلب الغيث على قدر الحاجة ، لأن الفاضل ضار) . وهي كقول النبي ﷺ : ((صيباً نافعاً)) .

(3) : ((الإيضاح في علوم البلاغة)) لجلال الدين محمد (الخطيب القزويني) ، (203) بتصرف .

(1) : [النساء : 139] .

(2) وقوله تعالى : + فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ... " (1) .

(3) وقوله ﷻ : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﷻ " (2) .

ففي آية المائدة لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم ، فلما قيل : أعزّة على الكافرين علم أنها منهم تواضع لهم ؛ ولذا عدّى الذلّ بعلی لتضمينه معنى العطف ، كأنه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ، ويجوز أن تكون التعديّة بعلی لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنتهم . (3)

كما أن آية آل عمران تضمنت احتراساً تمثّل في قوله تعالى : + من

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ " حيث أن معرض الكلام كان عن المنافقين الذين اتخذوا الكافرين أولياء وأنصاراً ، فالله ﷻ منع المسلم أصلاً من اتخاذ الكافر ولياً ؛ ولكن عندما يكون اتخاذ الولاية من دون المؤمنين فهو أشدّ وأعظم ، فهم اتخذوهم من دون المؤمنين وليس مع المؤمنين .

وأما آية البقرة فقد جاء الاحتراس فيها بقوله تعالى (بِالْإِثْمِ) ؛ لأنّ العزّة منها المحمود ومنها المذموم ، فبيّن أنها عزّة مذمومة ، واح ترس من أن تكون عزّة مَحمودة بقوله (بِالْإِثْمِ) . (4)

سادساً : طباق الإيجاب .

وحقيقة المطابقة : هو الجمع بين متضادين _ أي متقابلين في الجملة _ . وأما طباق الإيجاب : فهو ما لا يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً (5) .

(2) : [المائدة : 54] .

(3) : [البقرة : 206] .

(4) : ((الإيضاح في علوم البلاغة)) : (203 ، 204) .

(1) : انظر ((التحرير والتنوير)) : (1م / 2ج / 271) .

(2) : ((تلخيص المفتاح)) : (175 ، 176) .

وقد جاء هذا الأسلوب في أربع آيات من آيات العزّة :

الآية الأولى : قال تعالى : **+ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾** " (1) .

الآية الثانية : قال تعالى : **+ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٢﴾** " (2) .

الآية الثالثة : قال تعالى : **+ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣﴾** " (3) .

الآية الرابعة : قال الله تعالى : **+ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ ؕ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾** " (4) .

ففي آية آل عمران : تضاد واضح بين إعزاز الله وإذلاله لمن يشاء من عباده ، وهذا التضاد الذي في الآية الكرّيمة : سنّة كونيّة إلهيّة تدرج تحت سنّة كونيّة أعظم منها ، وهي : إيتاء الله الملك لمن شاء من عباده ، ونزعه عنّ يشاء عدلاً منه ﷻ ، وربما كان رحمة .

(3) : [آل عمران : 26] .

(4) : [النساء : 139] .

(1) : [المائدة : 54] .

(2) : [المنافقون : 8] .

وهذه السنن التي قد تتغيّر وتتبدل على المخلوقين بإذن الخالق : تدرج تحت ثابتة من الثوابت والحقائق الكونية والشرعية التي لا تتبدّل ولا تتغيّر ، وهي : **كون الله ﷻ مختصاً بالملك والأمر في خلقه** ، بنصّ الآية ، ونصّ قوله تعالى : **+ ... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴿١﴾ .

وهذا الطباق قد أتى بلفظين من نوع واحدٍ ، وهو الفعل (تُعزُّ) والفعل (نُذِلُّ) ؛ لأنه قد يأتي بفعالين كما في الآية ، أو اسمين ، أو حرفين ، أو بلفظين من نوعين . (2)

قال ابن عادل (3) : (واشتملت هذه الآية على أنواع من البديع : منها : التجنيس المماثل في قوله تعالى : **+ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ** " ، ومنها : الطباق _ وهو الجمع بين متضادين أو شبههما _ في قوله تعالى : **تُؤْتِي وَتَنْزِعُ ، وَتُعزُّ وَتُذِلُّ** ، وفي قوله تعالى : **+ بِيَدِكَ الْخَيْرُ** " أي : والشرُّ _ عند بعضهم _) (4) .

وكذا آية النساء : طابق فيها بين لفظتي الكافرين والمؤمنين ، (وفي الجمع بين الكافرين والمؤمنين : طباقٌ إيجاب ، وهو من مقتضى الحال ، وليس حلية أو زخرفاً في الكلام) . (5)

وأما آية المائدة : فقد حصل التضادُّ بين جملتي (**أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) وجملة (**أَعزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**) ، فأعزّة أمام أذلة ، والمؤمنين أمام الكافرين .

(3) : [الأعراف : 54] .

(4) : انظر ((الإيضاح في علوم البلاغة)) : (348 ، 349) .

(1) : هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي ، أبو حفص ، سراج الدين : صاحب التفسير الكبير ((اللباب في علوم الكتاب)) الذي انتهى من تأليفه في رمضان (879 هـ) ، توفي بعد عام : (880 هـ) . ((الأعلام)) : (5 / 58) بتصرف .

(2) : ((اللباب في علوم الكتاب)) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني ، (5 / 135 ، 136) .

(3) : ((التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم)) : (1 / 231) .

وأما آية المنافقون : فقد جاء الطباق فيها بين + الأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ " .

سابعاً : أسلوب الحصر والقصر . والقصر عند البلاغيين :
(تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوص) ، وهو اختيار السيوطي (1) ،
وقولهم : بطريقٍ مخصوص ليس داخلاً في بيان مضمون القصر ، وإنما هو
قيدٌ أضيف لتحديد مسار البحث في هذا الباب عن طريق طرق معينة (2) ،
وهي أدواته ؛ لأنّ أسلوب القصر يتكون من ثلاثة أركان :

الأول : الأمر المقصور .

الثاني : المقصور عليه .

الثالث : طريق القصر أو أدواته (3) .

ومن طرق القصر المتعلقة بآيات العزّة : (أسلوب التقديم والتأخير)
أو تقديم ما حقّه التأخير .

وهو (ظاهرة لطيفة ، وفقة بلاغيّ رفيع في التعبير القرآني ، يُعتبر
دليلاً واضحاً على الإعجاز البياني في القرآن .

ومن المعلوم في صياغة الجملة في اللغة العربية : أنّ كلّ كلمة فيها
لها ترتيبٌ خاصٌّ فيها بحسب وضعها ، المبتدأ مقدّمٌ على الخبر ، والفعل
مقدّمٌ على الفاعل ... هذا هو الأصل في صياغة الجملة .

وقد تدعو بعض الأسباب والمقتضيات إلى العدول عن هذا الأصل ،
ونقل بعض الكلمات من مواضعها الأصلية في الجملة إلى مواضع أخرى ،
بتقديمها أو تأخيرها ، وذلك لتحقيق غرض بلاغي مراد ، والتركيز على
معنى بياني ملحوظ .

(4) : ((الموسوعة القرآنية المتخصصة)) لمجموعة من علماء مصر ، تحت إشراف د .
محمود حمدي زقزوق ، (511) ، و ((دلالات التراكيب دراسة بلاغية)) : (46) ، ويمكن
تعريف القصر بأنه: = (إثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عمّا عداه) انظر : ((الصور البلاغية في
سورة الإسراء)) لسروة عمر الخير ، (186) .

(1) : ((دلالات التراكيب دراسة بلاغية)) : (46 ، 47) بتصرف .

(2) : ((الموسوعة القرآنية)) : (511) .

واستخدم القرآن أسلوب التقديم والتأخير على أرفع صورة بيانية ،
وبدقة عجيبة معجزة ، ورصف الألفاظ في الجملة بجانب بعض ، بطريقة
متناسقة رائعة (1) .

وقد جاء هذا الأسلوب في آيتين من آيات العزّة :

الآية الأولى : قوله تعالى : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ " (2) .

الآية الثانية : قوله تعالى : + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (3)

حيث قدّم الخبر وهو لفظ الجلالة ، وأخر المبتدأ (العزّة) في الآية
الأولى لإفادة الاختصاص ، أي اختصاص الله بالعزّة ؛ لأنّ من أسباب
التقديم في البيان العربي : إفادة الاختصاص والحصص (4) ، ممّا يوجب
طلبها منه تعالى وحده دون سواه (5) .

قال في ((التحرير)) : (وتقديم المسند على المسند إليه في + وَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ " لقصد القصر وهو قصر قلب ، أي العزّة لله ولرسوله
وللمؤمنين لا لكم كما تحسبون) (6) .

وقال في موضع آخر : (فتقديم اسم الجلالة لمجرد الاهتمام لا لقصد
التقوى إذ لا مقتضى له) (7) .

(1) : ((إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني)) لـ د. صلاح الخالدي ، (261 ، 262) .

(2) : [المنافقون : 8] .

(3) : [فاطر : 10] .

(4) : انظر : ((إعجاز القرآن البياني)) : (262) ، و ((دلالات التقديم والتأخير في القرآن
الكريم)) لـ د. منير محمود المسيري ، (56) .

(5) : ((تفسير سورة فاطر دراسة تحليلية وموضوعية)) لـ د. عبد الرحمن بن إبراهيم
المطرودي ، (70) .

(1) : ((التحرير والتنوير)) : (م 11 ، ج 28 / 250) ، وقصر القلب هو قلب اعتقاد
المخاطب إلى العكس . انظر ((الموسوعة القرآنية)) : (513) .

(2) : ((التحرير والتنوير)) : (م 1 ، ج 1 / 294) .

ومع هذه الفائدة تظهر فائدة أخرى ؛ وهي : الدبَاءَةُ باسم الله ﷻ من باب التعظيم ، وتقديم ما حُقُّه التقديم ، والله أعلم .

وكذا الأمر في الآية الثانية : حيث إنها أفادت الاختصاص والحصر ، ولكن نوع القصر فيها ادعائي ، ومعناه : (عدم الاعتداد بما عند المشركين من عزة ضئيلة ، أي فالعزّة لله لا لهم) (1) .

ثامناً : القول بالموجب :

وهو ما يُسمى بالتسليم الجدلي في علم آداب البحث والمناظرة (2) ، وهو ضربان :

(أحدهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكمٌ ، فثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه .

والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه) (3) .

وقد جاء هذا الأسلوب الجدلي في قوله تعالى : + يَقُولُونَ لِنِ رَّجَعْنَا

إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنَ الْأَذَلِّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ " (4) ، وهو مندرجٌ تحت الضرب

الأول الذي ذكره القزويني ، ولذلك قال عن الآية : (فإنهم كُتُوا بالأعزُّ عن فريقهم ، وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ، فأثبت الله تعالى في الردِّ عليهم صفة العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزّة ولا لنفيه عنهم) (5) .

(3) : ((التحرير والتنوير)) : (م9 ، ج22 / 270) ، والقصر الادعائي : هو عدم الاعتداد بكل ما له من صفات سوى الصفة التي قصرته عليها . انظر ((الموسوعة القرآنية)) : (513) .

(4) : ((التحرير والتنوير)) : (م11 ، ج28 / 249) .

(1) : ((الإيضاح في علوم البلاغة)) : (391) .

(2) : [المنافقون : 8] .

(3) : ((الإيضاح)) : (391) .

فهم _ أي المنافقين _ قد وصفوا أنفسهم عن طريق الكناية بالعزّة لكي يحكموا لأنفسهم بها ومن ثمّ يُثبتوا إخراجهم للمؤمنين من المدينة لأنهم الأعرز ، هذا وصفهم وكلامهم .

فأبطلَ الله ذلك الكلام بأسلوب القول بالموجب ، فوصفَ الله نفسه بالعزّة ومن تبعه من المؤمنين ، من دون أن يتعرض لحكم الإخراج الذي تعرض له المنافقون .

فكأنّ المعنى يكون حينئذٍ : (إن كان الأعرزُ يُخرج الأذلَّ فإن المؤمنين هم الفريق الأعرز ، وعزّتهم بكون الرسول × فيهم ، وبتأييد الله رسوله × وأولياءه ؛ لأن عزة الله هي العزّة الحق المطلقة ، وعزة غيره ناقصة ، فلا جرم أن أولياء الله هم الذين لا يُقهرُون إذا أراد الله نصرهم ووعدهم به . فإن كان إخراج من المدينة فإنما يخرج منها أنتبياً أهل النفاق) (1) .

تاسعاً : الإيجاز بالحذف :

وهو أن يكون في الكلام لفظاً ما محذوفاً حذفاً ظاهراً ، بحيث يُدركه الناظر في الكلام . وهو على درجاتٍ : إمّا أن يكون حرفاً ، أو أداةً من أدوات المعاني ، أو كلمة ، أو جملةً اسميةً أو فعليةً (2) .

وقد جاء هذا الأسلوب البلاغي في قوله تعالى : **وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ**

وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ " والمحذوف من الآية جملة : أن تُعزّه ، وأن تُذلّه ، فيكون المعنى : وتعزُّ من تشاء أن تُعزّه ، وتُذلُّ من تشاء أن تُذلّه .

عاشراً : التكرار :

وهو إعادة الكلمة أو الكلام مرتين أو أكثر (3) ، وهو من الأساليب البيانية القرآنية _ ليس عبثاً _ ، بل هو تنويحٌ مقصود لتوجيه النظر ، ولمناسبة الموقف والمقام (4) .

(1) : ((التحرير والتنوير)) : (م 11 ، ج 28 / 249) .

(2) : ((الموسوعة القرآنية)) : (478) بتصرف .

(3) : ((الموسوعة القرآنية)) : (460) .

(4) : ((التكرار)) لـ د. حسين نصّار ، (15) ، بتصرف يسير .

كما أنه من الأساليب التربوية ؛ لأنّ الكلام إذا تكرر : تقررَ في ذهن ، ولوروده في القرآن دواع بلاغية مت فاوتة (1) ؛ منها : التعظيم للشيء المذكور والتفخيم لأمره .

ويظهر ذلك في قوله تعالى : + وَتُعْزُ مِنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءُ " (2) فتكرار الجملة الفعلية (تشاء) أربع مرات جاءت لغرض مهم وهو : التفخيم والتعظيم لله ﷻ .

حادي عشر : الاستئناف البيان يـ

ويأتي بمعنى (كلُّ جُملةٍ كان مضمونها علةً للتي قبلها) (3) ، وضابط هذا الأسلوب : أن تتقدم جملة من الكلام تُثير في ذهن السامع تساؤلاً لطيفاً يُدبُّ في نفسه أو يسري سريان الماء في العود الأخضر ، فتأتي جملة أخرى تُجيب على ذلك التساؤل ، الذي ليس له صورة في الكلام ؛ بل هو يبرق كالشعاع في ذهن السامع (4) .

وقد جاء أسلوب الاستئناف البياني في آيتين من آيات العزّة :

- 1) قوله تعالى : + أَيْبَتُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (5) .
- 2) قوله تعالى : + وَلَا تَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ " (6) .

❦ القسم الثاني : (الآيات الواردة في معنى العزّة الباطلة) .

وسوف يُتناول الحديث في هذا القسم عن آيتين من آيات العزّة الباطلة :

- (1) : ((الموسوعة القرآنية)) : (460) .
- (2) : [آل عمران : 26] .
- (3) : ((التحرير والتنوير)) : (م5 / ج11 / 221) .
- (4) : ((حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين)) لمجموعة من الباحثين بمصر ، (249) .
- (5) : [النساء : 139] .
- (6) : [يونس : 65] .

الآية الأولى : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ " (1) .

الآية الثانية : + بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢٧﴾ " (2) .

ففي هاتين الآيتين ثلاثة أساليب بلاغية :

الأسلوب الأول : (الاستعارة) :

الاستعارة : هي اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له ، لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي ، أو قُل : هو تشبيه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ (3) .

وقد جاءت الاستعارة واضحة في قوله تعالى : + أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ " ، وقد دلَّ على أنها مجازٌ : أنَّ العزّة ليس لها يدٌ تأخذ بها ، فعلمَ بذلك أن المقصود بالعزّة غير العزّة الحقيقية ؛ لأنَّ معنى (أخذته العزّة) : أي احتوت عليه ، وأحاطت به ، وصار كالمأخوذ بها (4) .

وبيان الاستعارة هنا : أنه شَبَّهَ الكِبْرَ بالعزّة ، فصرّح بالمشبّه به وبه وحذف المشبّه ، من باب الاستعارة التصريحية .

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للعزّة حاليةٌ تُفهم من السياق ؛ إذ إنَّ العزّة ليس لها يدٌ تأخذ وتعطي بها ، ففهم أن المقصود بالعزّة الكبر بدليل قوله (بالاثم) ، أي : بسبب الإثم .

والاستعارة التصريحية : هي ما صرّحَ فيها بلفظ المشبّه به دون المشبّه .

(1) : [البقرة : 206] .

(2) : [ص : 2] .

(3) : ((تلخيص المفتاح)) : (151) بتصرف ، ((الموسوعة القرآنية المتخصصة)) : (532) بقلم أ.د. عبد العظيم المطعني .

(4) : ((روح المعاني)) : (م 1 ، ج 2 / 96) .

(**فائدة**) : (الآية لها منطوق ومفهوم ، والتقدير : لم يبق لأجل ما نالته من العزّة بسبب الإثم ، واكتفى عن ذلك المفهوم فذكر علته) (1) .

الأسلوب الثاني : (**الإضراب الإبطالي**) : وهو نفي الحكم السابق ، وإثبات غيره . (2)

وقد أتى الإضراب الإبطالي في قوله تعالى : **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** " (3) .

لأنّه (لمّا كان الإقسام بالقرآن دالاً على صدقه ، وأنّه حقٌّ ، وأنه ليس بمحلٍّ للريب ، قال سبحانه : **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** " فأضرب عن ذلك وكأنه قال : لا ريب فيه قطعاً ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه ، بل هم في عِزَّةٍ عن قبول الحق ، أي : تكبر وتجبّر ، **+ وَشِقَاقٍ** " أي : وامتناع عن قبول الحق) (4) .

وقال في ((التحرير)) : (إبطال لتوهم ينشأ عن الكلام الذي قبله إذ دلّ وصف القرآن بـ **+ ذِي الذِّكْرِ** " (5) أنّ القرآن مذكّرٌ سامعيه تذكيراً ناجعاً ، فعقب بإزالة توهم من يتوهم أن عدم تذكّر الكفار ليس لضعف في تذكير القرآن ولكن لأنهم متعزّزون مُشاقّون ، فحرف { بل } في مثل هذا بمنزلة حرف الاستدراك ، والمقصود منه تحقيق أنه ذو ذكر ، وإزالة الشبهة التي قد تعرض في ذلك .

ولك أن تجعل { بل } إضراباً انتقال من الشروع في التنويه بالقرآن إلى بيان سبب إعراض المعرضين عنه ، لأن في بيان ذلك السبب تحقيقاً للتنويه بالقرآن ...

ومعنى ذلك أن الكلام أخذ في الثناء على القرآن ثم انقطع عن ذلك إلى ما هو أهم وهو بيان سبب إعراض المعرضين عنه لاعتزازهم بأنفسهم

(1) : ((تفسير ابن عرفة)) لمحمد بن محمد بن عرفة الورغمي ، (2 / 596) .

(2) : ((تفسير القرطبي)) : (18 / 124) .

(3) : [ص : 2] .

(4) : ((فتح القدير)) : (4 / 507) .

(1) : [ص : 1] .

وشقاقهم ، فوق العدول عن جواب القسم استغناء بما يفيد مفاد ذلك الجواب (1)

(وتنكيرهما _ أي عزة وشقاق _ للدلالة على شدتهما ، وتفلخم الكفار فيهما) (2) .

الأسلوب الثالث : (التتميم) :

التتميم فنٌ من فنون علم البديع ، وهو عبارةٌ عن : (الإتيان في النظم والنثر بكلمةٍ ؛ إذا طُرحت من الكلام : نقص حسنه ومعناه) (3) .

وقد جاء هذا الأسلوب في قوله تعالى : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ

الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ " (4) .

حيثُ إنّه قيّد وصف العزّة بالإثم ؛ لكي يُنبّه على أنّها عزّة مذمومة لا عِزّة محمودة ، فكان قوله بالإثم مزيلاً للوهم الذي قد يحصل في بعض الأذهان من أنّها عِزّة محمودة .

قال صاحب ((الدرّ المصون)) : (وفي قوله +العزّة بالإثم" : التتميم ، وهو نوعٌ من علم البديع ، وهو عبارةٌ عن إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس وتقرّبها من الفهم ، وذلك أنّ العزّة تكون محمودة ومذمومة ... ، فلو أُطلقت لتوهم فيها بعضٌ من لا عناية له بالمحمودة فقول : +بالإثم" تتميمٌ للمراد فرفع اللبس بها) (5) .

تلك بعض الأساليب البلاغية التي ذكرت في النوع الأول موزعة على قسمين ، نسأل الله أن يُذيقنا حلاوة فهم كتابه اللّويم ، واستخراج مكنوناته .



(2) : ((التحرير والتنوير)) : (9م ، ج 23 / 204 ، 205) .

(3) : ((التسهيل في علوم التنزيل)) : (3 / 179) ، وانظر ((الدرّ المصون)) : (9 / 346) .

(4) : ((علم البديع)) لـ د. عبد العزيز عتيق ، (118) ، و ((الموسوعة القرآنية المتخصصة)) : (456) .

(1) : [البقرة : 206] .

(2) : ((الدرّ المصون)) : (2 / 354 ، 355) .

❖ النوع الثاني : (الآيات الواردة في المعاني التي تؤول إلى العزّة) ، ومن تلك المعاني :

(1) (اللين والرحمة بالمؤمنين ، والشدة والغلظة على الكافرين : تسبب العزّة)
قال تعالى : + مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " (1)

والأسلوب البلاغي المستنبط من هذه الآية هو (مما يلحق بالطباق) لأنّ الطباق _ كما سبق _ : الجمع بين المتضادين والمتقابلين ، وأمّا ما يُلحق به : (فهو أن يُجمع بين معنيين لا يتباينان في ذاتهما ، ولكن يتعلّق أحدهما بما يُقابل الآخر بسببه أو لزومه أو نحوهما) (2) .

وعليه : فإنّ الآية ذكرت الشدّة ولم تذكر اللين الذي هو ضده ؛ وإنّما ذكرت سبباً من مسبباته وهو الرحمة .

ومن الأساليب والأوجه البلاغية في هذه الآية : (التتميم) : ففي قوله تعالى : + رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " (استدراكٌ من قسوةٍ ؛ لأنّه لو لم يذكرها لوقع في بعض النفوس وهم أنّهم فساةٌ في التعامل ، ولكن لما قال : + رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " عُلِمَ أنّ مبعث شدّتهم هو عدم موالاتهم لأهل الكفر ، وبخاصّةٍ أنّ الكفار في عصر نزول القرآن كانوا شديدي القسوة على المؤمنين ، فعاملهم المؤمنون بالمثّل .

(1) : [الفتح : 29] .

(2) : ((بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة)) - أ . عبد المتعال الصعيدي ، (4 / 10) .

ويجوز أن يكون التكميل هو الأول ، فيكون من الاستدراك من الضعف ، يعني أنهم يستعملون الشدّة في مواضع الشدة ، ويستعملون اللين في مواضع اللين (1) .

(2) (تحصيل العلماء للرفعة والعزّة والشرف في الدنيا والآخرة) قال تعالى :
 + يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾
 " (2) ، حيث كانت الرفعة هنا تستلزم معنى العزّة كما هو واضح من السياق ، وكذلك قوله تعالى : + ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ " (3) .

وأما الوجه البياني هنا : هو عطف الخاص على العام تنبيهاً على شرفه ، فإنّ العلماء من ضمن المؤمنين ، ولكن أفردوا بالذكر : تعظيماً لهم .
 (3) (التمكين للمؤمنين في الأرض ، وخلافتها ، والأمن فيها) حيث إنه صورة من صور العزّة ؛ وعد الله به المؤمنين مقابل : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قال تعالى : + الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿١٤﴾ " (4) .

وذكر في آية أخرى أمرين جامعين لتحقيق هذا السبب المذكور ، فقال
 ﴿١٥﴾ : + وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ

(1) : (الموسوعة القرآنية) : (464) .

(2) : [المجادلة : 11] .

(3) : [يوسف : 76] .

(4) : [الحج : 41] .

وَلْيَبَدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٦﴾ " (1) .

والأسلوب البلاغي في هذه الآية تشكّل بألوان عدّة ، فمن تلك الأساليب والألوان :

■ المطابقة بين الخوف والأمن في قوله تعالى : + مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " (إبرازاً للتضاد ، وإشارةً لعظم ما سيؤتون) (2) .

■ كثرة المؤكّدات لهذا الوعد الذي في الآية الكريمة ، (أولها : القسم المحذوف الذي دخلت اللام على جوابه ، تقديره : وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم ، أو نزل وعد الله في تحقّقه منزل القسم فنلقى بما يتلقى به القسم ، كأنه قال : أقسم الله ليستخلفنهم .

ثم باللام الداخلة على جواب القسم ، ثم بنون التوكيد الثقيلة الملحقة بالفعل ...) (3) .

■ الترغيب في الإيمان والعمل الصالح الباعثين للعزّة .

■ الاستعارة ، وذلك في قوله تعالى : + وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ " ، والله أعلم .

(2) (ولاية الله للمؤمنين) : مثل قوله تعالى : + اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٦﴾ " (4) ، فالولاية تستلزم النصر ، والنصرة تستلزم

(1) : [النور : 55] .

(2) : ((أسلوب الدعوة القرآنية)) : (137) .

(3) : ((أسلوب الدعوة القرآنية)) : (136) .

(1) : [البقرة : 257] .

معنى العزّة ، قال البقاعي في قوله تعالى : + ذَلِكُمْ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا
عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ " (1) : ()
ذِكْرُ النَّصْرَةِ دَلِيلُ الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ (2) .

والأسلوب البلاغي المستعمل في الآية هو : الاستعارة
التصريحية الأصلية ، (وهي ما يكون في الأسماء الجامدة غير
المشتقة ؛ حيث إنّه استعار الظلمات للضلال والجهل للكفر ، وكل من
المستعار وهو الظلمات ، والمستعار له وهو الضلال ؛ اسمان جامدان
غير مشتقين .

والجامع بينهما هو : الحيرة والارتباك في كلّ منهما ، والقرينة
المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للظلمات حالية تُفهم من المقام .

ثم استعارة النور للإيمان على سبيل الاستعارة التصريحية
الأصلية ؛ لأنّ كلا من النور وهو _ المستعار _ ، والإيمان وهو _
المستعار له _ : اسمان جامدان ، والجامع بينهما هو : الهداية
والاطمئنان ، والقرينة حالية كذلك (3) .

(3) (العلو) : وقد يكون حسيًا ومعنويًا ، وأعني به عزّة المكان
والمكانة الناتجة للمؤمن تجاه الكافر ، قال تعالى : + وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ " (4) ، فهذه عزّة معنوية ، وقد تكون
حسيّة كانتصار المسلمين على الكافرين ؛ حيث نهاهم في الآية الكريمة
وحثّهم في نفس الوقت ، نهاهم عن الضعف والخور والمهانة والحزن ،
وحثّهم على الإقدام والشجاعة بعدم الاستسلام لليأس ، قال الشوكاني : ()
ولا تهنوا ولا تحزنوا : عزّاهم وسلاّهم بما نالهم يوم أحدٍ من القتل
والجراح ، وحثّهم على قتال عدوهم ، ونهاهم عن العجز والفشل ، ثم
بين لهم أنّهم الأعْلَوْنَ على عدوهم بالنصر والظفر ، وهي جملة حالية :
أي والحال أنكم الأعْلون عليّ هم وعلى غيرهم بعد هذه الواقعة ، وقد

(2) : [الحج : 60] .

(3) : ((نظم الدرر)) : (13 / 79) .

(1) : ((الموسوعة القرآنية المتخصصة)) : (536) .

(2) : [آل عمران : 139] .

صدق الله وعده ، فإن النبي × بعد وقعة أحد ظفر بعدوه في جميع
وقعاته (1) .

(4) (نصره الله للمؤمنين) : وأمثله كثيرة ، ومن ذلك قوله ﷻ : + إن
يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ^ط وَإِنْ تَخَذَلْكُمْ^ط فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ^ط
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ " (2) .

فبين قوله تعالى : + إن يَنْصُرْكُمْ .. فَلَا غَالِبَ لَكُمْ " وقوله تعالى

: + وَإِنْ تَخَذَلْكُمْ .. فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ " (مُقَابَلَةٌ) ونوعها مقابلة
اثنين باثنين ؛ وهي من المحسنات المعنوية في علم البديع (3) ، فقابل
بين النَّصْر والخذلان لأنهما ضدّان ، وقابل بين الهزيمة والنصر .

والمقابلة هي : أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يُؤتى بما
يقابل ذلك على الترتيب . (4)

كما أنّ في الآية الكريمة وقفه بلاغية أخرى وهي (الالتفات) ،
قال أبو حيّان : (إن يَنْصُرْكُمْ اللهُ فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا
الذي يَنْصُرْكُمْ من بعده : هذا التّفات ، إذ هو خروج من غيبة إلى
الخطاب) (5) .

وقال أبو السعود (6) : (إن يَنْصُرْكُمْ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ : جملة
مستأنفة ، سيقّت بطريق تلوين الخطاب ؛ تشريةً للمؤمنين لإيجاب

(3) : ((فتح القدير)) : (1 / 495) .

(4) : [آل عمران : 160] .

(1) : راجع : ((تلخيص المفتاح)) : (175 - 177) ، و ((علم البديع)) : (76) .

(2) : ((تلخيص المفتاح)) : (177) ، وانظر : ((جواهر البلاغة)) لأحمد الهاشمي ، (293) .

(3) : ((البحر المحيط)) : (3 / 100) .

(4) : هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، أبو السعود : مفسر شاعر ، من علماء الترك
المستعربين ، ولد بقرب القسطنطينية ، ودرس ودرّس في بلاد متعددة ، كان حاضر الذهن سريع
البيهة ، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب
الكريم)) ، ومن كتبه : ((تحفة الطلاب)) في المناظرة ، و ((رسالة في المسح على الخفين)) و
((رسالة في مسائل الوقوف)) ، وكان مميّلاً حظياً عند السلطان ، توفي سنة (982 هـ) ، وهو
مدفون في جوار مرقد أبي أيوب الأنصاري . ((الأعلام)) : (7 / 59) بتصرف .

توكّلهم عليه تعالى ، وحثّهم على اللجأ إليه ، وتحذيرهم عما يُفضي إلى خذلانه (1) .

(5) (معية الله للمؤمنين) : قال تعالى : + **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٥﴾ " (2) .

والخطاب في قوله تعالى + **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ** : للمشركين على سبيل السخرية والتهكم بهم ، كقوله تعالى + **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴿٥﴾ " (3) .

ومعية الله هنا للمؤمنين من باب النصرة والمعونة لهم (4) ، وتأييساً للمشركين من النصر ، قال ابن عاشور : + **وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** " إظهار في مقام الإضمار ، لأن مقتضى الظاهر أن يُقال : وإن الله معكم ، فعدّل إلى الاسم الظاهر للإيماء إلى أن سبب عناية الله بهم هو إيمانهم (5) .

(5) : ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)) : (م 1 ، ج 2 / 105) .

(1) : [الأنفال : 19] .

(2) : [الدخان : 49] .

(3) : ((تأويلات أهل السنة)) لأبي منصور محمد بن محمد المائريدي ، (5 / 174) .

(4) : ((التحرير والتنوير)) : (م 4 / ج 9 / 301) .



للأسلوب القرآني في موضوع العزّة خصائص ؛ يُمكن بيانها فيما يلي :

الخصيصة الأولى : (الشمولية) : وهي أنها تُربي وتُنشئ المسلم على أكثر من أسلوب لكي تشمل جميع جوانبه الحسيّة والمعنوية ، فهي تُوجه وتُربي تارةً بأسلوب الترغيب في طلب العزّة من مالكها وهو الله ﷻ ، والتأكي على ذلك مراراً وتكراراً ، مع التهييج على طلبها بقوله : + مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (1) ، وقوله : + وَلَا سَخِرْنَاكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (2) ، وقوله : + فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (3) .

وتارةً بأسلوب الترهيب من أضرارها ، أو الذم لمن طلبها من غير مصدرها الحقيقي ، كالمنافقين عندما طلبوا العزّة من اليهود أو المشركين فقيل لهم : + أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ؟ " (4) ، وقوله : + يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ " (5) .

وتارةً أخرى على سبيل الذم لهم ، أو بالتنفير من العزّة الكاذبة ، كقوله تعالى : + أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ " (6) ، وقوله تعالى : + بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢١﴾ " (7) .

ويُبين ﷻ اختصاصه بالعزّة ، وأنّ شأنها شأن ملكه ؛ كلُّ نَحْتٍ تصرّفه ، له الحقُّ أن يهبها لمن يشاء ويمنعها ممن يشاء + قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ

(1) : [فاطر : 10] .

(2) : [يونس : 65] .

(3) : [النساء : 139] .

(4) : [النساء : 139] .

(5) : [المنافقون : 8] .

(6) : [البقرة : 206] .

(1) : [ص : 2] .

الْمَلِكُ تُؤْتِي الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (1) .

الْخَصِيصَةُ الثَّانِيَّةُ : (العالمية) : وأعني به العالمية في الخطاب الإلهي

لكل مُسْلِمٍ على وجه الأرض بأن يكون عزيزاً بإسلامه وإيمانه ، فالمسلم الذي يعيش في شرق الأرض ، والآخر الذي يعيش في غربها ، كلهم يشملهم ذلك الخطاب الإلهي الكريم .

فالله ﷻ حينما أنكر على المنافقين طلبهم العزّة من الكفار في قوله له تعالى + الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٦﴾ " (2) ، كان موقفاً أريد به تربية المؤمنين ومن بعدهم قبل أن يكون خاصاً بالمنافقين ، فالخطابُ يشمل زماننا _ وكل زمان _ من النهي عن ابتغاء العزّة عند أعداء الله من الكفرة ، والعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (3) .

ويندرجُ تحت ذلك : تطبيقات هذه العزّة ، وكل ما كان من شأنه أن يجعل المسلم بين الناس عزيزاً شريفاً يُهابُ من الجميع ، ولن يكون ذلك إلا بتطبيق شرع الله ظاهراً وباطناً ، والاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام .

الْخَصِيصَةُ الثَّالِثَةُ : (إقناع العقل ، وإمتاع العاطفة) :

أمّا إقناع العقل : فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يقرأ أو يستمع لآيات العزّة دون أن يجد نفسه مشدوداً إليها ، مُسْتَجَمِعاً كلَّ شوارده فكره ، مُرَكِّزاً انتباهه وحواسه ليلاحق هذه الأساليب المنتابعة ، ليعي مدلولها ، ويتدبّر مراميها (4) .

(2) : [آل عمران : 26] .

(3) : [النساء : 139] .

(4) : هذه القاعدة المذكورة ، ذكرها المفسرون وذهب إليها أكثر الأصوليون في كتبهم ، ومن أولئك : جلال الدين السيوطي في ((الإتيقان)) : (1 / 63) ، والزرکشي في ((البرهان)) : (1 / 57) ، وابن قدامة المقدسي في ((روضة الناظر وجنة المناظر)) : (2 / 693) .

(1) : ((أسلوب الدعوة القرآنية)) : (178) بتصرف .

فلو لاحظنا آية سورة النساء مثلاً : + أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ

لِلَّهِ جَمِيعًا " (1) ، لوجدنا أنها مَحْطَةٌ إقناع عقلي ، فيها من الإلزام عن طريق

الاستفهام الإنكاري والتهمي والتوكيد في نفس الوقت ما لا يجعل مجالاً للشك عند سامعه بالإثبات أو النفي المطروحين في الآية الكريمة .

مع العلم بأن المخاطب يُدرك تمامًا ذلك المعنى المثبت أو المنفي ؛ ولكن لئلا ذلك كان لإعمال وظيفة العقل وإقناعه بما قد يكون غافلاً عنه قبل ذلك .

وقد أورد السيوطي (2) عن بعض الأئمة أنهم يقولون : (ما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام وإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك بالإثبات أو النفي) (3) .

ويتضح ذلك أيضاً في مثل قوله تعالى : + مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ

الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (4) ، حيث إن (مَن) شرطية ، (وما بعدها فعل الشرط ،

وجوابه محذوف دل عليه قوله + فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " فهي تعليل للجواب

المحذوف ، والجواب المحذوف تقديره : فليطلبها من الله تعالى) (5) .

وأما الإمتاع العاطفي : فذلك تلبية لرغبات النفس بما يُحقق لها الراحة في الدنيا في ظل تمام العبودية لله ﷻ .

فالمرء يحتاج من الأخلاق ما يرفع رأسه بين الناس من غير كبر ، وما يُحقق له الطمأنينة والسعادة مع شموخ في النفس ، فلما علم الله ﷻ

(2) : [النساء : 139] .

(3) : هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي ، جلال الدين : إمام حافظ مؤرخ أديب ، له نحو 600 مصنف ، منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة ، نشأ في القاهرة يتيمًا ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل ، منزوليًا عن أصحابه جميعًا ، كأنه لا يعرف أحدا منهم ، ألف أكثر كتبه ، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه = ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها ، وطلبه السلطان مرارًا فلم يحضر إليه ، وأرسل إليه هدايا فردها ، توفي سنة : (911 هـ) . ((الأعلام)) : (3 / 301) بتصرف .

(1) : ((معترك الأقران)) : (1 / 328) .

(2) : [فاطر : 10] .

(3) : ((تفسير سورة فاطر دراسة تحليلية وموضوعية)) : (70) .

حاجة هذه النفس : أمرها ودعاها إلى أخلاق تُحقّق لها حاجيّتها ، ومن تلك الأخلاق : خلق العزّة الذي من حقّقه كان مكمّن الإمتاع .

فتمت بذلك قوتان يَحْتَاجُهُمَا المرء ؛ لأنّ (في النفس الإنسانية قوتان : قوة تفكير ، وقوة وجدان ، وحاجة كل واحد منهما غير حاجة أختها .

فأمّا إحداهما : فنُنقِبُ عن الحقِّ لِمعرفته ، وعن الخير للعمل به ، وأمّا الأخرى : فتسجّل إحساسها بما في الأشياء من لذّة وألم ، والبيان التام هو الذي يُوقّي لك هاتين الحاجتَيْن ، ويطيّر إلى نفسك بهذين الجناحين ، فيؤتيها حظّها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً ، فهل رأيت هذا التمام في كلام الناس) (1) .

الْخَصِيصَةُ الرَّابِعَةُ : (القصد في اللفظ ، والوفاء بحقّ المعنى) : ومعنى هذا (أنّك في كلّ جُملةٍ مِنْ جُمَلِ القرآن الكريم ، تَجِدُ بَيَانًا وَقَاصِدًا مَقْدَرًا عَلَى حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية ، دون أن يزيد اللفظ على المعنى ، أو يَقْصِرَ عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق ﷻ .

ومع هذا القصد اللفظي البريء من الإسراف والتقتير ، تَجِدُهُ قد حَلَّى لك المعنى في صورة كاملة ، لا تنقص شيئاً يُعتبر عنصراً أصلياً فيها أو حلية مكمّلة لها ، كما أنها لا تَزِيدُ شيئاً يُعتبر دخيلاً فيها وغريباً عنها ؛ بل هو كما قال الله سبحانه تعالى : **الرَّ كَتَبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** " (2) (3) .

وهذا ملاحظ من خلال عرضه لآيات العزّة ، فالألفاظ مَحْدُودَةٌ كقوله تعالى : **أَيَّبَتُّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** " (4) ، وقوله : **وَلَا تَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** " (5) ، وقوله : **مَنْ**

(1) : ((النبأ العظيم)) د/ محمد عبد الله دراز ، (148) .

(2) : [هود : 1] .

(3) : ((مناهل العرفان)) : (2 / 346 ، 347) .

(4) : [النساء : 139] .

(5) : [يونس : 65] .

كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (1) ، وقوله : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ " (2) .

ولكن المعاني جاءت في صورة كاملة ، ملبية لحاجة الخلق لهذا الخلق العظيم ، فقد أراح النفوس بحثها على طلب العزّة من مصدر واحد لا مصادر ، ولا منازعة في ذلك ، ثم بيّن السبب الذي تُنال به العزّة وهو سلوك مسلك الإيمان والعمل الصالح ، والتذلل بين يدي الله ﷻ .

ثم بعد ذلك أوضح بدلالة المفهوم (3) أنّ هناك عزّتين : عزّة حقيقية وعزّة باطلة ، وجعل لكلّ عزّة قوماً وأهلاً لها ، فالرسول الكريم * والمؤمنون الصادقون هم أهل العزّة الحقيقية ، والمنافقون والكفار هم أهل العزّة الباطلة ، مع أنّ هذه العزّة في الحقيقة ليست بعزّة حقيقية ، وهي أشبه ما تكون (بخيوط العنكبوت ؛ لأنها واهية بالية) (4) .

كلّ هذه المعاني وأكثر منها موجودة في هذه الألفاظ القليلة ، لتبيّن عظمة هذا القرآن ؛ بل إنّ القرآن الكريم فيه ثراء في معانيه الموجودة فيه ، (فالقرآن ينتقي من الألفاظ جوامعها وأغناها بالدلالة ، ويختار من أدوات التعبير ما يُعطي من المعنى ما هو دائماً مُتجدّد مُدقّق ، بحيث يسع وجهات النظر المختلفة) (5) .

الخصيصة الخامسة : (ربّانية المصدر والجهة والملكية) : فقد وجّهت الأساليب القرآنية في حديثها عن العزّة : أنّ من أراد تحصيل العزّة ونوالها فليس له ذلك إلا من جهة واحدة ، وهو الله ﷻ ؛ لأنّ العزّة ليس لها إلا مصدر واحد ، ومالكها واحد .

(1) : [فاطر : 10] .

(2) : [المنافقون : 8] .

(3) : دلالة المفهوم من الدلالات التي تكلم عنها الأصوليون في أبواب الأدلة الذي هو عمدة علم أصول الفقه كما قاله أبو حامد الغزالي في ((المستصفى)) : (2 / 191) ، ويُقصد بها : ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق ، انظر : ((الإحكام في أصول الأحكام)) لعلي بن أبي علي الأمدي ، (1م ، ج 2 / 466) ، وانظر : ((الإتيان في علوم القرآن)) : (2 / 69) ، و ((دراسات في أصول التفسير)) لـ د. محسن عبد الحميد ، (103) .

(4) : ((التحرير والتنوير)) : (22 / 269 ، 270) .

(1) : ((خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)) د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، (1 /

وهذا ظاهرٌ في كثير من آيات العزّة ، ومن أمثلته قوله تعالى : + فَإِنَّ
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (1) ، وقوله تعالى : + إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا " (2) ، حيث
 كان التأكيد بـ (إِنَّ) و (جميعًا) في الآيتين الكريمتين دليلٌ على انفراده
 بملكيّة العزّة .

وكذلك هو الحال في أسلوب الحصر المتمثل في قوله تعالى : + مَنْ
 كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (3) ، وقوله ﷻ : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (4) ، فتقديم المعمول يُفيدُ
 الحصر والقصر ، كما أنّ اللام في قوله تعالى : + فَلله " للاختصاص ،
 فتُفيد اختصاص ملكية الله للعزّة .

وقال البقاعي : (ولَمَّا رَعِبَ في اقتناص العزّة بعد أن أخبر أنه لا
 شيء فيها لغيره ؛ دلّ على اختصاصه بها بشمول علمه وقدرته) (5) .

وأوضح من ذلك في الدلالة قوله تعالى : + قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي
 الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ
 الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ " (6) ، حيث بيّنت الآية الكريمة أنّ العزّة
 ملكٌ لله من جهتين :

الجهة الأولى : أن إتيان الملك ونزعه عزّة ومذلة ظاهرة عند أهله ،
 فكما أنّ الله هو مالك الملك ، هو كذلك مالك العزّة .

(2) : [النساء : 139] .

(3) : [يونس : 65] .

(4) : [فاطر : 10] .

(5) : [المنافقون : 8] .

(1) : ((نظم الدرر)) : (16 / 19) .

(2) : [آل عمران : 26] .

الجهة الثانية : دلالة نصّ قوله تعالى : **+ وَتُعْزُّ مِنْ تَشَاءٍ وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءٍ**

" ، فالإعزاز والإذلال منشأه منه **﴿١﴾** ؛ لأنه من مُلْكِهِ يَهْبَهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ .

الخصيصة السادسة : (براعة القرآن في تصريف القول ، وثروته في أفانين

الكلام) : ومعنى هذا أنه يُورد المعنى الواحد د بألفاظ مُختلفة والعكس ، بمقدرة فائقة خارقة ، تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء (1) .

ومن هذا القبيل ما وَرَدَ من معان ذات مدلولٍ مُختلف للفظة العزّة الوحيدة ، وكذا الألفاظ المتعدّدة الدالة على معنى واحد وهو العزّة .

فلو لاحظنا أنّ النصرة والموالة للمؤمنين ، من الألفاظ التي يُراد من تعدد ألفاظها معنى واحد وهو حصول معنى العزّة .

وكذا لفظ العزّة ، فقد وَرَدَ بمعانٍ شتى في القرآن _ من قوّة ومَنَعَةٍ وشَرَفٍ وتكَبُّرٍ _ يجمعها جانبان ونوعان : عزّة لها معنى صحيحٌ حقيقي ، وعزّة لها معنى باطل .

الخصيصة السابعة : أنه يُوظفُ أنواع الكلام لغاية مُبيّنة في القرآن

الكريم ، وهي الهداية للتي هي أقوم ، بنصّ قول الله : **+ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ**

يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا

" (2) ﴿٢﴾ .

وهي حقيقةٌ يجبُ ألاّ تغيبَ عن بال الباحثين والدارسين في أسلوب القرآن وخصائصه .

وذلك : أنّ القرآن هدى قلوب الناس إلى هذا الخلق العظيم ، وبيّن لهم مصدره الوحيد الذي يطلبونه منه ، وبما يكون ذلك الطلب ، ووضّح

(3) : ((مناهل العرفان)) : (2 / 341) بتصرف يسير .

(1) : [الإسراء : 9] .

الأسباب الجالبة لنواله ، وما هو الفضل والجزاء لمن حازه ؛ كل ذلك بأساليب متنوعة ، وبلاغة متناهية في الدقة .

الخصيصة الثامنة : (الجزالة والقوة في الألفاظ ، وكذا المعاني) ، ويتضح ذلك جلياً من خلال معرفة آيات العزّة المكية والمدنية ، وآيات العزّة المكية فيها من القوة في اختيار الألفاظ ما يُناسب مرحلة تأسيس ذلك الخلق مع اختصار في الجمل .

وأما آيات العزّة المدنية فيغلب عليها طابع القوة في التقرير الجملي لهذا الخلق العظيم وأحكامه ، وهذا يؤكد لنا خاصية القرآن المدني في طول آياته ، ممّا يتناسب مع تلك المرحلة عبّر أسلوب الوصف والتمثيل والتنويع والتأكيد.. الخ .

الخصيصة التاسعة : (مطابقة وموائمة المعاني للألفاظ) ، فلا يفهم من آيات العزّة ما يُناقض الألفاظ ؛ كلُّ بحسب السياق ، فالمعاني التي عبّر عنها بالتكبر والتهيه وعدم قبول الحقّ .. الخ كانت بلفظ العزّة ، ومعاني الشدة والمنعة والكرامة والرفعة والتواضع كانت أيضاً بلفظ العزّة ؛ لكن يتضح المعنى المراد من خلال سياق الآيات عن طريق أساليب بلاغية عالية المستوى تدلُّ على المعنى المراد منها ، فكانت الألفاظ موافقة للمعاني ، وهذا من بليغ البيان القرآني .

ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى + **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٦٦﴾ (1) ، فالعزّة ليس لها يدٌ تأخذُ بها ، كما أن قوله بالإثم أبان عن أنها ليست تلك العزّة الحقيقية .

الخصيصة العاشرة : (التربية للفرد المسلم على التعلق بالله تعالى) ، فكل عزّة دون عزّة الله هي عزّة باطلة كاذبة .

فآيات العزّة تهدف إلى تربية من يقرأ القرآن الكريم على خلق العزّة عموماً ، طلباً لها ، وتحقيقاً لوسائلها ...

الخصيصة الحادية عشرة : (ترتيب النتائج على مقدماتها) وهو من أعظم الخصائص ، ويأتي في الأسلوب الشرطي ؛ فالشرط مقدمة وجوابه نتيجة .

ويتضح ذلك في قوله تعالى : **+ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** " فمن هنا شرطية ، وفعل الشرط يُريد ، والفاء في قوله **+ فَلِلَّهِ** " واقعة في جواب الشرط . فمن أراد تحقيق خلق العزّة فليطلبها من الله ﷻ عن طريق الإيمان والعمل الصالح ، كما هو مبين في الآية بعد ذلك .

قال الألوسي (1) : (ومَنْ اسم شرط ، وما بعده فعل الشرط ، والجمع بين كان ويُريد للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها ، وقوله تعالى : **+ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** " دليل الجواب ولا يصحّ جعله جوابًا من حيث الصناعة ؛ لخلوّه عن ضمير يعود على مَنْ ، وقد قالوا : لا بدّ أن يكون في جملة الجواب ضمير يعود على اسم الشرط إذ لا م يكن ظرفًا ، والتقدير : مَنْ كان يُريد العزّة فليطلبها من الله تعالى ، فله وحده لا لغيره العزّة ، فهو سبحانه يتصرف فيها كما يُريد) (2) .



(1) : هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألويسي الحسيني ، أبو المعالي : مؤرخ ، عالم بالأدب والدين ، من الدعاة إلى الإصلاح ، ولد في رصافة بغداد ، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما ، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد ، له 52 مصنّفًا ، بين كتاب ورسالة ، منها : ((بلوغ الأرب في أحوال العرب)) ، و ((أخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد)) ، و ((المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر)) و ((مساجد بغداد)) ، توفي سنة : (1342هـ) . ((الأعلام)) : (173 ، 172 / 7) بتصرف .

(2) : ((روح المعاني)) : (م 11 ، ج 22 / 173) .

الخلاصة

وخلاصة القول في هذا الفصل : أن للقرآن الكريم في حديثه عن العزّة أساليب وخصائص تعكسُ منهج القرآن الكريم في البناء والتربية ، وقد علمنا أنّ هناك فرقاً بين الأسلوب والخصائص .

مع التنبيه : بأن بعضها (عامٌ) ينطبقُ على جميع ما في القرآن من ألفاظ وخصائص ، فاندرجت أساليب العزّة وخصائصها تحت هذا القسم ، كجزالة الألفاظ ، وترتب المقدمات على النتائج ويظهر في الأسلوب الشرطي ، وتربية المسلم على التعلق بالله ﷻ ... الخ .

وقسمٌ (خاصٌ) بموضوع العزّة ، كالتربية على طلب العزّة من الله .

كما لوحظ من خلال ما سبق : كثرة تنوع تلك الأساليب كثرة متناهية في الدقة والجمال البياني الأخاذ ؛ حتى إنه يُوجد في الآية الواحدة أكثر من نوع من تلك الأساليب .

وكل ما ذكر من أساليب وخصائص يُبيّنُ وجوه الإعجاز البياني القرآني لكلام ربّ العالمين ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .



الفصل الرابع :

(حقيقة العزّة وأزواعها ووسائلها وآثارها)

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : (حقيقة العزّة) .

المبحث الثاني : (أهميّة التربيّة على العزّة ..؟!) .

المبحث الثالث : (مصادِرُ العزّة ، وأنواعها ، ومجالاتها ، ومظاهرها) .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : (مصادِرُ العزّة) .

المطلب الثاني : (أنواعُ العزّة) .

المطلب الثالث : (مجالاتُ العزّة) .

المطلب الرابع : (مظاهرُ العزّة) .

المبحث الرابع : (وسائلُ تحقّيق العزّة ، وصفات أهلها)

المبحث الخامس : (آثارُ العزّة ، وثمراتها) .



المبحث الأول :

حَقِيقَةُ الْعِزَّةِ

تقدم فيما سبق : أن العزّة الحقيقية لا تكون إلا لله ﷻ ، وأنها لا تُطلب إلا منه ؛ لذلك أمر المؤمنين بطلبها منه ، قال تعالى : + مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا^١ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ^٢ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ^٣ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿١٠﴾ " (1) .

يقول صاحب الظلال : (وهذه الحقيقة كفيّلة حين تستقرُّ في القلوب : أن تُبدل المعايير كلها ، وتبدل الوسائل والخطط أيضاً !

إنّ العزّة كلها لله ، وليس شيء منها عند أحدٍ سواه ، فمن كان يريد العزّة فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره ؛ ليطلبها عند الله ، فهو واجدها هناك ، وليس بواجدها عند أحد ، ولا في أيّ كنفٍ ، ولا بأيّ سببٍ . + فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا^٤ ") (2) .

والناس تختلف مفاهيمهم وطرائقهم عن العزّة ، فمنهم من يبحث عنها في بهارج الدنيا كالمال وغيره ، ويظنُّ أنه على شيء ، ومنهم من يبحث عنها في الاعتزاز بالقبائل والألقاب والعشائر ، وقد أخطأ وأبعد .

% فالذي يبحث عن العزّة في الافتخار بالآباء والاعتزاز بالأنساب : فهو مُخطئ ؛ لأنه اعترى بأمر غير عزيز ، وقد نهى الشرع عن الافتخار بالآباء ، كما قال تعالى : + وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ

مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١١﴾ " إلى قوله تعالى : + وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^٥ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمُ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿١٢﴾ " (3) .

ففي قوله (وأعزُّ نفراً) مع قوله (أقلُّ منك مالاً وولداً) : اعتزازٌ وافتخار بكثرة العشيرة والمال ، واستقلالٌ واستبدالٌ لِقَلَّتَهُمَا ، (وهذا على عادة الكفار في الافتخار بكثرة المال وعزّة العشيرة ، والتكبر والاعتزاز بما نالوه من حطام الدنيا) (4) .

(1) : [فاطر : 10] .

(2) : ((الظلال)) : (2930 / 5) .

(1) : [الكهف : 34 ، 39] .

(2) : ((البحر المحيط)) : (125 / 6) .

وهذا الافتخار موجودٌ منذ القدم ، فنبى الله شعيب عليه السلام كان مُستضعفاً من قومه ؛ لأنه قليل العشيرة المُعاونة له على طريق الدعوة إلى الله ﷻ ، قال تعالى : + قَالُوا يَشْعُيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ^ط وَأَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١٦﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ أَرْهَطِي - أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧﴾ " (1) ، فقوله تعالى : + وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا " : (معناه : إنّما أنت واحد) (2) .

ولذلك أنكر عليهم نبى الله شعيب عليه السلام بقوله : + قَالَ يَنْقَوْمِ أَرْهَطِي - أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ " ، (وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه خطب فتلا هذه الآية في شعيب ، فقال : والله الذي لا إله غيره ما هابوا جلال ربهم ، ما هابوا إلا العشيرة) (3) .

والناظر المتأمل في واقع المسلمين اليوم ، يرى كثيراً من أمور التعزّز بالقبائل والعشائر ، والافتخار بالأنساب ، وتعظيم الأباء والأجداد ، وترك الاعتزاز بالله ﷻ ورسوله والمؤمنين ، وهذا من الأمور المنافية لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

لذلك نعيشُ الأمة الإسلامية من أسوأ مراحلها التاريخية لعدّة أسباب ؛ هذا من أهمها ، فهو سببٌ رئيسيٌّ في فُرقة الأمة ، واختلاف كلمتها ، وتشتت وحدتها ، ومن ثمّ تمكّن أعدائها منها ، فأبي ذلّة تلك المذلة .

إنّ الاعتزاز بالأخوة الإسلامية مطلبٌ شرعي واجتماعي ؛ لكي يُحافظ على عزّة المجتمع المسلم وأفراده ، وحماية الأعراض والممتلكات .

% ومن الناس من يبيحُ عن العزّة في : (المال ، وعالم الثروة) : وهو **واهم** ، ويبحُث عن سراب ليس بحقيقة ؛ لأنّ الله ذكر لنا في القرآن الكريم قصة قارون وقومه ؛ عندما ابتغوا العزّة في الغنى والمال الذي كان عند

(3) : [هود : 91 ، 92] .

(4) : ((فتح القدير)) : (2 / 665) .

(5) : نفس المصدر : (2 / 665) .

قارون، والذي بلغت عدد خزائنه من المال + مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوتُوا بِالْعُصْبَةِ
 أُولَى الْقُوَّةِ .. " (1) ، فظنوا أنه نال العزّة والكرامة والشرف ، وزادَ ظنّهم
 عندما خرج عليهم في كامل زينته : + فَخَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِي فِي زِينَتِهِ " (2) ،
 وصاحَ حينها من كان يُريد الحياة الدنيا : + يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ
 لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ " (3) ، وفي خِضَمِّ ذلك الموقف أراد الله العزيز _ الذي
 لا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ فِي عِزِّهِ _ أن يُريهم تربية ميدانية وهم يشهدون ؛ أن ما مع
 قارون هو عزٌّ وهميٌّ زائل ، فقال تعالى : + كُفَسْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا
 كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْأَمْتَنِينَ ﴿٧٧﴾ " (4) ،
 عندها عرفوا حقيقة ما كان عند قارون من ملك ومال وجاه ، + وَأَصْبَحَ
 الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُؤُا اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَافُؤُا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ " (5)

والمالُ وسيلةٌ يُستعانُ بها على التنبُّغ في الحياة الدنيا التي هي ممرٌّ
 للدار الآخرة ، وبما أن هذه الحياة الدنيا زائلةٌ فانيةٌ ؛ فالمال من باب أولى لا
 يدوم لأحدٍ مهما كثرَ ماله وثروته ، فربّما تُصيبه قارعة من قوارع الدهر
 فيسلبه الله ما أعطاه، أو يأتيه الموتُ ويدخل القبرَ من دون ماله، وهذه هي
 حال المال والدنيا .

% ومن الناس من يبحث عنها في : (المناصب العالية والجاه والملك) :
 وهذا لن يجدها هناك ؛ لأن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم قصة الطاغية

(1) : [القصص : 76] .

(2) : [القصص : 79] .

(3) : [القصص : 79] .

(1) : [القصص : 81] .

(2) : [القصص : 82] .

فرعون حين ثمرّد وقال : (+ .. قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٠٠﴾ " (1) ، ومع ذلك لم يُعزّه ملكه ؛ فكانت النتيجة : + فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠١﴾ " (2) (3) .

% ومنهم من يبحث عنها في : (موالاة أعداء الله) اغتراراً بقوتهم وسلاحهم وسيطرتهم : ولن يجدها هناك ؛ لأنّ الله ﷻ أخبر عن صفات من يُحبهم ويُحبونه من المؤمنين الغيورين _ بحق _ على دينهم : أنهم يُذلون أنفسهم للمؤمنين ؛ بمعنى : تزيين الخطاب لهم ، وخفض الجناح لهم ، ومعاملتهم بالعفو عن الزلات ، والبشاشة في الوجه ...

% ومنهم من يبحث عنها في : (منهج غير منهج الله تعالى) : ولن يجدها هناك أبداً ؛ لأنّ منهج لا يستمد قوته من شرع الله ﷻ فهو منهجٌ ساقط وميت ، ولن يدوم ؛ وإن قام بعض الوقت في بعض البلدان بقوة الحديد والنار .

لذلك قال النبي x : « تَرَكَتُ فِيكُمْ أُمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا :

كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » (4) ، فالتمسك بالكتاب والسنة يقود إلى الهداية والرشاد ، والهداية تقود إلى الرفعة والعزّة والمكانة العالية بين أمم الأرض وشعوبها .

وما زالت كلمات الفاروق عمر بن الخطاب ؓ تتردّد في المسامع ، وتذكر على مرّ الأجيال والعصور ، وهو يفتح بيت المقدس _ في أعظم موقفٍ للعزّة والكرامة والرفعة والإباء تُحتاج لِمثله أمتنا الإسلامية في هذه

(3) : [الزخرف : 51] .

(4) : [الزخرف : 55] .

(5) : ((الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق)) للدكتور : سيد عبد العزيز السيلي ، (23) .

(1) : أخرجه مالك في ((الموطأ)) من رواية الليثي : (2 / 480) واللفظ له ، برقم (2618) ، في كتاب : (الجامع) ، باب : النهي عن القول بالقدر ، والحاكم في ((مستدرکه)) : (1 / 172) ، برقم (319) ، كتاب : (العلم) ، وقال : وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريرة .

الأيام التي نعيشها _ : (إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ النَّاسِ ، فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَهَمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ : أَذَلَّنَا اللَّهُ) (1) .

(فالدين هو الذي يُعزُّ أصحابه بمبادئه العظيمة ؛ حيث يكون الاعتقاد الصحيح بأن الأمر كله لله ، والمقادير بيد الله ، وأن الدنيا كلها لا تستطيع أن تمنع ما يُعطيه الله ، ولا أن تُعطي ما يمنعه الله + مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ " 2) .

وأنّ الأمة كلها _ إنسها وجنّها _ لو اجتمعوا على أن يضرّوا أو ينفعوا فلن يستطيعوا إلا بأمر الله ﷻ ، ومن هنا قال x : ((اطلبوا حوائجكم بعزة النفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير)) (3) (4) .

ومن أعزّ أم الله : أعزّه الله ، وإن كان أفقر الناس ، وأقلهم عدداً وعدةً ، وأكثرهم ضعفاً في موازين البشر .

(قال رجلٌ للحسن البصريّ : إني أريدُ سفراً فزودني ، قال ابن أخي : أعزّ أمر الله حيثما كنتَ ؛ يُعزّك الله ﷻ) (5) .

إنّ هذه النصيحة تتعلق بحال من أحوال أعمال القلوب ؛ ما دام أن الأمر متعلقٌ بمعاملة علام الغيوب .

كما أنّ هذه النصيحة تُعلّمنا درساً عظيماً ؛ وهو أن الذي يُريد وسام العزّة من ربّ العزّة ﷻ في أفعاله وأقواله وشخصيته : فليحقق تقوى الله في نفسه أينما حلّ وارتحل . وكما قيلَ :
أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هُوَ الْعِزُّ وَالكَرَمُ
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالْعَدَمُ (1) .

(2) : رواه الحاكم في ((مستدرکه)) : (1 / 120) ، برقم (207) ، في كتاب : (الإيمان) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(1) : [فاطر : 2] .

(2) : الحديث رواه تمام الرازي في ((الفوائد)) : (1 / 85) ، برقم (194) ، وضعفه الألباني في ((ضعيف الجامع الصغير وزيادته)) : (128) ، برقم (901) .

(3) : ((الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق)) : (23) .

(4) : ((الزهد)) لعبد الله بن المبارك [181 هـ] : (68) ، باب : ما جاء في تخويف عواقب الذنوب ، برقم : (78) بتصرف .

والله ﷻ لا يرضى من المسلم أن يعتزّ بغيره ، ومن اعتزّ بغير ربّه ﷻ فإنّ الله إماماً أن يؤنّبّه ويَزْجُرُهُ بقوارع الدّهر ومصائبه ؛ لكي يعود إلى طلب العزّة منه ، وإماماً أن يُوكِّله إلى الشّيء الذي اعتزّ به فيستدرجه من حيث لا يعلم _ نعوذ بالله من ذلك _ .

ومن أمثلة ذلك : ما وقع للمسلمين في غزوة حُنين ، يوم أن ركنوا إلى القوّة والعدد والكثرة ، ولم يطلبوا النصر والعزّة منه ﷻ ، فقالوا _ مع معرفتهم بأنّ النصر لا يكون إلا من الله ﷻ ؛ ولكنه درسٌ بليغٌ _ : (لن نُغلبَ اليوم من قلةٍ !) (2) .

صدرت هذه الكلمات من قلوب طاهرة بريئة ومؤمنة ؛ ولكنّ الله الحكيم في قدره أراد أن يُلقنهم درساً في الاعتزاز به ، وطلب النصرة منه ، وتعلّق القلوب به ﷻ ، فقال ﷻ : + لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٣﴾ .

مع العلم بأنّ الخطاب في الآية خاصٌ بجماعة المسلمين عموماً في ذلك الوقت ، لأنّ الجيش الإسلامي في غزوة حنين كان أكثره من الطلقاء⁴ ، وأمماً كبار الصحابة فقد كانوا موقنين بأنّ النصر والعزّة لا تكون إلاّ منه ﷻ ، وإمّا صدرت هذه الكلمات عن مجموعة من الجيش الذي ابتليت به كلّ المجموعة ليربيهم الله ومن بعدهم على طلب العزّة منه ﷻ .

(1) : سبق في صفحة (110) ، وانظر : ((روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)) لأبي حاتم محمد بن حَبَّان البستي ، (30) .

(2) : ((صحيح البخاري)) ، كتاب : (المغازي) ، باب قول الله تعالى : + يوم حنين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته - إلى قوله - غفور رحيم " .

(3) : [التوبة : 25] .

(1) : أي ممن أطلق أسرهم في فتح مكة ، فكانوا حديثي عهد بإسلام .



إنّ التربية على العزّة أمرٌ بالغ الأهمية ؛ لأنّ التربية على العزّة تربية على معالي الأخلاق ومحاسنها ، ولاسيّما أنّ هذه الأهمية تزداد في هذه الأزمنة التي تُعجُّ بالفتن والمحن ، حتى أصبح الذلُّ والخورُ والهوان ي دُبُّ في الفرد قبل الأمة ، وما ذلك إلاّ لأنّ الأمة ابتعدت عن كتاب ربّها وسنة نبيها x ، والنهْل من معينهما .

(وكيف بالله ﷻ يُريدُ لهذه الأمة العزّة والرفعة ، ثمّ هي تُريدُ الذلَّ والهوان والصغار .

لقد أراد الله ﷻ لأمة محمد x أن تكون أمةً عزيزةً ؛ لأنه ﷻ أراد لها أن تبني الأرض وتعمرها بالخير ، ومن المعلوم : أنّه لا يبني الأرض ذليلٌ ، وإنما يبنيها مَنْ هو قويٌّ عزيزٌ . (1)

(والإسلام لا يأمر المؤمنين بالعبادات والأخلاق أمرًا قانونيًا جافًا ، أو يُعلّلها لهم تعليلًا عقليًا باردًا ؛ بل هو يُربيهم عليها تربيةً أخلاقيةً خاصةً .

فترى القرآن يُبيّن جلال العبادة أو الفعل الأخلاقي من صلاة وصوم أو صدق أو برٍّ : عقلاً ، ويُكرّر الحديث عنه في مواضع متعدّدة ؛ بإظهار محاسنه أو أمر به ، أو ثناء على أصحابه ، فينغرس حبّه في القلب ، وتتوجه له النفس لتؤديه .

وكذلك يُبيّن ربنا _ تبارك وتعالى _ سيئات الشر ، ويُكرّر الحديث عنه ، بين بيان لفساده ، أو استنكار لفعله ، أو ذمّ لصاحبه .

وبذلك يتحسّس المسلم جمال الخير ويميل إليه ، ويتحسّسُ فُبح الشرِّ عقلاً وقلبًا فيأنف منه (2) .

فكان من المهمّات التي تتحمّم على الأمة الإسلامية بأسرها : أن تُتربّى على معاني العزّة ، وأن تُحييَ هذه الخصلة في نفوس أبنائها ، ولن يستطيع فعل ذلك إلاّ الغيورون على دينهم .

ومجالات هذه التربية واسعة شاملة لجميع البيئات ، فنحن إذ نُطالب الأمة بتربية أفرادها على العزّة ؛ كما نُطالب الأسرة ، والمدرسة ،

(1) : مجموعة (حتى يُغيروا ما بأنفسهم) ل : عمرو خالد ، كتيب ((العزّة)) : (9 ، 10) .

(1) : ((الأخلاق والأخلاق التطبيقية في الشريعة الإسلامية)) لِمحمد ماجد عتر ، (27) .

والمفكرين ، والعلماء عبر دروسهم ومشاركاتهم في دور الإعلام المسموع والمرئي بذلك .

وإذا كانت العزّة من حيث هي قائمة بين الإثبات والنفي فإنه لا بدّ من إثبات العزّة المحمودّة في النفس ؛ لأنّ العزّة المنفيّة تتعلّق برذيل الأخلاق من كِبْرٍ وذلٍّ وهوانٍ وضعف ، فلو نفى المرء عن نفسه الكِبْرَ وجميع الأخلاق الرذيلة : لم يكفِ ذلك في تحقيق المقصود ؛ بل لا بدّ من إثبات معنى القوّة والكرم والشرف .. في النفس ، وهي وسواها من مقومات العزّة الحقيقية ، والإسلام يحث على مكارم الأخلاق ، قال × : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ » (1) ، وقال الله تعالى : + وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١٠٦﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿١٠٧﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿١٠٨﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠٩﴾ " (2) .

فليس غاية الأمر في تزكية النفوس _ عموماً _ : كَفَّهَا عن مطالبها غير المباحة ، بل لا بدّ من إتمام مطالب التقوى ، فالذي يُوقف داعيَ السوء والشر من نفسه ويمنعها منه ، عاملاً على إتمام التقوى : هو الزكيُّ .

والتقوى والفجور لهما صفات ثابتة في العموم ، وصفات تختلف باختلاف الأحوال ؛ ومن ثمّ لا بدّ من نفي المساوئ المعبّر عنها بالفجور ، وإثبات المكارم المعبّر عنها بالتقوى لتحقيق الصلاح والفلاح ؛ قال الطاهر ابن عاشور : (ومهدّ لذلك بالتنبيه على أن تزكية النفس سبب الفلاح ، وأن التقصير في إصلاحها سبب الفجور والخسران) (3) .

(2) : أخرجه بهذا اللفظ : الإمام أحمد في ((مسنده)) : (3 / 400) ، برقم : (8939) ، والبيهقي في ((الكبرى)) : (10 / 323) ، برقم : (20783) ، والحاكم في ((مستدركه)) برقم : (4221) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يُخرجاه . وأخرجه البخاري في ((الأدب المفرد)) في باب حسن الخلق ، بلفظ (صالح) ، برقم : (273) .

ورؤي الحديث بلفظ (مكارم) وهو المشتهر على الألسنة ، عند البيهقي في سننه (10 / 23) ، برقم : (20782) ، والشهاب في ((مسنده)) : (2 / 192) ، برقم : (1165) ، كلهم من حديث أبي هريرة ؓ .

ورؤي عند البرّار بلفظ (محاسن) ، (7 / 92) ، برقم : (2648) من حديث معاذ بن جبل ؓ .

(3) : [الشمس : 7 - 10] .

(1) : ((التحرير والتنوير)) : (م 12 ، ج 30 / 366) .

وفيما يلي سوف أتطرق لدور الأسرة والمدرسة والإعلام ؛ مقتصرًا عليها لكونها أكثر انتشارًا في أوساط النشء ، ولأهميتها ودورها الفاعل المؤثر في حياة الناشئ ؛ فهو يقضي أكثر أوقاته مُستفيدًا منها إما سلبيًا أو إيجابًا .

أولاً : دور الأسرة في تربية النشء على العزّة :

إنّ دورَ الأسرة يُعتبر هو اللبنة الأولى في تربية النشء عموماً ، فقد تُربي الأسرة النشء على أمور الخير أو أمور الشر ، أو تُهمل تربيته فيتلقاها النشء من مصادر أخرى _ وليس هذا مجال بحثنا هنا _ .

ولأنّ الفئة المستهدفة للتربية (المُتربّي) بمثابة الوعاء الفارغ ؛ إن ملئ خيراً كان خيراً عليه وعلى من حوله ، وإن ملئ شراً كان وبالاً عليه وعلى من حوله ، وإن مُزجَ بينهما كان كلُّ بحسبه .

فالأسرة هي الأساس في كلّ تربية يُراد إنشاء الفرد عليها ، وهذا يُفهم من خلال قول رسولنا x : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَذْعَاءَ » (1)

(1) : أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) : (337 / 1) ، برقم : (1385) في كتاب : (الجنائز) ، باب : ما قيل في أولاد المشركين ، ورواه بلفظ ((ما من مولود ... كما تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسُونُ فِيهَا مِنْ جَذْعَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : + فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا " النَّأْيُ)) ، باب : إذا أسلم الصبي فمات ، هل يُصلى عليه ، وهل يُعرض على الصبي الإسلام ، برقم : (1358 ، 1359) ، وأخرجه مسلم في ((صحيحه)) : (4 / 1624) في

والذي يُستفاد من الحديث : أن أساس حركة الإنسان في الحياة : الدين والفطرة ، وإنما ذكّر الوالدان لقرّبهما منه ، وليس معنى هذا أنه لا يُمجّسه ولا يُنصره إلا هما ، بل الصاحب والأخ والصدّيق له دور في ذلك أيضاً .

ويؤكد ذلك ابن حجر عندما قال : (الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه ، بل إنّما حصل بسبب خارجي ، فإن سلّم من ذلك السبب استمرّ على الحق) (1) .

ولخطر البيت والأسرة وأثرهما في التربية على العزّة : أن الله ﷻ لم يَخْتَرْ لنبيه موسى ﷺ أن يتربّي إلا عند فرعون الطاغية ، وذلك أن ما سوى بيت فرعون وآل فرعون من بيوت بني إسرائيل بيوت ذليلة مضطهدة يُقتل فيها الوليد الذكر ، وتُستحيا فيها الأنثى حتى تكبر لتخدم بيوت فرعون وآل فرعون .

ويكمن دور الأسرة في التربية على العزّة بالالتزام بتعاليم الإسلام ظاهراً وباطناً ، ومن ذلك :

1. تربية النشء على الإيمان بالله ﷻ أولاً ، وأتّه هو الذي خلقنا فلا

نتوجّه لغيره ، وأنه سبحانه الذي يستحقّ منا العبادة والشكر ، وتعويد النشء عند ملماته البسيطة أو الصعبة على الالتجاء إلى الله ﷻ ، كما في قصة عمير (2)

كتاب : (القدر) ، برقم : (2658) ، باب : (معنى كل مولود يُولد على الفطرة ..) ، ورواه غيرهما .

ومعنى جدعاء : (أي مقطوعة الأطراف أو واحدها) ، انظر : ((النهاية في غريب الأثر)) : (247 / 1) . وجمعاء : كاملة الأعضاء ، انظر : ((الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج)) لجلال الدين السيوطي ، (24 / 6) . (1) : ((فتح الباري)) : (248 / 3) .

(2) : جاء في ((مصنف عبد الرزاق)) : (46 / 10) عن ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كانت أم عمير بن سعيد عند الجلاس بن سويد ، فقال الجلاس في غزوة تبوك : إن كان ما يقول محمد حقاً فلنحش شر من الحمير ، فسمعها عمير ، فقال : والله إني لأخشى إن لم أرفعها إلى النبي x أن ينزل القرآن فيه ، وأن أخط بخطيئته ، ولنعم الأب هو لي ، فأخبر النبي x ، فدعا الجلاس ، فعرفه وهم يترحلون فتحالفا ، فجاء الوحي إلى النبي x ، فسكتوا فلم يتحرك أحد ، وكذلك كانوا يفعلون ، لا يتحركون إذا نزل الوحي ، فرفع عن النبي x فقال : + يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر - حتى - فإن يتوبوا " ، فقال الجلاس : استتب لي ربي ، فإني أتوب إلى الله ، وأشهد لقد صدق : + وما نعموا إلا أن أغناهم الله ورسوله " ، قال عروة : كان مولى للجلاس قتل في بني عمرو بن عوف ، فأبى بنو عمرو أن يعقلوه ، فلما قدم النبي x جعل عقله على بني عمرو بن عوف ، قال عروة : فما زال عمير منها بعلياء حتى مات - يعني كثر ماله وارتفع على

وتربيته على الإيمان بملائكة الله تعالى ، ورسله وكتبه ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره بشكل مُبَسَّط ؛ كل هذا من شأنه أن يُربيّه على الاعتزاز بالله والارتباط به .

2- تربيته على العبادات الأساسية ، وتنمية المخزون العبادي لديهم ، كالصلاة ، وإيصال الصدقة ، والذكر ، وزيارة الأرحام ؛ لأنّ الطاعة تكون زاداً للإنسان في تحصيل العزّة ، كما قال الحقُّ جلّ في علاه : **+ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ...
 " (1) .

3- تربيته على مدارسة سيرة النبي * العطرة ، وسيرة أصحابه الكرام رضي الله عنهم والسلف الصالح ، وملاء القلوب بحبهم والافتداء بهم ، وتنمية الاعتزاز بهم .

إن في دراسة سيرة رسولنا اللّويم * وأصحابه الكرام والسلف الصالح تقوية للإيمان وزرعاً لقيم الدين في النفس ، وتعويداً على مكارم الأخلاق ، وثباتاً على الحق ، وتمسكاً بالإسلام وأهدافه وذلك من شأنه أن ينشئ جيلاً صالحاً . قال سهل بن عبد الله التُسْتَرِي (2) : كنتُ وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار ، فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك؟! فقلتُ : كيف أذكره؟ قال : قلْ بقلبك عند تقبُّلك في ثيابك ثلاث مرّات من غير أن تُحرِّك به لسانك : **الله معي ، الله ناظرٌ إليّ ، الله مُشاهدي ،**

الناس أي بالمال فهو التعلّي ، قال ابن جريج : وأخبرت عن ابن سيرين قال : فما سمع عمير من الجلاس شيئاً يكرهه بعدها .

(1) : [فاطر : 10] .

(2) : هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُسْتَرِي ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال ، ولد في تُسْتَر بالأهواز ، له كتاب في ((تفسير القرآن الكريم)) مطبوع وهو مُختصر ، وتفسيره فيه بالإشارة ، وكتاب ((رقائق المحبين)) ، و((مواظب العارفين)) ، وغير ذلك ، توفي عام : (283 هـ) . ((الأعلام)) : (3 / 143) بتصرف ، وانظر ((معجم المؤلفين)) : (802 / 1) .

و(تُسْتَر) : بالضم ، ثم السكون ، وفتح التاء الأخرى ، وراء ؛ أعظم مدينة بخوزستان اليوم ، وهو تعريب شوشتر . ((معجم البلدان)) : (2 / 34) ، وانظر ((الديباج على مسلم)) : (6 / 31) ، وهي مدينة أحوازية تقع في مقاطعة خوزستان جنوب غرب إيران ، انظر ((الأطلس المدرسي)) : (98) .

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة ، فقلت فوق في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدتُ لذلك حلاوة في سري ، ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، من كان الله : معه ، ونظراً إليه ، وشاهده ؛ أيعصيه ؟ إياك والمعصية !! (1)

4- تربيته على خلق العفة عمّا في أيدي الناس ، فالتعفف عمّا في أيدي الناس : يُترتب عليه عدم إذلال نفسه تجاه الآخرين ، أو أنّه لا يشعره بدونيته بينهم ؛ بل بعزّته وشموخه وكرامته ، فلا يأخذ وهو ذليل النفس ، بل يأخذ وهو مرفوع الرأس ، ويُعطي وهو مرفوع الرأس .

والتعفف عمّا حرّم الله : يُترتب عليه رضا الله وعدم سخطه عليه ؛ لأنّ التعفف _ الذي هو بمعنى ترك المعاصي كبيرها وصغيرها (جُملة لا تفصيلاً) _ يزيده عزّة ورفعة عند الله ﷻ وعند الناس ، والمعصية لا تزيده إلاّ ذلاًّ وهواناً عند الله ﷻ وخلقه ، قال الحسن : (وإن هملجت بهم البراذين ، وطقطقت بهم البغال ؛ إن ذلّ المعصية لفي قلوبهم ، أبا الله ﷻ إلاّ أن يذلّ من عصاه) . (2)

الأ ترى كيف ينفرُ العقلاء ممّن يفعل المعصية أمامهم ، فكيف بالله ﷻ وهو مطّلعٌ على الخلق ، ولا يغيّب عنه شيءٌ من أفعالهم وأقوالهم ، وهو المستحقُّ للخشية ﷻ .

5- امتثال الأبوين لمنهجية القدوة الصالحة في البيت ، التي من شأنها تربيته على الفضائل واكتساب الأخلاق الحميدة من أبويهم ، ومنها : العزّة.

6- التعامل السليم مع الأبناء في معالجة أخطائهم :

فالأسرة التي تُربي أبنائها في معالجة أخطائهم بالضرب ، وتشميق العينين ، والصياح ، أو عدم مجالسة الكبار ، أو عدم الإجابة على أسئلتهم

(1) : ((إحياء علوم الدين)) لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، (3 / 92) .
 (2) : الهملجة : لفظة فارسية معرّبة ، ومعناها : حسن سير الدابة في سرعةٍ وتبختر . انظر ((لسان العرب)) : (9 / 138) ، مادة (هملج) .

الفكريّة البريئة... الخ ؛ فإن هذه الأفعال يَنُتج عنها : فقدان الأبناء للثقة التي هي مصدر أمانهم في المستقبل ، ويتسبّب في ضعف الشخصية التي من شأنها أن تُحقّق لهم الذلّ في ذواتهم بدلاً من العزّة .

7- تعويدهم على مكارم الأخلاق ، وصفات الرجولة كالكرم والشجاعة

والعزّة ، وحسن التعامل ، والذوق الرفيع (فلا يُقاطع متحدّثاً ، ولا يَسخر من أحدٍ ، ولا يرفع صوته على مَنْ أمامه ، ويعتذرُ عن الخطأ الصادر منه بسرعة ، ولا يمدُّ قَدَمَهُ أمام والديه أو مُجالسيه ، ولا يتجشأ أمام أَح دٍ مُتعمّداً ، ولا يتأخر عن موعدٍ أبداً ... الخ) . (1)

كل ما تقدّم _ وغيره ممّا لم يُذكر _ : يُساهم مساهمة قويّة في تربية الناشئة على معاني والعزّة .



ثانياً : دور المدرسة في تربية النشء على العزّة :

إن دور الأسرة مقدّمٌ حتماً بطبيعة حال النشء ومرحلته العمرية ، فهو أول مكان ينشأ فيه ، ثم تأتي المدرسة بعد الأسرة في الأهمية لأمرين :

الأمر الأول : لأن الناشئ يقضي ربع يومه _ تقريباً _ فيها ، ولمدّة سنوات طويلة من عمره ، ولا شك أن دورها رائدٌ في التربية من هذا الباب .

الأمر الثاني : لأن المدرسة تعتمدُ في تدريسها على التلقين المُحاط بوسائل مساعدة ، كوجود زملاء للنشء ، وإمكانية إخراج طاقاته الكامنة في أكثر من نشاط وأكثر من وسيلة .

ودور المدرسة في التربية الصحيحة يكمنُ في تحقيق ثلاثة أشياء :
التخية ، والتحية ، ثم الثبات على ذلك ، وهذا المنهج واضحٌ من خلال آيات الكتاب الكريم كقوله تعالى + لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

(1) : ((التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية)) لـ ليوسف خطّار مُحمّد ، (248) .

نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَهَدْيِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ " (1) ، ويتضح أيضاً من خلال سُنَّة سيد المرسلين ؛ وم ن ذلك : حديث أبي هريرة مرفوعاً : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (2) .

(قال الكرمانى (3) : فإن قلت ما وجه ذكر هذه الأمور الثلاثة ؟ قلت : هذا الكلام من جوامع الكلم ؛ لأنها هي الأصول ؛ إذ الثالث منها إشارة إلى القولية ، والأولان إلى الفعلية ، الأول منهما إلى التخلية عن الرذائل ، والثاني إلى التحلية بالفضائل ، يعني : من كان له صفة التعظيم لأمر الله لا بدّ له من أن يتّصف بالشفقة على خلق الله ﷻ إما قولاً بالخير أو سكوتاً عن الشر ، وإما فعلاً لما ينفع ، أو تركاً لما يضرُّ) (4) .

ولنبداً في التعريف بهذه الأمور الثلاثة التي لا بدّ وأن يتّربى المسلم عليها ، والمدرسة لها دورٌ في تحقيقها لدى النشء :

الأمر الأول : (التخلية) : وهو أن يتّخلى الإنسان عن مساوئ الأخلاق ، وسيء العادات .

فدورُ المدرسة يتمركز في أن تُساعد الطالب على أن يتّخلى عن الأخلاق الرذيلة عبرَ الترهيب من فعلها ، أو عن طريق المواقف والأحداث التي تحدث من كل طالب .

(1) : [الفتح : 2] . قال الطيبي في ((الكاشف عن حقائق السنن)) _ شرح مشكاة المصابيح _ : (9 / 192 ، 193) : (وقال : ... إنّ غفران الذنوب مقدّمة على فتح باب رحمة الله تعالى في الدنيا والعقبى ؛ ومن ثمّ قدّمها في قوله تعالى + ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " على قوله + ويتم نعمته عليك ويهديك " ؛ لأنّ التحلية بعد التخلية) .

(2) : رواه البخاري في ((صحيحه)) : (4 / 91) ، برقم (6018) ، كتاب : (الأدب) ، باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ .

(1) : هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدين الكرمانى ، أصله من كرمان ، فقيه ، وأصولي ، ومُحدّث ، ومفسر ، قال ابن حجي : تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة ، وأقام مدّة بمكة ، توفي راجعاً من الحج في المحرم (768 هـ) ، ومن تصانيفه : ((الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)) ، و((ضمائر القرآن)) . انظر ((الأعلام)) : (7 / 153) بتصرف .

و(كرمان) : هي إحدى محافظات إيران الثلاثين ، وتقع في الجنوب الشرقي منها . انظر ((الأطلس الجغرافي الحديث)) : (83) .

(2) : عمدة القاري : (22 / 174) .

وهذه التخلية لا بدّ أن تكون لأمرين :

أولهما : ما نهى الله ﷻ عنه ، كالمحرمات سواءً أكانت كبائر أم صغائر .

وينبغي أن يتنبّه المربي على أن الخطأ قد جَبَلَ الله الخلق عليه ، فلا يُعْتَفَ ولا يزجر بل يُصَحِّح ؛ ما دام أنه في الأخلاق ، فلكلّ مجلس ما يُناسبه ، ولكلّ مقامٍ مقال ، والخطأ يُفَدَّرُ بقدره .

ثانيهما : ما يتعلق بالعوائد السيئة ، كحواره مع معلميه وزملائه برفع الصوت ، أو أن يتمايل في وقفته وكلامه مع الآخرين ، أو جلسته التي يجلسها .

فيجتهد حينها المعلم المربي في إيجاد حلولٍ عاجلةٍ وأجلةٍ بحسب خطورة الموقف من عدمها ، فشانُ الكبائر ليس كشانُ الصغائر ، وشأنهما ليس كشانُ سيئ العادات والتقاليد ؛ كلٌّ بحسبه .

وقد أوجد رسول الله ﷺ حلولاً عاجلةً وأجلةً ، فربّى بها مَنْ ربّى وعالج من عالج .

فمن الحلول العاجلة : ما جاء عن أبي أمامة أنه قال : **إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : ائْتِنِّي لِي بِالزُّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ مَهْ ! فَقَالَ : أَدْنَهُ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ، قَالَ فَجَلَسَ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ، قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : **رَبِّهِمْ اغْفِرْ ذُنُوبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** ، فَمِ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ . (1)**

(1) : أخرجه الإمام أحمد في ((مسنده)) : (36 / 545) برقم (22211) ، وصحّ إسناده شعيب الأرنؤوط (36 / 545) ، والألباني في ((السلسلة الصحيحة)) : (1 / 713) ، برقم (370) .

ومن الحلول الأجلة التي استخدمها النبي ﷺ مع مَنْ يُرَبِّيه : قصة الغامدية ﷺ التي زنت وأرادت التطهير من الذنب ، حيث كان النبي ﷺ يُعرضُ عن تنفيذ الحكم فيها سِئراً لها ، وذلك لَمَّا عَلِمَ ﷺ بصدق توبتها وتطهر قلبها من حرارة الذنب ، ثم بعد ذلك نَقَذَ الحكم فيها بعد أن تابت وندمت وحسن عملها ، فكان ذلك علاجاً منه ﷺ لهذه المرأة ، ولذلك قال عنها :

« فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغَفِرَ لَهُ »
(1) ، فأَيُّ عَزَّةٍ هي تلك التي كانت عليها !!

ومن المواقف أيضاً : حادثة الثلاثة الذين خَلَفُوا في غزوة تبوك ؛ حيث عالج النبي ﷺ تخلفهم عنه في تلك الغزوة بالمقاطعة لهم ، ومن ثمَّ العزلة والانفراد والابتعاد عن نسائهم ؛ لكي يَشْعُرُوا بِعِظَمِ جُرْمِ التَخَلُّفِ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ .

وكم جرّت هذه المحنة التي حصلت للثلاثة ﷺ من الخيرات والبركات حتى ذكر الله قصّتهم في القرآن ، وبخاصة كعب بن مالك ﷺ الذي كان أصغر الثلاثة ، وأكثر حيوية وشباباً .

وحقاً كما قيلَ : **وراء كلِّ محنةٍ منحةٌ** (2) ، فنزلت توبة الله عليهم في القرآن ، وفرحوا بها أشدَّ من فرحهم بأموالهم ﷺ .

كما أنّ المُعَلِّمَ لا بدَّ أن يتصف بصفة الحكمة ، لكي يضع الأمور في نصابها ، ويعرف متى يستخدم الترغيب ومتى يستخدم الترهيب وما هو المناسب لحال هذا الطالب .

ويُمكن للمُعَلِّم أن يَنْتَزِعَ كلَّ خلقٍ مذموم يتعلّق بنفي خلق العزّة من قريبٍ أو بعيد ، وذلك عن طريق أساليب ، منها :

الأسلوب الأول : إلقاء الكلمات الوعظية خلال الحصّة الدراسية عن

بعض الأخلاق المذمومة كالكذب مثلاً ، أو من خلال المنهج الفصلي الذي يُدرسه للطالب ، فيشرح ما هو الكذب ، ومظاهره وأسبابه وآثاره في الدنيا والآخرة ، وأنَّ الكذب مذلةٌ تبقى في صاحبها ما بقيت معه ، ثم يذكر كيفية

(2) : رواه مسلمٌ في ((صحيحه)) : (3 / 1067 - 1069) ، برقم (1695 ، 1696) ، في كتاب : (الحدود) ، باب من اعترف على نفسه بالزنا .
(1) : ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي ، (254) .

الوقاية من هذا الخلق وطرق العلاج لمن وقع فيه ، وبدوره سوف يفهم الطالب فضل الصدق لأنه ضد الكذب .

الأسلوب الثاني : استغلال المعلم الفطن للأحداث والأحوال التي تحدث من حوله ؛ إذ إنّ المعلم الناجح هو من يستغل الفرصة تلو الأخرى من أجل التوجيه والتربية بأساليب منها : الترغيب والترهيب ، والقصص المفيد ، وضرب الأمثال النافعة ، والثبات والشجاعة عند المواقف الصعبة أو المحرجة .

فيستطيع المعلم أن يستغلّ مثلاً مشاجرة طالبين بأنّ هذه المشاجرة ليست شجاعة حقيقية وإمّا الشجاعة تكون في أقل صورها : عدم الاعتداء على الغير ، وفي أعلى صورها : تكون مع أعداء الله من النفس والشيطان والهوى والعدو الغاشم ، ويذكر لهم صوراً من شجاعة النبي ﷺ في غزواته ، فيُحْيِي في نفوسهم العزّة والشجاعة الحقيقية التي تكون من الله ﷻ .

الأمر الثاني : (التحلية) : ويُقصد منها : تربيته وتعليمه على الأخلاق الحميدة ، والعادات الحسنة .

وهو كسابقه من حيث كونه يقع على شيئين :

أولهما : ما يتعلق بأمر من أمور الدين والشرع ، كالصدق والأمانة ، والتواضع ... الخ .

ثانيهما : ما يتعلق بالعوائد الحسنة ، كالأمور التي يكون بها إكرام الضيف ، فالناس يَختلفون فيما يُقدمونه للضيف ؛ كلُّ بحسب ما تعودَ عليه .
ومن المعلوم والمعروف أنّ الأخلاق الإسلامية تنقسم إلى قسمين :

(فأما الأخلاق الفطرية : فالمدرسة تحرصُ كلَّ الحرص على أن تُنمّيها وتُشجّع عليها عن طريق المعلم والمنهج والنشاط ، ذلك أنّ الشبيبة المسلمة في هذا السن ربّما حملت من الأخلاق الفطرية الحسنة شيئاً كثيراً ، والإشادة بها عن طريق الثناء على أصحابها بصيغة العموم ، أو حتى بالثناء على وجه الخصوص لمن تحلّى بها ، هذا من شأنه أن يُعزّز هذا الخلق ويُقويه

ويُثبتُه ، فهذا رسول الله ﷺ يقول لأشج بن عبد القيس ﷺ : « إنَّ فيكَ خصلتين يُحبهما الله ورسوله » (1) وقد كان لهذا الثناء أبلغ الأثر ...

أما الأخلاق المكتسبة : فهي التي يُمكن أن يَستفيدَها الطالب من مُعلمه ، أو يَتخلق بها حين يَجِد المنهج يُمجدها ويَتحدثُ عنها وعن المتخلفين بها (2)

وتكون هذه التحلية عبرَ وسائلَ ، منها : إلقاء الدروس التعليمية والتوجيهية من مرشده ومُعلمه ، والاستفادة من المجالات الحائطية ، والمواقف التي تُحصل للطالب مع معلميه ، والقصص القرآني والتاريخي في المواد التي تُدرّس .

وهذا لا يَقتصرُ على المواد الدينية فحسب ؛ بل معلم العلوم والكيمياء والأحياء يَستفيد مِمَّا في جُعبته من المواد الدراسية ، فيستطيع مثلاً أن يَربط درسه الذي يَتحدث عن أعضاء الإنسان أو الكون .. الخ ؛ بقدره الله ﷻ ، وأنَّ هذا العالم ملكه يُصرِّفه كيف يشاء ، فينبِّه المعلمُ الذكيُّ أنَّ من كان مع القوي العزيز كان قوياً عزيزاً بقوة الله له ، ويستطيع كذلك المعلم أن يُربي في نفوس طلابه خلق الحياء ؛ بأنَّ من كان له هذا الخلق وهذه القوة العظمى والأمر والنهي ، كيف يُعصى !؟

فيستطيع المعلم من خلال المواد الدراسية أن يُطعم الطالب ببعض محاسن الأخلاق ، أو أن يَقيهُ من رذائلها ومساوئها .

الأمر الثالث : (الثبات على ذلك) : وهو ما يُعبَّر عنه بالتعزيز ؛ لكي تستقرَّ هذه الأمور عند المتربِّي .

ويكون ذلك بتكرار ما سبق من المواقف عليه وغي رها ، وتكليفه ببعض الأعمال البحثية الصغيرة في الأخلاق بين الفينة والأخرى ؛ لكي تُورث الاستقرار عنده .

(1) : أخرجه مسلم في ((صحيحه)) : (1 / 54 ، 55) ، برقم (18) ، كتاب : (الإيمان)

، باب : الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين ، والدعاء إليه ، والسؤال عنه ، وحفظه ، وتبليغه من يُبلغه .

(1) : ((التربية الوقائية في الإسلام ، ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها)) لـ د. خليل بن عبد الله الحدري ، (636) .

كما أنّ المنهج حين يشتمل على موضوعات تُربي على حسن الخلق الفطري ، يشعر الطالب الذي يتمتع بهذا الخلق أنّه المعنيُّ بهذا الموضوع ، فيزداد ثباتًا على ما حسن من خلقه ، ويحرص على تجنب ما قد تعودّ عليه من سيء الأخلاق (1) ، والله أعلم .



ثالثاً : دور الإعلام في تربية النشء على العزّة :

لا شك أن دور الإعلام الديني مهمٌ جداً ، وخاصةً في هذا الزمان الذي كثرت فيه القنوات التي تبث التافه من الأفكار ، وتروج للفسور والشهوات ، وتجنّي على الأخلاق الطاهرة وتعدّها بالانقراض .

فكان لا بُدّ من المواجهة لهذه التيارات الفكرية بالإعلام الإسلامي الهادف ، الذي ينحوّ منحى التربية والتعليم والتعزيز للأخلاق والمبادئ الإسلامية .

ولعلّ واجبات الإعلام تجاه مفهوم العزّة تظهر في : (إبراز مظاهر العزّة والمنعة والسيادة التي يتحلّى بها مُعتنقوا هذا الدين ، مع العناية بمظهر السعادة وعلامات البشر والسرور التي تملأ حياتهم بالبهجة والسرور + قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ (1) (2) .

ويكون أيضاً : بإظهار عزّة المسلمين عبر القرون الماضية من خلال القصص والسير ، وربط ذلك كله بالإيمان بالله ﷻ .

مع إظهار هذه العزّة بمظهر السماحة والعفو من دون ضعف ، والرحمة والسلام من دون ذلّ وخور .

فالإسلام لا يدعوا إلى سفك الدماء ، وحمل السيف على الأبرياء ؛ بل إنّ بينه وبين غيره خطوطاً عريضة واضحة لا يتعداها ، ولكن إذا كان ثمة عائق يحول بينه وبين الناس ، ولم يتوفر الأمان للفئة المسلمة أو تُعدّي عليها ؛ فإنه يعمل لرفع الظلم ، من دون إكراه للناس من أجل الدخول فيه ، كما قال تعالى : + لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٠﴾

(3)

(1) : [يونس : 58] .

(2) : ((الإعلام الإسلامي الأهداف والوظائف)) لسيد محمد ساداتي الشنقيطي ، (75) .

(1) : [البقرة : 256] .

كل ذلك فيما يتعلق بالدعوة إلى عزّة المسلمين مع غيرهم ممّن يُخالفونهم في الديانة ، أمّا مع المسلمين أنفسهم فلا بُدّ أن يُحرّضَ الإعلام كلّ الجهات المسؤولة عن التربية الهادفة ، على تخلق المسلم بخلق العزّة ، بطريقة هي أشبه ما تكون ببرنامج منظم على النطاق الواسع الشامل للمجتمع بأسره .

فتضعُ القناة الفضائية أو المذياع برامج تَحثُّ على التخلق بخلق العزّة تصریحًا وتلميحًا ؛ كأن تقوم القناة بعرض مسلسل تربوي هادف يهتم بعرض مقاطع عن العزّة منذ ولادة الطفل ، وكيف يتعامل الآباء معه ، وكيف ينشأ هو عليها .

أو أن يكون ذلك _ فيما يختصُّ بالطفل _ على شكل أفلام كرتونية هادفة ومسليّة ، تكون فيها صورًا مشرقة من تاريخ الحضارة الإسلامية ، وجهادها ونضالها ، وتراحم أبنائها ، وحبهم لبعضهم ...

أو تُلقى الدروس والمحاضرات عن العزّة ووسائلها وآثرها ، وذكر القصة التاريخي المجيد للأمة الإسلامية ، مع إيضاح العلاقات الاجتماعية التي ينتظم بها المجتمع ويعتزُّ ويتكاتف ، من : أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وإسداء النصيحة ، والتعاطف والتراحم ، وبذل الوسع في ال خدمة والدلالة على الخير ، وكف الأذى _ وهو عن الجار أكد _ ، وعلاج أمراض القلوب من غلّ وحقدٍ وحسدٍ وشحناء ...

كما يستطيع المُلقّي للدروس والمحاضرات أن يتكلم عن أسماء الله الحسنى ، فيربط اسم الله (العزيز ، والقوي ، المعز ...) بهذا الخلق .

وتستطيع كذلك القنوات نشر هذا الخلق وغيره عبر تدريس السيرة النبوية المملوءة بقصص العزّة والكرامة .

والإعلام الهادف إذا كان صحيحًا صريحًا ، يبثُّ الواقع ، ويدعوا للحقّ : فإنه سيؤدي رسالته العظيمة في نشر الأخلاق الفاضلة وبثّها في المجتمعات ، ومن ذلك : خلق العزّة الإسلامي .

فلو لاحظنا مثلاً : نقل الإعلام المرئي ، الإسلامي منه وغير الإسلامي لصور الحرب والدمار الذي عايشه إخواننا في غزّة ؛ كيف بثّ روح العزّة للأمة كلّها شعوبًا وأفرادًا ، بل أرتنا هذه الصور صورًا حيّةً للتحمل والاستبسال والعزّة التي كان عليها أهل غزّة كبارًا وصغارًا ، فقد

دافعوا عن كرامة الإسلام والمسلمين قبل أن يُدافعوا عن أنفسهم وأعراضهم .

إنّ الإعلام الهادف هو الذي يُحقق مُبتغاه في ظلّ تعاليم الإسلام وحبّه له ، ودفاعه عنه ، وعرضه لقضاياها بصورة صحيحة قويّة .





المطلب الأول

مَصَادِرُ الْعِزَّةِ

المصدرُ في اللغة يأتي بمعنى : الرجوع أو المرجع ، فهو من (صدرُ (1)) .

وأقصد به هنا : الأسس والمراجع التي ينهل منها حُ لُق العزّة ويقوم عليها ، لأنّ هذا الخلق الكريم يُفطرَ عليه الإنسان منذ ولادته ، وعندما يكبرُ ويترعرع يفقد من هذا الخلق ما يفقد فهو بحسب بيئته ، فهنا جاء العقل والشرع أمرين له بهذا الخلق ، إمّا تعزيرًا لما نشأ من فطرته ، وإمّا تربية له عليه .

لأنّ الأمر إمّا أن يصدر عن العقل ، فهو محلُّ القبول والتمييز للحسن والقبیح ، وإمّا أن يصدر عن الشارع ، ولا يكون إلاّ لما كان مُستحسنًا عقلاً ، مع العلم بأنّ الشرع هو الأساس ، والفطرة والعقل تابعان له .

(فالمؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة ، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة ، والفطرة تصدقها وتؤمن بها) (2) .

فالفطرة والعقل السليمان لا يُخالفان الشرع ألبيّه ، وإمّا ما يطراً عليهما بعد ذلك من متغيرات بسبب البيئة التي يعيش فيها الإنسان ، هي التي قد تُخالفه .

ولذلك يقول القاضي عياض (3) : (يُطبع الإنسان على بعض الأخلاق دون جميعها ، ويولد عليها ، فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى ، كما نشاهد من خلقه بعض الصبيان على حسن السمّت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة ، وكما نجد بعضهم على ضدها ، فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ، ويعتدل منحرفها) (4) .

(1) : انظر ((لسان العرب)) : (292 / 5) .

(2) : ((تفسير القرآن العظيم)) : (312 / 4) .

(3) : هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي ، أبو الفضل ، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ، ولي قضاء سبتة ، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة ، وتوفي بمراكش مسمومًا (544 هـ) ، قيل : سمّه يهودي ، من تصانيفه ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) ، و ((الغنية)) ، في ذكر مشيخته ، و ((ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك)) ، أربعة أجزاء وخامس للفهارس ، و ((شرح صحيح مسلم)) . ((الأعلام)) : (99 / 5) ، وانظر ((العبر في خبر من غبر)) : (467 / 2) .

(1) : ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) للقاضي عياض ، (61) بتصرف .

وعليه : تكون مصادر العزّة ثلاثة (الفطرة ، والعقل ، والشرع) .

المصدر الأول : (الفطرة) :

إنَّ الله ﷻ لَمَّا خَلَقَ الْإِنْسَانَ جَعَلَ فِيهِ اسْتِعْدَادًا وَمِيلًا لِتَعْلَمَ وَعَمَلِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، فَخَلَقَهُ وَجَبَلُهُ عَلَى طَبَائِعِ سَلِّ يَمَةٍ ، وَهِيَ مَا يُعْبَرُ عَنْهَا بِالْفِطْرَةِ ، (ومن هنا كان لدى النفس الإنسانية استعدادًا لقبول الخير وقبول الشر ، فليست النفس شريرة بطبيعتها ، والذي يُفْلِحُ هو الذي يَتَوَجَّهُ بِهَا إِلَى الْخَيْرِ ، يقول ﷻ : + وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ " (1) (2) ، فهي قابلة للبقاء على طبيعتها ، وقابلة للميل مع النِّيَّارات التي تَهْبُ عَلَيْهَا ، فتديرها على غير محورها . (3)

فالفطرة هي : (الجبلة المتهيئة لقبول الدين) (4) ، وقال ابن سريدة : (الفِطْرَةُ : الْخَلِيقَةُ ، وَالْفِطْرَةُ : مَا فَطَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ) (5)

وبحكم مدنية المرء ومُخالطته للناس من حوله فهو لا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا أَوْ ذَلِيلًا ؛ لِأَنَّ خُلُقَ الْعِزَّةِ الْإِسْلَامِيِّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تُكْتَسَبُ وَتُظْهِرُ بِالْخُلُطَةِ وَالْمَعَاشِرَةِ .

وخلُق العزّة أساسه مزروعُ فطرةً في الناس جميعًا ، قديمًا وحديثًا ؛ لكنّه كان مُزيقًا عن بعض معانيه الصحيحة ، فقد كان أهل الجاهلية لديهم بعض معاني العزّة الحقيقية من قبل أن يأتي الإسلام ، كالكرم ، وكنصرة المظلوم ، وردع الظالم عن ظلمه ، وإيواء الغريب

ولا أدلّ على ذلك ممّا حصل في حلف الفضول ، فقد قال أبو القاسم السُّهيلي (1) : (وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ الْحِلْفَ الَّذِي عَقَدْتُهُ فُرَيْشٌ بَيْنَهَا عَلَى نُصْرَةِ

(2) : [الشمس : 7-10] .

(3) : ((الموسوعة الإسلامية العامة)) : (1091) .

(4) : ((الدعوة الإسلامية في القرن الحالي)) لمحمد الغزالي ، (165) .

(5) : ((التعريفات)) لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، (215) .

(6) : ((المخصص)) لعلي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سريته ، (1 ، السفر الثاني / 150) .

كُلَّ مَظْلُومٍ بِمَكَّةَ ، قَالَ وَيُسَمَّى حِلْفَ الْفُضُولِ ، ... رَوَى الْحُمَيْدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ أَبِي بَكْرٍ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
: « لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا لَوْ دُعِيتَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ
لَأَجَبْتُ ؛ تَحَالَفُوا أَنْ تُرَدَّ الْفُضُولُ عَلَى أَهْلِهَا ، وَالْأَيُّ يَعْزُّ ظَالِمٌ مَظْلُومًا » (2)

وَكَانَ حِلْفُ الْفُضُولِ أَكْرَمَ حِلْفٍ سُمِعَ بِهِ وَأَشْرَفَهُ فِي الْعَرَبِ . وَكَانَ
أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ الزَّبِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنْ رَجُلًا مِنْ
زُبَيْدٍ قَدِمَ مَكَّةَ بِبِضَاعَةٍ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ وَكَانَ ذَا قَدْرٍ بِمَكَّةَ
وَشَرَفٍ ، فَحَبَسَ عَنْهُ حَقَّهُ فَاسْتَعَدَّى عَلَيْهِ الزَّبِيدِيُّ الْأَحْلَافَ : عَبْدَ الدَّارِ
وَمَخْزُومًا وَجَمْحَ وَسَهْمًا وَعَدِيَّ بْنَ كَعْبٍ ، فَأَبَوْا أَنْ يُعِيْبُوهُ عَلَى الْعَاصِ بْنِ
وَائِلٍ ، وَزَبْرُوهُ أَيَّ انْتَهَرُوهُ ، فَلَمَّا رَأَى الزَّبِيدِيُّ الشَّرَّ ، أَوْقَى عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ
عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَفَرِيشٍ فِي أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِيْطَنَ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفْرِ

وَمُحْرَمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمُرَتَهُ ... يَا لِلرَّجَالِ وَبَيْنَ الْحَجْرِ وَالْحَجَرِ

إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْعُدْرِ

فَقَالَ الزَّبِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : مَا لِهَذَا مُتْرَكٌ ، فَاجْتَمَعَتْ هَاشِمٌ وَزُهْرَةُ
وَتَيْمٌ بْنُ مِرَّةٍ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا ، وَتَحَالَفُوا فِي ذِي
الْقَعْدَةِ فِي شَهْرِ حَرَامٍ قِيَامًا ، فَتَعَاقَدُوا ، وَتَعَاهَدُوا بِاللَّهِ لِيَكُونَنَّ يَدًا وَاحِدَةً مَعَ
الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ حَقُّهُ ، مَا بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً ، وَمَا رَسَا
حِرَاءٌ وَتَبِيرٌ مَلَكْنَهُمَا ، وَعَلَى النَّاسِي فِي الْمَعَاشِ ، فَسَمَّتْ فَرِيشٌ ذَلِكَ الْحِلْفَ
: حِلْفَ الْفُضُولِ ، وَقَالُوا : لَقَدْ دَخَلَ هُوَ لَاءٌ فِي فَضْلِ مِنَ الْأَمْرِ ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَى
الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ، فَأَنْتَزَعُوا مِنْهُ سِلْعَةَ الزَّبِيدِيِّ فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ الزَّبِيرُ :

حَلَفْتُ لِنَفْعَدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ ... وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ

(1) : الحافظ العلامة البارع ، أبو القاسم وأبو زيد : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ
بن حسين بن سعدون ، ويكنى أيضا أبا الحسن الخثعمي الأندلسي المالقي ، الضرير ، صاحب
التصانيف المونقة ، توفي بمراكش سنة : (581 هـ) . انظر ترجمته في ((تذكرة الحفاظ)) : (1348 / 4) .

(2) : أخرجه البيهقي في ((سننه)) : (596 / 6) ، في كتاب : (قسم الفيء والغنى) ، باب
: إعطاء الفيء على الديوان ومن تقع به البداية ، برقم : (13080) ، عن طريق طلحة بن عبد
الله بن عوف الزهري ، فهو مرسلٌ بهذا الطريق ، وابن هشام في ((السيرة النبوية)) : (1 / 154 ، 155) ، وصحَّح إسناده الألباني في : ((فقه السيرة)) لمحمد الغزالي ، (72) .

تُسَمِّيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا ... يَعِزُّ بِهِ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ

وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَا ... أَبَاهُ الضَّيْمُ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ (1)

كما أنه كان يشوب هذا الخلق لديهم بعض المعاني الخاطئة كالكبر ،
ولذلك قال تعالى : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ

وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٦١﴾ " (2) أي تكبراً ، وقد ورد في تفسيرها : (وإذا قيل له

اتق الله : خف الله : تكبر ، + أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ " ، أي حملته العزّة وحمية
الجاهلية على الفعل بالإثم والعزّة والقوة والمنعة ، ويقال معناه : أخذته العزّة
بالإثم الذي في قلبه) (3) .

فالتغير عن أصل هذا الخلق وغيره حاصلٌ بأسبابٍ خارجة عن
الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؛ ولذلك قال النبي x : « كَلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ
عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » (4) .

قال الباجي (5) : (يُرِيدُ أَنْ أَبَوَيْهِ هُمَا اللَّذَانِ يَصْرَفَانِهِ عَنِ الْفِطْرَةِ وَمَا
خُلِقَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى دِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ) (6) .

وعلى كلٍّ : يجب أن يُعرف أن خلق العزّة من الأخلاق المحببة التي
تميل إليها فطر الناس السليمة ، وتُقدَّرُ رها ، وتُقدَّرُ أصحابها ، مع أنهم قد
يتفاوتون في تطبيقها وتنزيلها على حياتهم اليومية ؛ إلا أن الفطرة السليمة
تُعدُّ دليلاً واضحاً على أهمية خلق العزّة ، وأثره على حياة الناس .

(1) : ((الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية)) لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ،
(156 / 1) .

(1) : [البقرة : 206] .

(2) : ((الكشف والبيان)) : (315 / 1) .

(3) : سبق تخریجه في ص (223) .

(4) : هو الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون القاضي أبو الوليد : سليمان بن خلف بن سعد بن
أيوب بن وارث التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي الذهبي ، صاحب التصانيف ، أصله من مدينة
بطليوس ، فتحول جدّه إلى باجة - بليدة بقرب إشبيلية - فنسب إليها ، صنّف كتاباً م نها : كتاب
المنتقى في الفقه ، وكتاب المعاني في شرح الموطأ ، فجاء في عشرين مجلداً عديم النظر ،
وتوفي سنة (474 هـ) ، انظر ترجمته في ((سير أعلام النبلاء)) : (18 / 535 - 545) ، و
(طبقات المفسرين) : (145) .

(5) : ((المنتقى شرح الموطأ)) لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المالكي ، (33 / 2) .

فلا أحد من الناس _ ولو كان كافرًا _ يَرْضَى بأن يُستباح عرضه أو ماله ، ولا أن يكون ذليلاً مهاناً بين الناس ؛ بل إنَّ النفس الزكيّة لا ترضى بأن تكون ناقصة بين أقرانها ، وكل هذا من العزّة .

وكذلك هو الحالُ فيمن يتعزّز (1) عن الاستكثار من الأموال ، وأخذها من غير وجه حقّ ، فنراه قانعاً بما رزقه الله ، غنياً بالله وبما أعطاه الله ، ولا يسأل الناس أموالهم ، فيريق ماء وجهه من أجل حِقْنَةٍ من المال ، ويذلّ نفسه وبدنه من أجل شيءٍ قد كتبه الله له من قبل وهو يسعى للاستزادة منه من أيّ طريق كان ، قال النبي x : « **إِنَّ رُوحَ الْفُؤَسِ نَفَثَ فِي رُوعِي ؛ أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلِبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُبَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ** » (2) .

فالمؤمن الصادق ينبغي عليه أن يعلم أن قضية الأرزاق مقسومة محسومة منذ خلق الله السموات والأرض ؛ فيتجنب السعي المذموم من أجل الاستكثار من الرزق ، والحزن لأجل عدم تحقيق شيءٍ منه ، (فلا يوجد مخلوقٌ حيٌّ من البشر بغير رزقٍ ، فالرزق من لوازم الخلق والحياة ، فلكل مخلوقٍ من البشر رزقه ، قال تعالى : **+ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** .. " (3) الآية) (4) .

والإيمان بقضية حسم الأرزاق تُوجبُ للقلب سعادته ، وللبدن راحته ، وتفرّغ المؤمن في باقي يومه لأداء الطاعات والاستزادة من الحسنات ، كما قال تعالى مخاطباً نبيه : **+ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾** " (5) ، أي : إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها ، وقطعت علائقها ؛ فانصب في العبادة ، وطمّ إليها نَشِيطًا فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة . (6)

(1) : أقصد به الامتناع .

(2) : أخرجه أبو نُعَيْمٍ في ((حلية الأولياء)) : (10 / 27) ، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع الصغير وزيادته)) : (1 / 419 ، 420) برقم : (2085) .

(1) : [الروم : 40] .

(2) : ((الرزق في القرآن الكريم)) للشيخ د. سليمان الصادق البيرة ، (172) .

(3) : [الشرح : 7 ، 8] .

(4) : ((تفسير القرآن العظيم)) : (6 / 488 ، 489) .

فالعزّة مطلبٌ فطريٌّ ، كما هي مطلبٌ عقليٌّ وشرعيٌّ ، تحتاجه
الأنفسُ السليمة لاستكمال رغباتها ، وتَحصيل السعادة والراحة لها .

المصدر الثاني : (العقل) :

إنَّ اللهَ عَلَّمَ كَرَّمَ الإنسانَ على سائر المخلوقات بالعقل ، فهو المخلوق الوحيد المميز (المكلف) الذي يستطيع أن يَهْتدي بالعقل إلى ما يُريد .

قال السرخسي (1) : (والعقلُ من أعظم ما يَخْتَصُّ به الآدميُّ ، وبه يَنْتَفِعُ بنفسِهِ في الدُّنيا ، والآخِرَةِ ، وبه يَمْتَّازُ عن البهائم) (2) .

وقال القاضي عياض : (فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ، ويتفرّع من هذا ثقبوب الرأي وجوْدُهُ الفِطنة ، والإصابة ، وصدق الظن ، والنظر للعواقب ومصالح النفس ، ومُجاهدة الشهوة ، وحسن السياسة والتدبير ، واقتناء الفضائل ، وتجنب الرذائل) (3) .

قال الماوردي (4) : (وقال بعض الشعراء وهو إبراهيم بن حسان (5) :

وأفضلُ قسمٍ لله للمرءِ عقلُهُ *** فليسَ من الأشياءِ شيءٌ
يُقارِبُهُ

إذا أكملَ الرَّحْمَنُ للمرءِ عقلُهُ *** فقد كملتْ أخلاقُهُ ومآرِبُهُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ بالعقل : تُعرَفُ حقائقُ الأمور ، وَيُفصَلُ بين الحسناتِ
والسَيِّئاتِ (6) .

(1) : هو محمد بن أحمد بن سهل السرخسي (شمس الدين) ، من فقهاء الحنفية وكبرائهم ، من أهل سرخس في (خراسان) ، وله كتبٌ ؛ من أشهرها المبسوط في الفقه والتشريع ، وهو ثلاثون جزءاً ، أملاه وهو سجينٌ بالجب ، توفي سنة (491 هـ) وقيل : (473 هـ) . ((الأعلام)) : (5 / 315) .

(2) : ((المبسوط في شرح الكافي)) لشمس الدين محمد بن أحمد السرخسي ، (26 / 69) في كتاب الديات .

(3) : ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى)) : (102) .

(4) : هو القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي ، فقيه ، أصولي ، مفسر ، أديب ، صاحب التصانيف ، منها ((الحاوي الكبير)) في الفقه الشافعي ، و ((الأحكام السلطانية)) ، و ((النكت والعيون)) ، و ((أدب الدنيا الدين)) ، توفي في عام : (450 هـ) . انظر ترجمته في ((معجم المؤلفين)) : (2 / 499) ، و ((العبر في خبر من غير)) : (2 / 296 ، 297) ، و ((طبقات المفسرين)) : (292 ، 293) .

(5) : اختلف في نسبة هذه الأبيات إلى قائلها ، فقد نسبها ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) : (23 / 328) لصالح بن جناح ، ونسبها النويري في ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) : (3 / 236) إلى ابن دريد .

(1) : ((أدب الدنيا والدين)) : (5 ، 6) .

فالعقول السليمة تُقرُّ بما هو حقٌّ ومُستحسن ، وتُنكر ما هو باطل
ومُستردل ، ولذلك قال الله تعالى : + الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ " (1) قال ابن القيم : (وهل دلت الآية إلا على أنه أمرهم

بالمعروف الذي تعرفه العقول وتقرُّ بحسنه الفطر ، فأمرهم بما هو معروف
في نفسه عند كل عقل سليم ، ونهاهم عمّا هو مُنكر في الطباع والعقول ،
بحيث إذا عُرض على العقول السليمة أنكرته أشدَّ الإنكار ، كما أن ما أمر به
إذا عرض على العقل السليم قبله أعظم قبول وشهد بحسنه ، كما قال بعض
الأعراب وقد سُئل ؛ بم عرفت أنه رسول الله x ، فقال : ما أمر بشيء فقال
العقل : لبيته ينهى عنه ! ولا نهى عن شيء فقال العقل : لبيته أمر به ! فهذا
الأعرابي قد أقر عقله وفطرته بحسن ما أمر به ، وقبح ما نهى عنه (2) .

ومن الأخلاق العظيمة التي استحسناها العقلاء من الناس على اختلاف
دياناتهم ومذاهبهم وعاداتهم : خُلُق العزّة والكرامة ، فلا يُتصور أن إنساناً
عاقلاً _ من أي ديانة سماوية كان أو غيرها _ يرضى المذلة والهوان
والضيم لنفسه ؛ لأنّ هذا الخُلُق الكريم مقبولٌ عقلاً ، مرغوبٌ فطرةً .

وذلك لأنّ العقل البشري طُبِعَ على معرفة الحقّ من الباطل ، وتمييز
الحسن من القبيح ، وتقدير القيم النبيلة ، ورفض ما خالفها من القبائح ،
فالأعمال التي لا تتماشى مع مبادئ العزّة الحقيقية تكون غريبة عنها ، كالكبر
، والتذلل لغير الله ﷻ ، والرضا بالضيم ، بينما الكرامة والشجاعة
والاعتزاز بالدين أمور طبيعية تُصدرُ عن العقل ، وهي مقبولة عند الناس
جميعاً .

ولذلك يدلُّ العقل صاحبه على منافع الالتزام بخُلُق العزّة ، فردياً
واجتماعياً .

ففردياً : يدلُّ العقل صاحبه إلى معالي الأمور وتركِ أراذلها ، والدلالة
على فعل الخيرات ، ومجانبة المعاصي ، والحفاظ على النفس والمال
والأهل والعرض من أي طامع ... الخ .

(2) : [الأعراف : 157] .

(3) : ((مفتاح دار السعادة)) لمحمد بن أبي بكر (ابن القيم) ، (2 / 327 ، 328) بتصرف
يسير في آخر الكلام .

واجتماعياً : تكون دلالة العقل على المنافع الاقتصادية كرفع منسوب الدخل المادي من أجل عدم تأثر المجتمع بأي مشكلة ، والاعتماد على الاقتصاد المحلي ، والمنافع الأخوية كمحبة الخير للغير ، وتعاون المجتمع الواحد وترابطه وتراحمه ، إلى غير ذلك من المنافع .

ومن خلال تطبيق ذلك أو الإخلال به أو بشيء منه يستطيع العقل معرفة مدى منسوب العزّة لدى الفرد والمجتمع .

مع التنبيه بأنّ العقل قاصرٌ عن إدراك قيمة خلق العزّة استقلالاً ؛ وإنما متابعة للشرع ، فالعقل يُدرك حسن هذا الخلق جملةً لا تفصيلاً ، فالعقل تابعٌ والشرع هو الأساس .

المصدر الثالث : (الشرع) (1) :

لقد أكرم الله ﷺ بني الإنسان حين اختصهم بالتكاليف الشرعية ، فأمرهم ونهاهم ، وجعل لهم فطرةً سليمة قابلة للتزكية ، وعقلاً يُرشدهم لقبول هذه التكاليف ، وتمييز الحسن من القبيح .

فالفطرة مقومٌ من مقومات التكليف ؛ (لكنها قد تُطمس ، وقد تُشوّه ، وقد تمحقها البيئة ، وكذلك العقل لا يستطيع أن يُلازم الصواب دائماً وإن عرف أنه صواب ؛ لذلك لم يبقى ثابتاً في حياة المسلمين إلا وحي السماء ، قال تعالى : + إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ط تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ " (2) .

هذا الوحي هو الحقُّ الصّرف ، وهو الميزان ، وهو القيمة المطلقة ، فذلك أيّ جولة للعقل وصلت إلى نتيجة تتوافق مع الوحيين فقد أصاب العقل ، وأيّ نتيجة وصل إليها العقل تُخالف الوحيين فهو خطأ صارخ ، ولا مجال لقبولها ؛ لأنّ الوحي مُطلقٌ في أحقيّته ، وأيّ شيءٍ تُرتاح له الفطرة المشوّهة

(1) : أخرّ الكلام عن المصدر الشرعي لعلة ؛ وذلك لأنّ الشرع هو الذي يحكم الفطرة والعقل ، ويضبطهما ، ويُبين ويفصل الأمور التي يُدركها العقل والفطر السليمة من حيث الجملة ، حيث يأتي الشرع بتأييد سليمها ، ويضع لها الأحكام والقوانين .
(2) : [فصلت : 42] .

يُخالف الدّين فهذا ليس من الفطرة السليمة ، بل هو من الفطرة التي شوّهت وتغيّرت (1) .

ولذلك (فإنّ بني آدم محتاجون إلى الشرع لكي يُكمل فطرهم) (2) ، ويصدّق على استحسان ما ذهب إليه عقولهم أو إرشادها للصواب .

وعليه : فإنّ الشرع الحنيف أتى بكلّ ما يُناسب الفطر ، ويُلبي رغبات العقل والنفس ، ومن ذلك : خُلق العزّة المتين .

وقد كان حديث الشرع عن العزّة _ من باب التأصيل _ متنوعاً من خلال مصدرين : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

فقد رعب الله المؤمنين بطلب العزّة منه ، وحثهم عليها ، فقال تعالى :
 + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (3) ، ثم بيّن لعباده طريقة تحصيلها وهو طاعته ﷺ + إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ " .

قال في ((الظلال)) : (ولهذا التعقيب المباشر بعد ذكر الحقيقة الضخمة : مَغزاهُ وإيحاؤه ، فهو إشارة إلى أسباب العزّة ووسائلها لمن يطلبها عند الله ، القول الطيب والعمل الصالح ، فالقول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه ؛ والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع ، ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزّة والاستعلاء) (4) .

وامتدح الله المؤمنين بها لكي يرفع من شأنها ، فقال ﷺ : + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ سُوِّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " (5) .

(3) : ((مقوّمات التكليف)) للدكتور : محمد راتب النابلسي ، (125 ، 126) بتصرف .

(4) : ((مجموع الفتاوى)) لتقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني ، (105 / 20 ، 106) .

(1) : [فاطر : 10] .

(2) : ((في ظلال القرآن)) : (2930 / 5) .

(3) : [المائدة : 54] .

وذمّ المنافقين الذين طلبوها من المخلوقين الضعفاء ، فقال عزّ من قائل : **+ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيبْتِغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴿١٦٦﴾ " (1) .

والله ﷻ يسأل في استنكارٍ : لم يتخذ المنافقون الكافرين أولياء وهم يزعمون الإيمان ؟ لم يضعون أنفسهم هذا الموضع ، ويتخذون لأنفسهم هذا الموقف ؟ أهم يطلبون العزّة والقوّة عند الكافرين ؟ (2)

وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً قال : « إن لله ثلاثة أثواب : أثَر العزّة ، وتسربل الرحمة ، وارْتِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ ، فمن تعزّزَ بغير ما أعزّه الله ، فذلك الذي يقال له : **+ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴿١٦٦﴾ " (3) ، ومن رحم النَّاسِ برحمة الله فذلك الذي تسربل بسرباله الذي ينبغي له ، ومن نازع الله رداؤه الذي ينبغي له ، فإن الله يقول : لا ينبغي لمن نازعني أن أدخله الجنة » (4) .

وبين الله ﷻ أن العزّة ملكٌ له وحده ، فقال تعالى : **+ وَلَا سَخِرْنَاكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴿١٦٦﴾ " (5) .

قال في ((الظلال)) : (لقد استأثر الله ﷻ بالعزّة ؛ فلا يجدها إلا من يتولاه ويطلبها عنده ؛ ويرتكن إلى حماه ، ثم قال : وتقرّر أنّ العزّة لله وحده ؛ فهي تطلب عنده وإلا فلا عزّة ولا قوّة عند الآخرين !) (6) .

ولقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الإسلام عزيزٌ ما بقي في الأرض ، ولو اعتراه في بعض فتراته ضعفٌ وفنورٌ ، فعن تميم الداري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لِيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَتْرُكَ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ »

(1) : [النساء : 139] .

(2) : ((في ظلال القرآن)) : (6 / 3580) .

(3) : [الدخان : 49] .

(4) : ((المستدرک)) : (2 / 489) برقم : (3685) ، وقال الحاكم : (هذا حديثٌ صحيح الإسناد ، ولم يُخرجاه) .

(5) : [يونس : 65] .

(6) : ((في ظلال القرآن)) : (2 / 780) .

ولا وَبَرَّ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ؛ بَعَزٌ عَزِيزٌ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٌ ، عَزَا يُعَزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذَلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ » .

وكان تميم الداري (1) يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ؛ لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية (2) .

ومع ذلك كله فقد أبان الله ﷻ أن خلق العزّة من أخلاق المؤمنين ، وصفة من صفاتهم ، فقال تعالى : + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ " (3) ، وقال ﷻ في آية أخرى : + وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (4) .

قال في ((الظلال)) : (ويضم الله ﷻ رسوله والمؤمنين إلى جانبه ، ويصفي عليهم من عزته ، وهو تكريم هائل لا يكرمه إلا الله ! وأي تكريم بعد أن يوقف الله ﷻ رسوله والمؤمنين معه إلى جواره ، ويقول : ها نحن أولاء ! هذا لواء الأعداء ، وهذا هو الصفّ العزيز !) (5) .

فَعَلِمَ مِنَ الْأَدْلَةِ الْمَاضِيَةِ _ وَغَيْرِهَا _ : أَنَّ الشَّرْعَ الْحَنِيفَ يَدْعُو إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِهَا ، وَالتِّي مِنْهَا : (خُلُقُ الْعِزَّةِ) ، وَيَنْهَى عَنِ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَأَرَادِلِهَا ، وَالتِّي مِنْهَا : (الرضى بالمذلة والهوان والضعف) .

(2) : هو تميم بن أوس بن خارجه الداري ، أبو رقية : صحابي ، نسبته إلى الدار بن هاني ، أسلم سنة 9 هـ . ، وكان يسكن المدينة ، ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان ، فنزل بيت المقدس ، وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين ، روى له البخاري ومسلم 18 حديثاً ، توفي سنة (40 هـ) . ((الأعلام)) : (87 / 2) .

(3) : الحديث أخرجه أحمد في ((مسنده)) : (784 / 5) ، برقم (17082) ، والحاكم في ((مستدرکه)) : (477 / 4) ، برقم (8326) ، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند : (إسناده صحيح على شرط مسلم) ، (155 / 28) .

(1) : [المائدة : 54] .

(2) : [المنافقون : 8] .

(3) : ((في ظلال القرآن)) : (3580 / 6) .

وإنّما دعت شريعة الإسلام لمثل خلق العزّة لأسدلب ؛ منها :

السبب الأول : لأهمية هذا الخلق ، وعلو شأنه .

السبب الثاني : لدوره العظيم في الحفاظ على كرامة الفرد المسلم ،
ومن ثمّ المجتمع بأسره .

فمن عزّة المسلم الفردية : أن يبتعد عن المعاصي والآثام التي من شأنها أن تُنقص من عزّته وهيبته بين الناس ، فتجعله ذليلاً مهاناً ؛ إلاّ من تَابَ !

ومن عزّة المجتمع : حماية أعراض أفرادهم وممتلكاتهم من السلب والعدوان ، ورُضوخ الغير لهم هيبّة واحتراماً ...

السبب الثالث : تلبية لحاجة النفس الإنسانية المفطورة عليها في الأصل ، كما في قوله تعالى : **+ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَهْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾** " (1) .

فالفطرة السليمة تألف كلّ خلقٍ كريمٍ ، فهي تألف العزّة في تعامل النفس مع الله ، ومع خلقه كلُّ بحسبه .

وكذلك العقل له حاجته في العزّة ، فهو يُدرك آثار ونتائج هذا الخلق العظيم في نفس صاحبه ؛ ولذلك هو يحتاجُ إليه .

وعلى كلّ : فإنّ الشرع دعا لمثل هذه الأخلاق من أجل سعادة الإنسان وراحته النفسية والجسدية في الدنيا ، مع ما ينتظر أصحابها من أجر وبرٍّ في الآخرة .

المطلب الثاني

أنواع العزّة

إن أنواع العزّة جاءت متعدّدة لتدلّ على أهمية العزّة ، ولكن هذه الأنواع كانت بحسب حيثيّاتٍ مُختلفة تجتمع في مدلولٍ واحد ، ومن باب التقسيم فهي تأتي على حيثيّاتٍ أربع :

الحيثيّة الأولى : (من حيث النسبة) وهي تأتي على أنواع :

النوع الأول : (العزّة كصفةٍ لله ﷻ) وهي صفة مدح وتفرّدٍ في حقّه ﷻ

النوع الثاني : (العزّة كصفةٍ للأدّمين ، أو العزّة المخلوقة) فهذه

نوعان :

أولهما : (عزّة مَحمودة) وهي تنقسم أيضاً إلى قسمين :

القسم الأول : (عزّة الأنبياء ، ومنهم : سيدنا مُحَمَّدٌ *) ؛ فمن صفاته

أنه عزيز ، كما قال المولى ﷻ : + لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ " (1) .

القسم الثاني : (عزّة المؤمن) وتظهر هذه العزّة في مجالاتٍ شتى (2)

ثانيهما : (عزّة مذمومة) وهي كعزّة الكافرين ، والمتكبرين ، قال

تعالى : + بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢١٠﴾ " (3) .

وقال ﷻ : + وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ

الْمِهَادُ ﴿٢١١﴾ " (4) .

(1) : [التوبة : 128] .

(2) : سوف تُذكر بعد قليل في المبحث الذي يليه .

(3) : [ص : 2] .

(4) : [البقرة : 206] .

النوع الثالث : (العزّة كصفةٍ لكتب الله ﷻ) : ولم يرد هذا الوصف في القرآن _ ولا غيره فيما أحسب _ : إلا للقرآن الكريم ، حيث قال ﷻ : + إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ .

ولا يظهر ذلك لغيره ؛ لكون تلك الكتب قد بُدلت وحرّفت ، فلم يبقَ فيه معنى العزّة على عمومها ؛ كما هو الشأنُ في تفضيل القرآن الكريم على كتب سائر الأمم (2) .

الحيثية الثانية : (من حيث الذم والمدح) : وقد سبق أنها تأتي على نوعين :

النوع الأول : (عزّة محمودة) .

النوع الثاني : (عزّة مذمومة) .

الحيثية الثالثة : (من حيث العزّ الحسي والمعنوي) : وهي تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول : (عزّة حسيّة) : كما يحسُّه المجاهد والمقاتل حين الغلبة على الأعداء .

النوع الثاني : (عزّة معنوية) : كما يلمسه المرء عند انتصاره على شهوته ، أو الشيطان ، أو عند فعله لطاعة الله ﷻ .

الحيثية الرابعة : (من حيث الأفراد والجماعات) : وهي تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول : (عزّة فرديّة) : كالعزّة التي يُحقّقها الفرد المؤمن على نفسه بطاعة الله ، وكبحه لشهوات نفسه .

النوع الثاني : (عزّة جماعيّة) : كالذي يحصل لأمة الإسلام حين النصر على الأعداء ، أو الذي يحصل لتلك الدويلات الصغيرة التي تندرج تحت مسمى الأمة الإسلامية ؛ حينما تُطبّق شرع الله على رعاياها من دون القوانين الوضعية ، وعدم خضوعها لأيّ مؤثر خارجيّ يؤثّر على عقيدتها وسياستها غير شرع الله ؛ فتلك عزّة .. !

هذه هي أنواع العزّة من حيثياتها الأربع ، وقد تكون الثانية داخلة في الأولى فتصفو على ثلاث ؛ لكنّ اصطلاح القسمة الحاصل من حيث المعنى جعلها على أربع ؛ ولكن التقسيم المشهور عند المفسرين _ وهو الأولى بالذكر _ : أن العزّة قسمان : **حقيقية ، وباطلة ، أو صادقة ، وكاذبة .**

فتكون العزّة **الحقيقية الصادقة** : منشؤها من الله ﷻ ، وهو الذي يهبها لمن يشاء من عباده ، وعلى هذا : فعزّة كل عزيز من الخلق تندرج تحت هذا النوع مهما كان شكلها ، وفي أي مكان كان مجالها ، ومن ذلك قوله تعالى : **+ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾** " (1)

وأما العزّة **الباطلة أو الكاذبة** : فهي كل عزّة منشؤها من الخلق ابتداءً دون هبة منه ﷻ أو معونة ، وعلى هذا : تكون كل عزّة أصلها الهوى أو الكبر والغرور داخلة تحت هذا النوع ، ومنه قوله تعالى : **+ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾** " (2) ، وقوله تعالى : **+ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إلهةً ليكفونوا همّ عزّاً ﴿٨١﴾** " (3) ، وقوله ﷻ : **+ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾** " (4) .

ويَنضاف إلى ما سبق : تقسيم ذكره ابن عجيبة في تفسيره حيث قال : العزُّ على قسمين : عزُّ الظاهر ، وعزُّ الباطن .

(1) : [المنافقون : 8] .

(2) : [البقرة : 206] .

(1) : [مريم : 81] .

(2) : [ص : 2] .

فِعزُّ الظاهر : هو تعظيم الجاه وبعُد الصيت ، واحترام الناس لصاحبه ، ولِمَن تعلق به ، وسببه : التقوى ، والعلم ، والعمل ، ومكارم الأخلاق ؛ كالسخاء ، والتواضع ، وحسن الخلق ، والإحسان إلى عباد الله .

وعزُّ الباطن : هو الغنى بالله ، وبمعرفته ، والتحرُّر من رق الطمع ، والتحلّي بحلية الورع . وسببه : الذل لله ، يُظهر ذلك بين أقرانه ، كما قال الشاعر :

تَذَلُّ لِمَنْ تَهْوَى لِتَكْسِبَ عِزَّةً ... فَكَمْ عِزَّةٍ قَدْ نَالَهَا الْمَرْءُ بِالذُّلِّ

إذا كان مَنْ تَهْوَى عزيزاً ولم تكن ... ذليلاً له فافر السلام على الوصل (1)

وغايته : الوصول إلى معرفة الشهود والعيان . فإذا تعزّز القلب بالله لم يلتفت إلى شيء ، ولم يفتقر إلى شيء ، وكان حرّاً من كل شيء ، عبداً لله في كل شيء . وقد يجتمع للعبد العزّان معاً ، إذا كان عارفاً بالله عاملاً . (2)



(3) : هذان البيتان وردا في كتب كثيرة من دون نسبة لقائلها _ حسب بحثي _ ، ومن هذه الكتب : ((روضة المحبين)) الباب العشرون في علامات المحبّ (242) ، و((مفتاح دار السعادة)):(157/1).

(4) : ((البحر المديد)) : (107 / 6) .

المطلب الثالث

مَجَالَاتُ الْعِزَّةِ

لا شكَّ أنّ العزّة كخلقٍ إسلاميٍّ حثَّ عليه القرآن الكريم ، هو واقعٌ حيٌّ في حياة كثيرٍ من المسلمين ، فيكون بذلك كغيره من الأخلاق الإسلامية يَحْتَاجُ إلى مكانٍ لكي ينمو ويتزعرع فيه .

فالمسلم يكتسب ملامح هذا الخلق _ مع وجوده أصلاً فيه _ عبرَ مجالاتٍ يُعاشها في يومه ، ومن تلك المجالات :

المجال الأول : (مجال البيئة بأنواعها) :

البيئة : كل ظرفٍ عاشَ فيه الإنسان مع غيره ، سواءً أكان مع مؤمنٍ أم كافرٍ ، وذلك يشمل سائر البيئات التي يتحرك من خلالها المسلم ، مثل : بيئة البيت ، وبيئة العمل ، وبيئة التعليم بمختلف أنواعها ، والبيئة الأسريّة ، وبيئة الجوار ، وبيئة الصداقة والصحبة ، فهذا كلّها وسواها تشمل حركة الإنسان وعلاقته بغيره .

فالبيئة لها تأثيرها القويّ _ سلْباً وإيجاباً _ على كل من يعيش فيها سواءً أم أبي ؛ لأنَّ الإنسان مجبولٌ على المخالطة والتأثر بالمسموع والمرئي فيها ، كما هو معلوم من أنَّ كلَّ فعلٍ له ردّة فعلٍ إمّا بالسلب أو الإيجاب .

ولا شكَّ أنّ أول البيئات تأثيراً في سلوك الفرد وأخلاقه : بيئة البيت ، ويليهما بيئة التعليم .

والبيئة لها مجالاتٌ عدّة ، تختلف باختلاف أحوالها ، ولكن يُذكرُ منها ما يلي :

أ - **بيئة البيت** : وهي الأساس في زرع الأخلاق الكريمة وتنميتها واكتسابها ، وهي اللبنة الأولى في بناء العزّة في نفس الفرد ، وذلك لطول معاشرته لأفراد بيته ، ولاتصاله اللصيق بهم .

فالببيت بهذا الاعتبار أقوى ما يكون تأثيراً فيمن يعيشون فيه ، وبالتالي فإن الفرد فيه أشدُّ تأثراً بما يُحيط بهذا البيت .

ولخطر دور بيئة البيت وأثره في نفوس الناشئة ، وتنشئتهم على معاني العزّة والرفعة والكرامة والشجاعة ، أو العكس ؛ فإنَّ الله اختار لنبيه موسى عليه السلام أن ينشأ ويتربى _ التربية الظاهرة _ في بيتِ عدو الله فرعون ، وذلك لأنَّ بيت فرعون لا يُمارس فيه ذلٌّ ولا صغارٌ

ضد أفراده ؛ ولأنّ موسى عليه السلام سوف يحمل منهج العزّة في ذلك الوقت ، وهو البشارة والندارة لبني إسرائيل .

وهكذا نشأ موسى عليه السلام وهو النبي الذي يحمل العزّة في بيتٍ عزيزٍ حسياً ، مع أنّه في بيتٍ صاحبه عدو الله .

ولعلّ هذه هي الحكمة الظاهرة من نشأة موسى عليه السلام في بيت عدو الله فرعون ، والله أعلم .

ولذلك ينبغي الحرص كل الحرص على سلامة هذه البيئة من أسباب الذلّ والضعف والهوان ، وتهيئة أسباب العزّ والرفعة والشرف والكرامة وإبَاء الضيم ؛ حتى يستطيع الناشئ فيها مواجهة الحياة الفسيحة التي سيواجهها في مستقبل عمره مرفوع الرأس ، مُعْتَزّاً بدينه وحُلقه .

ب - **مجال البيئة التعليمية** : (ويشمل ذلك : المدرسة والمعهد والجامعة) والتي ينشأ فيها الطالب ، ويقضي فيها كثيراً من أوقات يومه ، سواءً أكان من معه طلاباً أم معلّمين .

فالمعلّم له دورٌ كبيرٌ في تلقين وتربية الطالب على معاني العزّة والرفعة الحقيقية ، كالشجاعة والصدق والكرامة والكرم والعفة الحسيّة والمعنويّة ...

كما أنّه ربّما يُربيّه على المذلة والهوان بضربه مثلاً على وجهه ضرباً مُبرحاً ، أو أنّه يُنشئه على التبعيّة المقيتة لشخصه أو لشخص غيره ، فيُلغي بذلك شخصيته ، ولا يستطيع أن يُعبّر عمّا في نفسه ، فينشأ ذليلاً جباناً .

كما أنّ للطالب على زميله أثراً فعلياً _ قد يكون إيجابياً أو سلبياً _ فالطالب الذي ينشأ نشأة العزّ والشرف يأبى المذلة والهوان ، ومن ثمّ يتأثر به زملاؤه ، والعكس بالعكس . وكما قيل من أنّ :
الصاحب صاحب ، والطباغ سراقّة .

والشاهد من هذا كله : أنّ المدرسة بمنسوبيها لها دورٌ كبيرٌ في تربية الطالب على معاني العزّة وتخليئه من معاني الذلّة والضعف ، وذلك من خلال أخلاق هؤلاء المنسوبين .

وينضمُّ إلى هذا المجال أيضاً : حلق التعليم والتدريس والتحفيظ ، فهي بحق مجال خصب لتربية الناشئ على العزّة والكرامة .

ت - **المجال الاجتماعي** : ويُقصد بها تلك البيئة التي يَخْتَلط فيها المرء مع الناس في يومه وليلته ، وما يتعامل فيه مع من يعرفه ومن لا يعرفه بيعاً وشراءً وغير ذلك ، فلا شكَّ أنَّ ما يَقَعُ في المجتمع من أحداثٍ ووقائع تنعكسُ على شخصية الفرد والجماعات سلبيًا وإيجابًا .

ث - **مجال البيئة الأسرية** : وهي البيئة التي تَجْمع الفرد م ع ذوي رَحِمِهِ ، من أعمام وعمّات ، وأحوال وخالات ، وإخوة وأخوات ، فهذه العلاقة مبنية على الخلطة بهذه البيئة والتأثر والافتداء بها .

و فرّق بين العلاقة الأسريّة وعلاقة البيت ؛ لأنّ علاقة البيت تكون مع أهله المباشرين له ، بخلاف الأسرة فهي مع غير المباشرين من أهله .

المجال الثاني : (**المجال التعبدي**) :

وأعني به كل تَجْمع جَمع المسلم بإخوانه المسلمين عبادة لله ﷻ ، وأولها : الصلوات الخمس ، حيث إنّ الإنسان في هذه الصلوات الخمس يُصلي مع المسلمين في المساجد ، فمن خلال هذا التجمع يحسُّ بالألفة والانتماء لأمة الإسلام وذلك من شأنه أن يجعله يستشعرُ عزّة الإسلام في نفسه .

ولعلّ المقصد من صلاة الجماعة _ بالإضافة إلى المقاصد الشريفة من وراء التجمع لهذه الصلوات الخمس وغيرها _ : هو تربية المسلم على الاعتزاز بدينه، والارتباط بإخوانه المسلمين والإحساس بالانتماء إلى أمة الإسلام .

ثم تأتي مناسباتٌ أخرى لمثل ذلك ، كصلاة الجمعة ، وصلاة العيدين ، وصلاة التراويح والتهدج ، ومناسبة رمضان والحج ، فالقول فيها كالقول في الصلوات الخمس .

فالمسلم الذي يُضطهد ويُعذبُ في أيِّ بلدٍ من البلاد التي يعيش فيها المسلمون قلّةً ، فإنه إذا جاء إلى الحرمين الشريفين في الحجِّ أو رمضان ، ورأى الأمة وهي تتراحم وتتعاطف في صورة جميلة ؛ عندها يستشعر بقيمة

انتماءه لهذه الأمة ، ومن ثمّ ينتشي بالعزّة والرفعة والمنعة ؛ لأنّ له إخوانًا من المسلمين يُحبونه ويُدافعون عنه ويُناصرونه .

ويُضافُ إلى ما سبق : الخلوة من أجل إقامة الذكر ، والأنسُ بالله ﷻ عبر قراءة القرآن ، والتفكر في الكون ؛ فإنّها وغيرها من الطاعات والعبادات ممّا يُقوي المؤمن في جوارحه ونفسيّته وشخصيّته ، فيكتسب بذلك العزّة في نفسه وسائر أموره .

المجال الثالث : (المجال العلمي) :

إنّ للعلم تأثيرًا بالغًا في كل شيء ، فهو يُؤثر في المجتمع والجماعات والأفراد ، وهو المقياسُ لمعرفة الحقّ من الباطل ، وهو سَوّط الهيبة في قلوب الناس .

ومن هنا نعلم أهمية وجود العلماء الرّبّانيين ودورهم الإصلاحي في المجتمع العام ، فالعالم الرّبّاني يزهد فيما عند غيره ، فهو يستغني عن غيره ، وغيره يحتاج إليه .

وإذا أردنا أن نعرف أعلى درجات العزّة وأقصى غاياتها ، فهي التي كانت لرسول ﷺ في رسالته الخالدة إلى يوم الدين ، عندما بعثه الله إلى قوم سادّ فيهم الشرك والجهل والانحطاط البشري ، فأتاهم بما لا يعرفون ويُخالف معتقداتهم ، فصدح بذلك في وجوههم ، وجاهدهم وقاتلهم عليه ولم يُداهنهم أو يُداريهم فيما كلفه الله به ، ففعلوا به ما فعلوا من إيذاء وطرده وتشريد ، فخرج من عندهم مُفارقًا لما هم عليه حتى أظهر الله أمره .

فدخل مكة عام الفتح عندما دانّت له العرب وذلت له رقاب من آذوه ، فكان هذا أعلى درجات العزّة من خلال مجال العلم والعلماء .

وعلى نهجه سار ورثته من العلماء الرّبّانيين ، يُربون المسلمين على معاني العزّة من خلال زهدهم وبتابهم وجهادهم .

المجال الرابع : (المجال الإعلامي) :

إنّ وسيلة الإعلام _ المرئي والمسموع _ له مجاله الخصب في نشر خلق العزّة بين أفراد الأمة صغارًا وكبارًا ؛ لأنّ وسيلة الإعلام هي الأسرع انتشارًا بين أوساط الخاصة والعامة من الناس ، وهو داخل كل بيت .

لذلك كان دوره عظيمًا لعظم رسالته التي يقوم بها من أجل إبلاغها للناس .

وتظهر قوّة هذا المجال في صدق عرض الكلمة والمضمون ، وتحريك مشاعر الإنسان وعواطفه في مثل بثّ الحميّة للدين ، وذكر مآثر الجيل الإسلامي ، ومآثر الحضارة الإسلامية والأمجاد التاريخية ، وإظهار ذلك في صورة حسنة .

فالمجال الإعلامي يس تطيع نُصرة قضايا الأمة الإسلامية ، ودعمها ميدانيًا عبر إبراز مواقف الشعوب ، ونشر الحقائق والوقائع ، والوقوف معها ، ومواكبة الأحداث .

كما أنّه مُبرزٌ لدور العلماء والمصلحين والدعاة والمؤسسات الدعوية والإغاثية في شتى الميادين .

ويستطيع الإعلام أن يُبرز الجوانب الإيجابية والتأكيد على الإنجازات التي تحققت في الدول الإسلامية وتعززها ، وعدم الخضوع لسيطرة الإعلام الغربي وأهدافه ؛ ولكن الإعلام يحتاج إلى تمويلٍ واسع .

وبذلك وغيره يستطيع الإعلام أن يُساهم مساهمة فاعلة في نشر عزّة الأفراد والجماعات والشعوب الإسلامية ، وربطها بعزّة الإسلام العظيمة .

المجال الخامس : (المجال الاقتصادي) :

المالُ هو عصبُ الحياة ، وبه تتقدم الأمم وتنمو وتزدهر ، ولا يخفى أنّ كل عملٍ يُقصدُ نجاحه وتحقيق أهدافه ، لا بدّ له من خطةٍ أو خططٍ مُحكمة ، ووسائل متعددة تقوم عليّها الخطة ، ولاشك أنّ المال من أعظم الأمور والوسائل الذي تركز عليها الأعمال الكبيرة .

لذلك كان المجال الاقتصادي له دورٌ بارزٌ في عزّة الإسلام والحفاظ على قوته ، وانتشار دعوته ، فلا نلّ ولا خنوعٍ لكافرٍ من أجل لقمة العيش ، ولا ضعفٍ ولا خورٍ ولا استسلامٍ إذا ما كان العدو اللدود يتربّصُ بخيرات المسلمين وثرواتهم وأوطانهم .

وقد كان هذا دأبُ سلفنا الأبرار ، فقد كانوا يُحوجون العدو لهم ولا يحتاجون إليه ، ويُعدّون له ما استطاعوا من قوّة وعتادٍ لكي يأمنوا مكره ،

كما قال تعالى : + وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ⁽¹⁾ ، والقوة والعتاد تحتاج إلى المال .

وتتجلى العزّة في هذا المجال عبر أبواب كثيرة ، منها :

أولاً : المعاملات المالية :

فإنّ المسلم إذا التزم بشريعة الله ﷻ في بيعه وشرائه ومعاملاته المالية ، وترقّع بنفسه عن الغشّ والربا والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل : فإنه قد حافظ على كرامته ، وازداد كرامة وعزاً عند الله ﷻ .

كما أنّ المسلم العزيز هو الذي يعتمدُ بعد الله ﷻ على عمل يده ، وعلى جهده وسعيه _ ولو كان دخله قليلاً _ ؛ لئلا يُذللّ نفسه لغير موله ﷻ ، ولا تمتدّ يده لأحدٍ سواه ﷻ ، وقد قال x : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » ⁽²⁾ .

وطلب الحوائج والأموال من الناس فيه من المذلة والهوان النفسي الشيء الكثير ، وهو الأمر الذي بدوره يُعتبر مانعاً من تحقّق كمال العزّة في ذاته ؛ ولذلك قال النبي x : « لَأَنْ يَحْتَضِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ » ⁽³⁾ .

وممّا يدخل في ذلك أيضاً : الدين ، فإنه _ كما قيل _ : همُّ بالليل ، وذلُّ بالنهار ، فالمسلم العزيز ينبغي عليه الحذر من الدين والوقوع في شركه ، إلا في حالة الضرورة الماسة والملحة . والمنتبّع لحال الناس اليوم يرى جرأتهم على هذا الأمر من أجل كماليات الحياة لا أساسياتها ، وهذا منافٍ لعزّة المسلم .

ثانياً : في باب الزراعة والصناعة والتجارة :

(1) : [الأنفال : 60] .
 (1) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (2 / 10) ، كتاب : (البيوع) ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، برقم : (2072) .
 (2) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (2 / 10) ، كتاب : (البيوع) ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، برقم : (2074) .

والعزّة تتطلبُ من المسلمين في هذا الباب توفير الحاجيات الضرورية ، والصناعات اليدوية والآلية بقدر الطاقة على شرط مواكبة تقنيات العصر الحديث ، وإيجاد كمّيّة من المحاصيل الزراعية وتخزينها وعرض بعضها للتجارة ؛ كلُّ ذلك وغيره ممّا يدفعُ إلى عدم الحاجة والعوز الكامل للأعداء والكفار ، ويكون ذلك بعدّة أمور ، منها :

الأمر الأول : توفير الأيدي العاملة المسلمة ، وتدريبها .

الأمر الثاني : تشجيع أبناء الأمة الإسلامية على ممارسة مثل هذه الأعمال التي ترتفع بأمتهم ، وتفيد مجتمعاتهم .

الأمر الثالث : احتضان الموهوبين من أبناء الأمة الإسلامية ، وإبراز أعمالهم واختراعاتهم ، والإشادة بهم .

فكيف إذا اجتمعَ ذلك كلّهُ مع تكاتف بلدان المسلمين في أمر اقتصادهم ، واعتمادهم على منتجاتهم الوطنية ، ونبذ المنتجات المستوردة قدر الاستطاعة من أجل رفع الاقتصاد الإسلامي ، لا من أجل تحريم تبادل المنافع؟!



المطلب الرابع

مظاهر العزّة

أصل كلمة مظاهر يعود إلى الفعل الثلاثي (ظهر) ، وهو جمعٌ من المصدر الميمي من ظهر يظهر ظهوراً ومظهراً ، ومعناه هنا يدور حول : البروز والبدو والعلامة .

قال ابن فارس : (**ظهر** : الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد ، يدل على قوّة وبروز ، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر : إذا انكشف وبرز) (1) .

والمراد به هنا في هذا المبحث : العلامات البارزة التي تُميّز كلاً من الإسلام و المسلم ، والدالة على أحدهما .

فالإسلام له مَظَاهِرُهُ التي تُميّزه عن غيره من الأديان السماوية التي جاءت من الله ، فكيف بما حُرِّفَ فيه وبُدِّلَ ، فإنَّ التميّزَ يكون للإسلام من باب أولى .

ولذا المسلم له مَظَاهِرُهُ التي يميّزُ بها عن غيره من الناس ، بفضل التعاليم التي بين يديه من كتابٍ شريفٍ وسنةٍ مُطَهَّرَةٍ .

ولهذا سوف يدور الحديث في هذا المطلب عن هذين المظهرين :

المظهر الأول : (مظاهر عزّة الإسلام) .

المظهر الثاني : (مظاهر عزّة المسلم) .

المظهر الأول : (مظاهر عزّة الإسلام) .

مظاهر عزّة الإسلام تدورُ حولَ ثلاثةِ وجوهٍ :

❶ الوجه الأول : (عزّة الإسلام في نفسه) :

❷ الوجه الثاني : (عزّة الإسلام في مقاصده ومسائله) :

❸ الوجه الثالث : (عزّة الإسلام في نتائجِه وآثاره) :

* فعزّة الإسلام في نفسه : أي قوته ومناعته ، وحصانته من داخله ، وإن طرأ على ظاهره شيءٌ من الأندراس في حِقْبَةٍ من الزمن ، فإنه لا بدّ وأن تكون له الغلبة والنصر ؛ لأنّ داخله حصينٌ منيعٌ ، وأساسه عزيزٌ .

قال الله تعالى : + إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠١﴾ " (1) ،

ومعلومٌ أنّ القرآنَ هو مصدرُ الإسلام ، والسنةُ تابعةٌ له ومُبيّنةٌ .

عن المقدّام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، لَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَيَّ أُرِيكْتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ » (2) .

فأساسُ هذا الذكرَ محفوظٌ ، وما تبعَ له محفوظٌ منصورٌ ، ولو ح صل ما حصلَ من زهاق لأرواح المسلمين ، أو استحلالٍ لأراضيهم ومستوطناتهم .

كما أنّ الآية لا تعني الوقوف على حدِّ حفظ الله للقرآن والسنة ؛ بل للإسلام كلّهُ في نفسه وليس في أفرادهِ .

(1) : [الحجر : 9] .

(2) : الحديث أخرجه أبو داود في ((سننه)) : (185 / 5) في كتاب : (السنة) ، بابٌ : في لزوم السنة ، برقم (4594) ، وابن حبان في ((صحيحه)) : (189 / 1) ، بلفظ : (إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمَا يَعْدِلُهُ) ، في : ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى ﷺ كلها عن الله لا من تلقاء نفسه ، برقم (12) ، وأخرجه أحمد في ((مسنده)) بزيادة : (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) : (851 / 5) ، برقم (17306) ، وصحّحه الألباني ، انظر ((صحيح سنن أبي داود)) : (117 / 3) ، برقم (4604) .

فإنّ الله ﷻ لم يُكَلِّفْ ملائكةً لِقْطَعٍ من يسعى من الكفار والمنافقين لتليي ن الإسلام وإبادة شوكتهم أو من يَخوض في نحو ذلك ، وإنّما قد جعل الله ﷻ في نفس الإسلام هذه القوّة التي تحفظه بما أيّده من وسائل الحفظ ، فمهما بلغ الفساد ، ومهما ضلّ العباد ؛ لا يُمكن أن ينال أحدٌ من الإسلام ، فهو كما نزل قوياً عزيزاً منيعاً ، لا ينال منه أحدٌ .

وكمّ ظهر من المبتدعة والمشرّكين الذين عادوا الإسلام ؛ ولكّهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه شيئاً .

كما أنّ عزّة الإسلام تظهر في تعاليمه وشعائره ، ومن ذلك : قول رسولنا محمّدٌ × : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ » رواه البخاري (1) .

فإنّهم من خلال هذا الحديث الشريف : أنّ صفة هذا الدين هي اليسرُ ، وليست الشدّة ؛ ولكنّ بعض الناس يعتقدون أنّ التشدّد في الإسلام هو تأكيدٌ لعزّته ، وهذا فهمٌ خاطئٌ لهذا الدين ! لأنّ أساس هذا الدين لم يقم على التشدّد ، وإنّما قام على الرحمة واليسر ، مصداقاً لقوله تعالى : + وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ " (2) .

وعزّة اليسر أقوى من عزّة التشدّد والعنف ؛ لأنّ التشدّد والعنف لا أصل له في هذا الدين أساساً ، ولذلك فإنّ عمره قصير .

وكم هلك من هلك لعدم فهمه لأبعاد هذا الحديث ، فشدد على نفسه وغيره ، فضيقّ واسعاً !!!

* وأمّا عزّة الإسلام في مقاصده ومسائله : فهي مكتسبة من صحّة براهينه ، وقوتها ، والحكمة فيها ، فإذا قال : صدق ، وأيد صدقه بالحجّة ، مع بيان الحكمة ظهرت لنا أو لم تظهر ، قال تعالى : + هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ " (3) .

(1) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) من حديث أبي هريرة ؓ ، كتاب : (الإيذان) باب : الدين يسرٌ وقول النبي × أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ، (1 / 17) ، برقم (39) .

(1) : [الأنبياء : 107] .

(2) : [الصف : 9] .

فما أمر الإسلام بشيءٍ أو ندب إليه : إلا وفيه الخير والصلاح والنفعة للفرد والأمة ، وما نهى عن شيءٍ أو كرهه : إلا لعلمه سبحانه بضرره وعدم نفعه لعباده ، هذا مع ما يقتضيه كمال ملك الله لخلقه : من الأمر والنهي ...

فواجبٌ على العبد المطيع المُدعِن : الامتثال للأمر بالفعل والنهي بالترك ، فإذا ما فعل ذلك العبدُ المطيع : أعزه الله ﷻ بعزّة تمسّكه بالكتاب والسنة ، وما أمر الله أو نهى عنه فيهما .

* وأما عزّة الإسلام في نتائجه وآثاره : فهي ما يُنتجه ويُخرجه الإسلام من علماء وصالحين ، ودعاةٍ مُصلحين .

فهو مدرسة تُخرّج الصالحين المعتزّين بربهم وبنبيهم ودينهم ، ودعامة وقوّة إضافية تُضافُ لقوّة الإسلام وهيمنته على جميع الشرائع .

فكم أخرجت مدرسة الإسلام بتعاليمها كوكبةً من الصالحين العاملين ، الذين اعتزّوا بدينهم ، فسطّروا صُوراً من التضحية لأجله ، والتفاني في نصرته ، من لُدن الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا ، وهذه هي قوّة الصالحين وعزّتهم المستمدّة من دينهم .

كما أنّ الإسلام عزيزٌ في نفوس أتباعه ومعتنقيه ، بمعنى : أنّه إذا نزلَ على قلب المرء : أعزه ، ولو كان فيه من الذنوب ما كان ، فمجرّد الدخول في الإسلام عزّةٌ حقيقيّةٌ تُنبُعُ من عزّة الإسلام .

فإذا أفاض الله على قلبٍ من شاء من عباده : كانت له العزّة الكُبرى ، والكرامة العظمى ، وذلك لأنّ الإسلام تحريرٌ للإِنسانية من رِقِّ العبودية لغير الله ﷻ ، ومن رِقِّ الشهوات .

فإذا ما علمنا ذلك : علمنا عزّة هذا الدين ، وطبّقناها على أنفسنا ومن حوّلنا ؛ التمسنا لمسّ اليد لتلك العزّة بقدر علمنا وعمَلنا .

المظهر الثاني : (مظاهر عزّة المسلم) .

ومظاهر عزّة المسلم تدورُ حولَ ثلاثةِ وجوهٍ أيضاً :

الوجه الأول : مظاهر عزّة المسلم مع الله ﷻ .

الوجه الثاني : مظاهر عزّة المسلم مع نفسه .

الوجه الثالث : مظاهر عزّة المسلم مع غيره من جنسه .

* فمن عزّة المسلم مع ربّه ﷻ : أن يكونَ ذليلاً بينَ يديه ، مُسَلِّماً كلَّ الأمور إليه ، معترفاً بفضله ونعمته ، قائماً بشكرها ، مراقباً له في السرِّ والعلانية ، ذاكرةً مُخبئاً منيباً ضارِعاً أوهاً ... ، فإنَّ العبدَ كلما كان مُطيعاً كان محبوباً عند سيده ، وكلّما كان ذليلاً عنده كان عزيزاً كريم القدر .

وتكميل مقام الذلِّ للعزیز الرحيم هو حقيقة العبودية ، فإن الله سبحانه يُحبُّ من عبده أن يُكَمِّلَ مقامَ الذلِّ له ، كما ذكر ابن القيم (1) .

فمن حقَّقَ هذا المقام ؛ كساه الله ثوبَ عزِّه في الدنيا بالسعادة والطمأنينة والكرامة والأمان ، ومن أخلَّ بهذا المقام كان نصيبه منقوصاً من السعادة والكرامة ، ومن ترك هذا المقام فقد أعرض وخسر نفسه .

وأما في الآخرة : فسوف يجعل الله له من الدرجات العالية بقدر ما كان عليه من الذلِّ له .

ومن لوازم هذه العزّة : متابعة أمر الله ، واجتنابُ ما نهى عنه ﷻ ، وتحكيم شرعه بين الناس .

* وأما عزّة المسلم مع نفسه ، فتظهر في أمور ؛ منها :

(الاستعلاء على حطام الدنيا الفانية ومتاعها ، ح يث لا تُجبره على ترك واجب ، ولا تغريه بفعل ما نهى الله عنه من المحرمات ، أو اقتراف الشهوات والمنكرات .

وعدم السكوت على الضيم ، أو الركون إلى الضعف والهوان ،
والحذر من الضعف والاستكانة للأعداء ، وأن يكون لهم هيبة ورهبة في
قلوب أعدائهم حتى لا يتطاولوا أو يعتدوا عليهم في دينهم أو بلادهم (1) .

كما أن المسلم عليه أن يستقلّ بنفسه وبشخصيته ، فلا يعتمد على أحد
في رزقه ، بل يعتمد على الله ، ويجتهد ويتكسب من عمل يده ، كما أنه لا
يلجأ إلى المسألة ما دام قادراً قوياً .

وكذا يستقلّ بشخصيته ، فلا يقع في التقليد المقيت ، ولا يكون إمعة إن
أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء .

ومن أعظم تلك المظاهر : غنى النفس ، فقد قال * : « لَيْسَ الْغِنَى
عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ » (2) .

(فالمسلم سيد نفسه ، يكبح جماحها ، ويُسيطر على هواها ، فلا تحيد
عن الحق ، ولا تطمع في الباطل ، وتُملّي عليه شخصيته المعتدلة : أن
يتعفّف عن السؤال ومدّ اليد ، فاليد العليا خير من السفلى ، وأن يتعفّف
الموظف عن الوساطة في وظيفته ، فالكفاءة هي الميزان الحقيقي ، ويتنزّه
صاحب العمل عن الرشوة ، والتلميذ عن الإهمال والغش ، والتاجر عن
الجشع والخداع) (3) .

ومن مظاهر العزّة والغنى : القناعة ، بأن يؤثر المرء غيره على نفسه
في غير طاعة الله ، فقد ورد عن رسول الله * : « أَنَّهُ كَانَ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ
عَلَى تَمْرٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَى مَاءٍ . »

وهذا يُجسدُ حقيقة القناعة التي كان عليها رسول الله * ، وإيثاره لغيره
من الفقراء والمساكين ؛ لا أنه كان فقيراً ! بل كان عليه الصلاة والسلام غنياً
بما أعطاه الله ، وقد ورد عنه أنه كان أجود الناس ، وأجود ما يكون في
رمضان ، فكيف يكون فقيراً من كان جواداً ، فلا يستقيم هذا الحال إلا عن
طواعية واختيار منه * (4) .

(1) : ((الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب)) : لسعود بن عبد الله الحزيمي ، (3 / 1285 ، 1286) .

(2) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (4 / 197) ، كتاب : (الرقاق) ، باب : الغنى
غنى النفس ، برقم : (6446) .

(1) : ((الإسلام وبناء الشخصية)) لـ أ.د. أحمد عمر هاشم ، (33) .

(2) : الحديث المشار إليه أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (1 / 7) ، برقم : (6) ،
كتاب : (بدء الوحي) ، باب : حدثنا عبدان .

(كما أنّ المسلم الحق ليس ذليلاً ولا مُستضعفاً ؛ لأنّ دينه يأبى له الذلّة ولا يَرْضَى له الهوان ، بل يجعل العزّة حقّاً من حقوقه وسميّة من سمّاته

ومن هنا يفرض الإسلام على المسلم أن يحتفظ دائماً بعزّة نفسه ، والأبى يُفِرِّط في كرامته ، ولا يَرْضَى بالذنيّة والاستكانة ؛ فإن رضي بالهوان فقد انحرفَ عن طريق الإيمان الكامل ، كما يقول الرسول x : « من أعطى الذلّة من نفسه طائعاً غير مكرهٍ فليس منّا » (1) (2) .

* وأمّا عزّة المسلم مع غيره :

أمّا المسلم مع المسلم : فتكون عزته ظاهرة يوم أن يتدأّل لإخوانه المسلمين ويتواضع لهم ، ويُساعدهم ويخدمهم

وأمّا الكافر فلعلّي أتكلّم عن علاقة المؤمن به _ في ضوء موضوع العزّة _ من خلال جانبين :

الجانب الأول : العلاقة بين المسلم والكافر من حيث إظهار مبدأ العزّة ومظاهرها ، ففي هذا يُستفاد من القاعدة الفقهية : (الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه) وتطبيقاتها عند الفقهاء .

ومن هذه التطبيقات : (أنّه يُكرهُ للمسلم أن يقبلَ العمل الذي فيه إهانةٌ عند الكافر ، ومن الفقهاء من منعه . وكذا لا يجوز أن يُؤجر المسلم نفسه عند كافر لخدمته ؛ لأنّ فيه إذلالاً للمسلم وعزّاً للكافر ، والمسلم أعلى) (3) .

والمتأمل لواقع المسلمين اليوم ، يجد كثيراً ممّن اضطرتهم مصاعب العيش في بلدانهم أنهم يسافرون إلى بلاد الغرب من أجل العمل ، فهل يُقال لمثل هؤلاء أنهم أتوا على محرّم أو مكروه .

وبغض النظر عن المسألة والحكم فإن العلة واحدة وهي الابتعاد عن كل ما يُذل المسلم ، حفاظاً على كرامته .

(3) : أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) : (1 / 151) برقم (471) ، وقال الألباني في : ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) : (1 / 480) : ضعيف جداً ، برقم (310) .
(4) : ((شخصية المسلم في القرآن والسنة)) لـ د. مصطفى عبد الواحد ، (135) .
(1) : ((قاعدة الإسلام يعلو ولا يُعلَى .. دراسة تأصيلية وتطبيقية)) د. عابد محمد السفياني ، ضمن مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، (485) ، المجلد (13) ، العدد (22) ، ربيع أول 1422هـ - مايو / أيار 2001 م .

(وكذا يحرم ما يُسمى بزمانة الأديان ؛ لأن الأديان منسوخة بدين الإسلام ، كما أنّ اليهودية والنصرانية وغيرها مُبدّلة ، والزمانة تقتضي النّديّة والمساواة ؛ والإسلام أعلى .

ومثلها تحريم وحدة الأديان ، وهو الخلط بينها ، ولا يجوز خلط الإسلام وشرائعه بغيره من الشرائع والأديان ، فالإسلام أعلى (1) .

وأما عن علاقة المؤمن مع الكافر فلها مظاهر ، ومن مظاهر عزّة المؤمن فيها : أن لا يُقلّد الكافر لا في ملبسه ولا في مأكله ولا في أي شيء من شأنه أن يُشعر المرء بالدونية والتبعية المقيّنة ، أو انهزاز شخصيته الإسلامية وتمييعها ؛ ممّا يدلُّ على الإعجاب بما عند هذا الكافر (2) ، وقد قال نبينا محمدٌ × : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » (3) .

ومن مظاهر العزّة : إظهار ما يدلُّ على شخصية المسلم والتزامه بدينه ، كاعتزازه بأداء الفرائض في أوقاتها ، ولو في أماكن يُستنكف إظهار العبادات فيها كالمطارات الغربية ، وصلات الاجتماعات والمحاضرات في تلك البلاد ؛ خاصة أمام الأساتذة والمُشرفين ، فإنّ العزّة الإسلامية تقتضي أن يُظهر المرء ما يدلُّ على عزته ، والألّ يظهر للكافر ما يدلُّ على أنّه في مرحلة الدون ، ولو كان ذلك المسلم لا يقرأ ولا يكتب ، فكفى بالإسلام عزّة ورفعة له !

الجانب الثاني : مجالات هذه العلاقة من حيث ما يجب فيه الشدّة وما يجب فيه اللين ، ومن حيث ما يجب فيه البذل والعطاء ، وما يجب فيه المنع والإباء ، ومعرفة مقاصد الشريعة الحاكمة على ما يستحقه كل مجال .

ولعلنا أن نُقسم هذه المجالات _ من حيث الأشخاص _ إلى قسمين :

القسم الأول : (ما يتعلق بالأفراد) .

القسم الثاني : (ما يتعلق بجماعة المسلمين) .

(1) : ((قاعدة الإسلام يعلو ولا يُعلى)) : (487) .
 (2) : ولا يعني هذا الكلام أن لا يستفيد المسلمين من الغرب الكافر ؛ ولكن فيما يعود بالنفع ، وعدم تمبيع أو ذوبان الهوية الإسلامية .
 (3) : أخرجه أبو داود في ((سننه)) : (391 / 4) ، برقم (4027) ، كتاب : (اللباس) ، باب : في لبس الشهرة ، وصحّحه الألباني في : ((صحيح سنن أبي داود)) : (503 / 2) برقم (4031) .

فمن أمثلة القسم الأول : المساواة بين أفراد المجتمع ، وتَحقيق العدل بينهم من خلال إقامة روح العدالة والأخذ على يد الظالم ، وإلغاء قضايا الوساطة المحرمة التي تمنع المستحقّ من حقّه ، والمؤهل لمكانه .

ومن أمثلة القسم الثاني : ما ذكره الفقهاء من دفع المال للدولة الكافرة القوية من أجل الحفاظ على أعراض المسلمين _ في ظلّ ضعفهم _ ، وحمايتهم من عدوّ غاشمٍ أو دُول كافرةٍ أخرى ؛ فإن هذا من شأنه أن يُحقّق للمسلمين مصلحةً كبرى تدرج تحت مقصدٍ عظيمٍ من مقاصد الشريعة الإسلامية ، وهو (مبدأ حفظ الدين والعرض والمال) فرحم الله فقهاء الإسلام .

يقول الطاهر ابن عاشور : (ولم يبقَ للشكِّ مجالٌ يُخالج به نفس الناظر في أن أهم مقصدٍ للشريعة من التشريع : انتظام أمر الأمة وجلب الصالح إليها ، ودفع الضُرِّ والفساد عنها ، وقد استشعر الفقهاء في الدين كلهم هذا المعنى في خصوص صلاح الأفراد ، ولم يتطرقوا إلى بيانه وإثباته في صلاح المجموع العام ؛ ولكنهم لا يُنكر أحدٌ منهم أنه إذا كان صلاح حال الأفراد وانتظام أمورهم مقصدًا للشريعة ، فإن صلاح أحوال المجموع ، وانتظام أمر الجماعة : أسمى وأعظم ...

فعلينا أن نتخيّل الأمة الإسلامية في صورة الفرد الواحد من المسلمين ، فنعرض أحوالها على الأحكام التشريعية ، فهناك يتضح لنا سبيل واضحة من الإجراء التشريعي في أحوال الأمة) (1) .

(1) : ((مقاصد الشريعة الإسلامية)) للعامة : مُحمد الطاهر بن عاشور ، (134 ، 135) بتصرف يسير .



المطلب الأول

وَسَائِلُ تَحْقِيقِ الْعِزَّةِ

تمهيد

إنّ الله سنناً كوزنيّة لا تُحابي أحداً برّاً كان أو فاجراً ، وهي لا تقبل التبديل والتحويل ، قال تعالى : **+ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٧﴾** " (1) ؛ فهي قوانين ثابتة تحكّم حركة هذا الكون وما فيه .

كما أنها (لا تخضع لرغبات الناس وأمانيتهم وأحلامهم ، فقد جعل الله للعزّة أسباباً ، وللذلّ أخرى ، وما من سببٍ من أسباب العزّة إلّا دلّنا عليه ، ودعانا إليه ، ورغبنا فيه ، وأثابنا عليه ، وبيّن لنا نتائجه وأثره على أنفسنا ، وعلى من سبق من الأمم قبلنا .

وما من سببٍ من أسباب الذلّ والهوان إلّا حدّرنا منه ، وأمرنا باجتنابه ، وأظهر لنا خطورته ، وسوء عاقبته في أنفسنا ، وفي الأمم التي خلت من قبلنا ، قال تعالى : **+ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾** " (2) . (3)

لذلك كان لزاماً على الحاذق الذي يرى الحقائق بعين البصيرة قبل عين البصر ؛ أن يسعى لتحقيق الأسباب التي تُوصله إلى نوال العزّة على نفسه ، ومن ثمّ الأُمَّة بأسرها تُعزّزُ بعزّة مجتمعاتها ؛ ولكن قبل معرفة تلك الوسائل لابدّ من تعريف معنى الوسيلة لغة ، والمقصود بها في مجال العزّة .

تعريف الوسيلة في اللغة :

الوسيلة في أصل اللغة : هي الرغبة والطلب ، قال ابن فارس : (الواو والسين واللام كلمتان متباينتان جداً .

(1) : [الأحزاب : 62] .

(2) : [الأنفال : 53] .

(3) : ((مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير)) : لعبد الحميد ابن باديس ، تحت عنوان : إرشاد واستنهاض ، (165 ، 166) .

الأولى: الرغبة والطلب ، يُقال **وَسَلَّ** : إذا رَغِبَ ، و **الوَاسِلُ** : الراغب إلى الله ﷻ ، وهو في قول لبيد :

بَلَى كُلُّ ذِي دِينٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ .

ومن ذلك القياس : الوسيلة .

والأخرى : السرقة ، يقال : أخذ **إِبْلَهُ تَوْسُلًا**) . (1)

كما ترجع إلى معنى القربة ، أو ما يُتوصلُ به إلى الشيء ، كما جاء في اللسان (2) ، وغيره .

وهذا هو المعنى الذي يتناسب مع موضوعنا ، فيكون المعنى هنا : (كلُّ ما كان فعله سبباً أو طريقاً يُتوصل به إلى تحقيق العزّة) .

وعلى هذا تدخل الوسيلة المعنوية في بحثنا ، كما أنّ الوسيلة المادية داخله من باب أولى .

ولعلّي أتعرضُ في هذا المبحث لعددٍ من وسائل العزّة الحسيّة والمعنويّة من خلال إمكانية تطبيقها على الفرد والمجتمع ، التي من شأنها أن تقوم بدور التربية للفرد ومن ثمّ المجتمع بأسره على هذا الخلق العظيم ، الذي نحتاجه أمتنا في هذه الأزمان .

وسيكون تدارس هذا المبحث من خلال جانبين :

الجانب الأول : وسائل العزّة الفرديّة .

الجانب الثاني : وسائل العزّة الجماعيّة .

وضابطُ ذِكر هذين الجانبين : أن يُكرّ تحت العزّة الفرديّة كل وسيلة منشأها الفرد وإن كانت بعد ذلك جماعية ، وأمّا الجماعية فهي كونها مُختصة بها دون الفرد .

مع التنبيه على أنّ بعض الوسائل تختلف عن بعضها من حيث الحكم الشرعي ، فأقول مستعيناً بالله :

(1) : ((مقاييس اللغة)) لابن فارس : (6 / 110) ، مادة (وسل) .

(2) : ((لسان العرب)) : (9 / 305) ، مادة (وسل) .

الجانب الأول : (وسائل العزّة الفردية) .

الوسيلة الأولى : (الإيمان بالله)

الإيمان بالله هو المحرك الأصيل للنفس لاكتساب كل خلق محمود ، وخاصةً خلق العزّة الذي يُعتبر صفة نفسية داخلية المنشأ في الأساس .

والنفس في أصل خلقها ضعيفة ، قد ينتابها الخطرات والوساوس ، وفعل المعاصي ، ومساوى الأخلاق ؛ لذلك رتب القرآن الأجر والهداية والتوفيق على من جاهد نفسه ، قال تعالى : **+ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾** " (1) ، ومعلوم أن المجاهدة تدل على الإيمان الذي يصدر من قلب صاحبها .

والعزّة الحقيقية هي صينو الإيمان في قلب المؤمن ، (وقد أمر الله ﷻ المؤمنين بأن يجعلوا حبّ الله ﷻ ورابطة العقيدة فوق القرابة وفوق كل اعتبار ، قال الله ﷻ في كتابه الكريم : **+ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ؕ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٢﴾** " (2) (3) .

فالعزّة منبعها هو الإيمان بالله ؛ لأنها صادرة منه ﷻ ، وكَم ضَرَبَ لَنَا رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أروع الأمثلة وأصدقها ، سواءً أكانت على مستوى العزّة الفردية أو الجماعية .

فرسول الله ﷺ قد عرَضَ عليه بنو قومه في بداية الإسلام ، مع قلّة العدد والعدّة ، واتخاذ سياسة الضغط عليه عن طريق عمه أحب الناس إليه آنذاك : أن يتخلّى عن وظيفته في الدعوة إلى الله ﷻ وتوحيده ، وأن لا يشتم أهتهم ويتركهم وشأنهم ، في مقابل عروض هي في زماننا _ بل وزمانهم _ من المغريات .

(1) : [العنكبوت : 69] .

(2) : [التوبة : 23] .

(3) : ((من لطائف التفسير)) لأحمد فرح عقيلات ، (1 / 483) بتصرف يسير .

عرضوا عليه أن يُعطوه مالا يكون به من أغنياهم ، و عرضوا عليه حرية اختيار ما يشاء من النساء النسيبات ، وهو سيكون رفيع المنزلة ، عظيم الجاه ، مسموع الكلمة عندهم .

فهل استجاب حبيب رب العالمين * لهذه المغريات ؟ ! لقد قال كلاماً خالداً سطرته كتب التاريخ : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ؛ ما تركته ، ثم استعبر رسول الله * فبكى ثم قام . (1)

من فوائد هذه القصة :

1- وهو من عجائب هذه الكلام البليغ : أنه (خصّ الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخصّ القمر بالشمال لأنها الآية المحوطة ، وخصّ رسول الله النبيين حين ضرب المثل بهما لأن نورهما مَحسوس ، فالنور الذي جاء به من عند الله _ وهو الذي أرادوه على تركه _ هو لا محالة أشرف من النور المذكور ، قال الله ﷻ : + يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٥١﴾ " (2) .

فاقتضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الأعلى أن يُقَابَلَهُ بالنور الأدنى ، وأن يَخَصَّ أعلى النبيين وهي الآية المبصرة بأشرف اليبدين وهي اليمنى ، بلاغة لا مثلها ، وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها) . (3)

2- ظهور مبدأ العزّة والعظمة والكرامة التي كان عليها رسول الله * ، وأنّ هذه العزّة إنّما نَبَعَتْ من قلب مليء إيماناً بالله تبارك وتعالى ، والتفاني في محبته ، والشعور بالمسئولية العظيمة الملقاة على عاتقه من أمر الدعوة .

كما أنّ الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كان لهم في ذلك قصبُ السبق ، فالصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي ﷺ يَضْرِبُ لنا أروع الأمثلة على اعتزازه بدينه ، عندما أُسِرَ من قِبَل جيش الروم هو ورفاقه

(1) : ومن كتب السير التي ذكرت تلك القصة : ((تاريخ الطبري)) : (2 / 326) ، وانظر : ((سبل الهدى والرشاد)) : (2 / 437) .
(2) : [الصف : 8] .
(1) : ((الروض الأنف)) : (2 / 8) .

وكان على رأس تلك السريّة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد أتى به إلى ملك الروم فقالوا له : (إن هذا من أصحاب محمد . فقال : هل لك أن تنتصر وأعطيك نصف ملكي ؟ قال : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما تملك ، وجميع ملك العرب ، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين .

قال : إذا أقتلك . قال : أنت وذاك .

فأمر به ، فصرّب ، وقال للرماة : ارموه قريباً من بدنه ، وهو يعرض عليه ، ويأبى ، فأنزله .

ودعا بقدر ، فصبّ فيها ماءً حتى احترقت ، ودعا بأسيرين من المسلمين ، فأمر بأحدهما ، فألقى فيها ، وهو يعرض عليه النصرانية ، وهو يأبى ، ثم بكى .

فقيل للملك : إنه بكى ! فظن أنه قد جزع ، فقال : ردوه . ما أبكاك ؟ قال : قلت : هي نفس واحدة تُلقي الساعة فتذهب ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفُس تُلقي في النار في الله .

فقال له الطاغية : هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك ؟ فقال له عبد الله : وعن جميع الأسارى ؟ قال : نعم . فقبل رأسه .

وقدم بالأسارى على عمر ، فأخبره خبره . فقال عمر : حقٌّ على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة ، وأنا أبدأ . (1)

فيا عجباً من ذلك الإيمان الذي جعله يصبرُ على كلِّ هذه المحنِّ والمغريات ، بل وجعله يسمو ويرتفع بعزّته وإسلامه ، فالإسلامُ يعلو ولا يُعلَى عليه ، وكذا المسلم فهو يعلو بإسلامه .

وكم تحتاجُ الأمةُ _ بمجموعها وأحاديها _ لأفرادٍ يحملونَ مثلَ ذلك الإيمان الذي هو أساس العزّة ومنبعها ، لكي تُزيّلَ عُبارَ الدُلِّ عن ذاتها ، ويَزولَ بدوائها دايها .

إنَّ الإيمان هو الذي يدفعُ المؤمن أن يُقدِّمَ جسدهُ وماله ورُوحَهُ ابتغاءَ مرضاة الله تعالى ، قال الله تعالى : + إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصّٰدِقُونَ ﴿١﴾ .

وهذا الإيمان يُعتبرُ القوة الإيجابية التي تجعل المؤمن يتغلب على
الأزمات والشدائد ويتخطى العقبات ويقتم الحواجز ... ، قال خالد بن الوليد
لأهل قنسرين (2) حينما ذهب لفتحها فتحصنوا منه : إنكم لو كنتم في
السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا ، ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه .
(3)



(2) : [الحجرات : 15] .

(1) : (قنسرين) بكسر القاف أو فتحها ، مع تشديد النون وكسرها : بلدٌ من بلاد الشام وجنّدٌ من
أجنادها ؛ لأنّ (الشام خمسة أجناد : دمشق ، وحمص ، وقنسرين ، والأردن ، وفلسطين ؛ يقال
لكل مدينة منها جنّد) . ((لسان العرب)) : (3 / 132) ، وانظر ضبطها في ((اللسان)) : (5 /
118) ، وهي الآن تقع في الجنوب الغربي من حلب ، على بعد ثلاثين كيلو متراً ، وليس ثمة أثر
لمدينة ؛ إنّما هي تلال عالية من التراب . هي أطلال تلك المدينة العظيمة وقد طمرتها الأتربة .
المرجع (من تاريخ قنسرين) علي جمعة الخويلد .

(2) : ((وسائل النصر من القرآن والسنة)) للدكتور : محمد جمعه عبد الله ، (72) .

الوسيلة الثانية : (تعلم العلم والعمل به)

لا شك أنّ للعلم فضائل عديدة ومزايا فريدة ؛ ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم ، وذكرها رسوله ﷺ من خلال سنته .

ولكن من أعظم تلك الفضائل : أنّ العلم الصحيح الذي يدلُّ على الخير والنفعة : يقود إلى الرفعة والعزّة والكرامة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : +
يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " (1) ، ففي هذه الآية دلالة واضحة على رفعة أهل العلم ، فالمؤمن الجاهل ليس كالمؤمن العالم ، والمؤمن الذي اتقى الجهل بدرع المعرفة والعلم ليس كغيره ؛ لأنّ (إيقاع الظاهر موقع المضمّر في هذه الآية ، يُفيدُ فضيلة الإيمان والعلم عموماً ، وأن بهما تحصلُ الرفعة في الدنيا والآخرة) (2) .

قال ابن حجر في ((فتح الباري)) (3) : (قيل في تفسيرها : يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل ؛ إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترتفع الدرجات ، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا : بعلو المنزلة وحسن الصيت ، والحسية في الآخرة : بعلو المنزلة في الجنة) .

ويقول ابن علان الشافعي (4) : (أي : ويرفع الله العلماء منهم خاصة درجات ؛ بما جمعوا من العلم والعمل) (5) .

(1) : [المجادلة : 11] .

(2) : ((المواهب الربانية من الآيات القرآنية)) للشيخ : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، (103) .

(3) : ((فتح الباري)) : (1 / 141) .

(1) : هو محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ، مفسر ، عالم بالحديث ، من أهل مكة ، له مصنفات ورسائل كثيرة ، منها : ((شرح قصيدة ابن الميلىق وقصيدة أبي مدين)) ، وثلاثة تواريخ في (بناء الكعبة) و ((دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)) ثمانية أجزاء ، في شرح ((رياض الصالحين)) للنووي ، توفي عام : (1057) . ((الأعلام)) : (293 / 6) بتصرف .

(2) : ((دليل الفالحين)) : (4 / 138) .

(وقال تعالى : + وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٣٦﴾ " (1) ، وفيه أدلّ دليل على

نفاسة العلم ، وعلو مرتبته ، وفرط محبة الله تعالى إيّاه ؛ حيث أمر نبيه
بالازدياد منه خاصة دون غيره ، وقال قتادة : لو اكتفى أحدٌ من العلم لاكتفى
نبي الله موسى عليه السلام ، ولم يقل : + هَلْ أَتَّبِعَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا
عَلِّمْتَ رُشْدًا ﴿١٣٦﴾ " (2) . (3)

وقال أبو هلال العسكري (4) : (وإن كنت _ أيها الأخ _ ترغب في
سمو القدر ، ونباهة الذكر ، وارتفاع المنزلة بين الخلق ، وتلمس عزاً لا
تَلْتَمُهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا تَتَحَيَّفُهُ الدُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ ... : فعليك بالعلم) . (5)

ولكنّ العلم الرباني المعني هنا : هو العلم بالله ﷻ وما تفرّع عنه (6)
، بشرط الإخلاص لله فيه ، لا يُريد به صاحبه شيئاً من عرض الدنيا ؛ هو
الذي يُوصل للعزّة المنشودة ، فإنّ العوارض تقطع عن الطريق ، وكَمِ مِنْ
سَالِكِ سَبِيلِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ قُطِعَ بِسَبَبِ الْعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ !!! فَأَخْلَصْ _ يَا
طَالِبَ الْعِلْمِ _ يُخْلِصْ لَكَ ، (فالإخلاص هو سبيل الخلاص) . (7)

والعلم المذكور لا ينفع صاحبه إلا إذا أتبعه من العمل وإتقانه بقدر ما
عنده من العلم .

(3) : [طه : 114] .

(4) : [الكهف : 66] .

(5) : ((التفسير الكبير)) : (173 / 2) .

(6) : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، اللغوي الأديب ، أبو هلال
العسكري ، تلميذ أبي أحمد العسكري ، له تفسير في خمس مجلدات ، وله كتاب ((الأوائل)) ،
وكتاب ((الصناعتين)) في النظم والنثر ، وكتاب ((الأمثال)) ، و ((شرح الحماسة)) ، وغير
ذلك ، وكان عالماً عفيفاً يتبذّر احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ، وكان الغالب عليه الأدب
والشعر ، مات بعد الأربعمئة . انظر ((طبقات المفسرين)) : (97 ، 98) ، و ((الأعلام)) :
(196 / 2) بتصرف .

(7) : ((الحث على طلب العلم)) لأبي هلال العسكري ، (48) .

(1) : وممّا يتفرّع منه : باقي أركان الإيمان الستة (كالإيمان بالملائكة والرسل الكرام ،
والإيمان بالقدر خيره وشره) .

(2) : هذه المقولة مضمّنة من كلام ابن القيم في ((مفتاح دار السعادة)) : (277 / 1) .

قال الفضيل بن عياض : (عالمٌ عاملٌ مُعلّمٌ : يُدعى كبيراً في ملكوت السماوات) . (1)

ولعلّ الحكمة من رفعة مقدّار أهل العلم عند الله وخلقِهِ : هو كونُ العالمِ كلّما ازداد في علمه ؛ ازداد في تواضعه .

فالازدياد في العلم _ على خَيْرٍ لا على بَلْوَى وفِثْنَةٍ _ : يُورث التواضع والنزول ، والرفعة والعزّة لا تقعُ إلا بالنزول والتواضع .

(فمن أراد الرفعة : فليتواضع لله تعالى ، فإنّ العزّة لا تقعُ إلا بقدر النزول ؛ ألا ترى أنّ الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعدَ إلى أعلاها ، فكأنّ سائلاً سألهُ : ما صعد بك هاهنا ، أعني في رأس الشجرة وأنت قد نزلت في أصلها ، فكانَ لسان حاله يقول : من تواضع لله رفعَهُ اللهُ) . (2)

و نطلبُ _ نحن المسلمين _ من العلم التجريبي ما يقودنا إلى التمكن في الأرض ، والأخذ بناصية التقدّم ، ويكون من أسباب القيادة الفعلية لدين الإسلام في الأرض ؛ فهذا العلم يعتبره الإسلام كذلك من أسباب تحصيل العزّة .

كما أنّ العلم يخدم مقاصد الإسلام ، فليس العلم في الإسلام تمرّداً على القيم والفطرة ؛ ولكنّه العلم الذي يربط الإنسان المسلم بخالقه ﷻ ، ويجعل من هذا العلم وسيلة لمعرفة وعبادته وخشيته ﷻ ، قال تعالى : + إِنَّمَا سَخِّشَى

اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلَّمْتُمُوهُنَّ " (3) .

فكم هم الذين أوصلهم علمهم التجريبي ، وعلمهم المتصل بالكون ومفرداته : بالله ﷻ ، فعرفوه بذلك ، وترسّخت خشيته في نفوسهم ، فخافوه سبحانه ، وعبدوه على ضوء هذا الخوف ، ودعوا إليه من أجل ذلك ؛ فأحسنوا إلى أنفسهم وغيرهم من الخلق .

(3) : الأثر أخرجه الترمذي في ((جامعه)) برقم : (2685) في كتاب (العلم) ، باب : ما جاء في فضل العلم على العبادة .

(1) : ((حاشية الخرشى على مُختصر سيدي خليل)) لمحمد بن عبد الله بن علي الخرشى المالكي ، (1 / 98 ، 99) .

(2) : [فاطر : 28] .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (ليس العلم بكثرة الرواية ؛ إنّما العلمُ : الخشية) (1) ، فعلمٌ بلا خشيةٍ كجسدٍ بلا رُوح ؛ لأنّ الخشية هي الدافعة على امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، والبعد عن الشبهات ، والورعُ عمّا يُخشى ضررُهُ في الآخرة ، والزهدُ في الدنيا الفانية ...

فالعلم نورٌ للقلوب والبصائر ، كما أنّ الضياء نورٌ للأبصار ، وهو شرفٌ في الدنيا والآخرة لمن يأخذه بحقّه _ كما سبق _ ، قال النضر بن شميل (2) : (من أراد أن يشرف في الدنيا والآخرة فليتعلم العلم ، وكفى بالمرء سعادةً أن يوثق به في دين الله ، ويكون بين الله وبين عباده) . (3)

إنّ العلم الخالص ، والعمل به ، ونشره بين الناس : يُربي في قلب العالم وطالب العلم العزّة والأنفة من غير ظلم ، والكرامة والشرف من غير تعدٍّ ؛ فتري العالم وطالب العلم من أرفع الناس على إذلال أنفسهما لغير الله عز وجل ، لا في المال ، ولا في طلب الحوائج ، فنراه يقنّع بما رزقه الله ، ويزهد عمّا في أيدي الناس .



(3) : أخرج الأثر : أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) : (1 / 131) ، والغزالي في ((الإحياء)) : (1 / 92) .

(1) : هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي ، أبو الحسن : أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ، ورواية الحديث وفقه اللغة، من كتبه ((الصفات))، و ((كتاب السلاح))، و ((المعاني)) ، و ((غريب الحديث)) ، و ((الأنواء))، توفي سنة (203 هـ) . ((الأعلام)) : (8 / 33) بتصريف .

(2) : ((مفتاح دار السعادة)) : (1 / 501) .

الوسيلة الثالثة : (طاعة الله تبارك وتعالى ، والأنس به)

إنّ الأنس بالله تعالى من أعلى المراتب المراد تحقيقها لمن أراد القرب من الله ﷻ ، وهو إنّما ينبعث عن المحبة التي تُخالط دم المُحبِّ ولحمه ، فإذا التهبت أحشاؤه بمحبة الله سبحانه ، ووصل في محبته إلى أنه لا يستطيع أن يسأل طرفة عين عن تذكّره والتفكر فيه ؛ فعندها يُصبح أنسه هو ذكر محبوبه وهو الله ﷻ ، فلا راحة له ولا نعيم أعظم عنده من اللحظات التي يستأنس فيها بحبيبه والاشتغال به عن كل شيء .

قال ابن القيم : (ومقام الأنس جامعٌ لمقام الحبِّ مع القرب ، فلو كان المُحبُّ بعيداً من محبوبه لم يأنس به ، ولو كان قريباً من رجل ولم يُحبّه لم يأنس به حتى يجتمع له حبه مع القرب منه) (1) .

فلهذا ترى قلب المؤمن الصادق يفرُّ من التعلق بغيره ﷻ ، ويهرب من الانشغال بسواه ؛ لأنَّ حبيبه الذي يأنس به أغناه عن كل ما سواه ، ومن ثمَّ يتحقّق لأهل الأنس بالله تعالى من العزّة والكرامة العظيمة الشيء الكثير ؛ لأنهم استغنوا عن الخلق ، ولم يتعلّقوا بهم ، ولم يلتفتوا إليهم ، ومن استغنى عن الخلق : عزّ .

وعليه : فإنّ المؤمن الذي يأنس بالله تعالى وطاعته تستوي عنده كل الأمور ، فالمنع والعطاء لا فرق بينهما عنده ، والعافية والبلاء على حدّ سواء لديه ما دام أنه مع محبوبه ؛ بل يرى أن البلاء الذي هو أعظم من كل بلاء أن ينقطع عن حبيبه ويذهب عنه الذي كان يجده .

فمن حقّق هذه المعنى وهو الأنس بالله الذي هو ثمرة محبته تعالى ؛ فإنه يشعُر بعزّة عظيمة ، ويحقّق أسمى معاني العزّة التي يسعى الناس لتحصيلها ؛ ولذلك قال إبراهيم بن أدهم (2) : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالّدونا عليه بالسيوف (3) ، قال ابن القيم : (فأطيب ما في الدنيا معرفته سبحانه ومحبته ، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الأرواح وبهجة القلوب ونعيم الدنيا وسرورها من

(1) : ((مدارج السالكين)) : (1 / 137) .

(1) : هو إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمي البلخي أبو إسحاق : زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ ، فتفقّه ورحل إلى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز ، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة ، توفي سنة (161 هـ) . ((الأعلام)) : (1 / 31) بتصرف .

(2) : ((حلية الأولياء)) : (7 / 370 ، 371) .

اللذة القاطعة عن ذلك تنقلب آلاماً وعذاباً ويبقى صاحبها في المعيشة الضنك فليس الحياة الطيبة إلا بالله وكان بعض المحبين تمر به أوقات فيقول إن كان أهل الجنة في نعيم مثل هذا إنهم لفي عيش طيب وكان غيره يقول لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجدونا عليه بالسيوف (1) .

فإن صحبة العزيز ﷺ تُورث العزّة ، ولا تكون إلا بالذکر ، والخوف منه ، والطاعة له ، والطاعة تُورث العزّة ، وهذا المعنى جاء على لسان بعض السلف الصالح ، فقد جاء في ((حلية الأولياء)) (2) مسنداً عن علي بن بكار (3) أنه قال : صحبت إبراهيم ابن أدهم وكثيراً ما كنت أسمعه يقول يا أخي :

اتَّخِذِ اللَّهَ صَاحِبًا *** وَذَرِ النَّاسَ جَانِبًا

ومن صحب ربه بالطاعة والإنابة أورثه ذلك عزاً يجد آثاره في نفسه بالأنس والسرور والانشراح والطمأنينة ، وكذلك في جسده بالسلامة والعافية والبشر والوضاءة ، ويجد أثر ذلك أيضاً فيما حوله من التسخير والمحبة والخدمة ؛ لأن الله ﷻ أبى إلا أن يعز من أطاعه ويذل من عصاه .

وكم كان الأئمة من السلف الصالح يُطلقون عبارات في مثل هذا المجال ، قال ابن رجب (4) : (ومن حفظ الله في صباه وقوته ؛ حفظه الله في حال كبره وضعف قوته ، وامتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله .

(3) : ((الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)) لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، (168) .

(4) : ((حلية الأولياء)) : (10 / 8 ، 11) .

(5) : هو علي بن بكار البصري ، أبو الحسن الزاهد ، سكن طرسوس والمصيصة مرابطاً ، وذكره ابن حبان في الثقات ، قال ابن سعد : كان عالماً فقيهاً ، توفي بالمصيصة سنة : 208 هـ . ((تهذيب التهذيب)) لابن حجر (245 / 7) ، وانظر ((طبقات ابن سعد)) : (490 / 7) ، و ((معرفة الثقات)) للعجلي : (200 / 1) ، ووثقه النسائي كما في ((سير أعلام النبلاء)) : (7 / 388) = قال أبو عبيد البكري في ((معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع)) : (4 / 1235) : المصيصة : بكسر أوله ، وتشديد ثانيه ، بعده ياء ، ثم صاد أخرى مهملة : ثغر من ثغور الشام ، معروفة . قال أبو حاتم : قال الأصمعيّ : ولا يُقَلّ مصيصة ، بفتح أوله . وطرسوس _ بفتح أوله ، وإسكان ثانيه ، ((معجم ما استعجم)) : (890 / 3) _ وهي الآن مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط في منطقة مرسين . انظر ((الأطلس الجغرافي الحديث)) : (82) ، و ((الأطلس المدرسي)) : (100) .

(1) : هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي ، أبو الفرج ، زين الدين : حافظ للحديث ، من العلماء ، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة (795 هـ) ، من كتبه : ((شرح جامع الترمذي)) و ((جامع العلوم والحكم)) ، وهو المعروف بشرح الأربعين . انظر : ((الأعلام)) : (295 / 3) بتصرف .

وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله ، فوثب يوماً وثبة شديدة فعوتب في ذلك فقال : هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر . وعكس هذا أن بعض السلف رأى شيخاً يسأل الناس فقال : إن هذا ضيع الله في صغره فضيعة الله في كبره (1) .

كما جاء في ((تاريخ دمشق)) : (كان عامة دعاء إبراهيم بن أدهم : اللهم انقلني من ذلّ معصيتك إلى عزّ طاعتك) . (2)

وما ذلك إلا لأنّ للطاعة آثار كما أنّ للمعصية آثار ، وهذه الآثار منها ما هو معنويٌّ : كالطمأنينة والآنس والفرح ومحبّة عبده الله له .. ، ومنها ما هو حسّيٌّ : كالوضاءة في الوجه ، وحفظ الجوارح ..

وهذه الصحبة ينتقل العبدُ فيها بين العبادات ، من خلوّة وعزلة لإقامة الذكر ، والصلاة ، والصيام ، وقراءة القرآن ، والإنابة ، والخشية ، والتضرع والدعاء ، حتى ينال العزّة والكرامة من الله ﷻ .



(2) : ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 466) والقصة لأبي الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري الشافعي ، المتوفى سنة (450) عن عمر يزيد على المائة . انظر تحقيق الكتاب السابق .

(1) : ((تاريخ مدينة دمشق)) : (6 / 335) .

الوسيلة الرابعة : (تدبّر القرآن الكريم ، ومعايشته ، والعمل به)

لقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم من أجل القراءة والتدبّر ، فالتدبّر هو المقصود أصالة من الإنزال ، ولا شكّ أنّه يقودُ إلى العمل ، قال تعالى : + كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ (1) ، فالتذكر يكون بالتدبر .

ولن يُتدبر القرآن الكريم إلا بعد فهم معانيه ، ولذلك قال سعيد بن جبير : (من قرأ القرآن ثم لم يُفسره : كان كالأعمى أو كالأعرابي) . (2)

(والتدبر عند أهل اللغة هو التفكير ، لذا نستطيع أن نقول أن التدبر هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة) . (3)

وعليه : فإن تدبر الكتاب العزيز ، والعمل بما جاء فيه : يقودُ إلى العزّة ؛ لأنّ المسلم الذي يمتثلُ وأمر القرآن ويجتنبُ نواهيه ، ويتأثر عند مواعظه وقصصه ... الخ : يُعتبرُ أنموذجاً للقرآن يمشي على الأرض ؛ ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : كان خلقه القرآن . (4)

قال في ((فيض القدير)) : (أي ما دلّ عليه القرآن من أوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده إلى غير ذلك وقال القاضي : أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن ، فإن كل ما استحسنته وأثنتي عليه ودعا إليه فقد تحلى به ، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلي عنه ، فكان القرآن بيان خلقه) (5) .

فكيف لا ينشأ على العزّة من يقرأ القرآن كل يومٍ مع فهم معانيه والعمل بها ، فالقرآن يدعو إلى العزّة والعفة والعفاف والتقوى والصبر

(1) : [ص : 29] .

(2) : ((جامع البيان)) : (1 / 36) .

(3) : ((قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ)) لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، (10) ، بتصرف

(4) : الحديث أخرجه أحمد في ((مسنده)) : (42 / 183) ، برقم (25302) ، والبخاري في ((الأدب المفرد)) : (111) في باب من دعا الله أن يُحسن خلقه ، برقم (308) ، ومعناه في ((صحيح مسلم)) : (1 / 432) ، في كتاب : (صلاة المسافرين وقصرها) ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض . وصحّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) : (2 / 872) ، برقم (8411) .

(1) : ((فيض القدير)) : (5 / 216) .

والتواضع والقوّة والنُصْرَة .. وغيرها والتي من شأنها أن تُعلّقَ على المسلم
وسامَ العزّة والرفعة والسمو .



الوسيلة الخامسة : (قراءة السيرة النبوية ، وسيرة السلف الصالح)

إن قراءة السيرة عموماً وسيرة النبي * خصوصاً ، والوقوف مع كل موقف عظيم ، والتأمل لكل حادثة جليلة في طيات السيرة للهجمات الشامخة أهل العزة والبطولة والشرف العظيم لمن الركائز الأساسية لنيل العزة .

فقراءة التاريخ تزيد الإنسان عقلاً إلى عقله ، وتفريده رشداً إلى رشده ، ويتعلم من الأحداث التي مرّت عبر القرون الغابرة ، فيقف أمامها وقوف المستفيد للعبير ، والمستنبت للأخلاق السامية والفعال الحميدة التي تؤدي إلى نيل المراتب العلية ؛ فإن التاريخ يُعيد نفسه ، ومن تعلم من التجارب استفاد في نفسه .

وكم ا هو معلوم فإن أشرف سير البشرية قاطبة وأجلها وأعزها وأحكمها سيرة سيد الخلق رسول الله * ، فكل لحظة في سيرته الشريفة هي منهج سامٍ للوصول إلى العزّة ، وكل حدّثٍ وموقفٍ هو أكبر معلمٍ يُربي على رفع الهمة إلى القمم العالية الرفيعة .

فإذا تأملنا في سيرة النبي * مثلاً كيف أنه في بدايته كان همّه تبليغ دعوة الله إلى سائر الأمم مع أنه في بيئة ظالمة حاقدة تسعى إلى إطفاء نور الله ؛ ولكنه لم يصدده ذلك عن مواصلة مسيرته الربانية ، وهي المسيرة التي كانت عزّة له * في الدنيا وفي الآخرة .

وكما هو مُسَطَّر في دواوين السير عنه * أنه ما كان يَخضع لأيّ أحد غير الله ، ولم تعقه العقبات العسيرة عن وصول القمة ، عندما أراد قومه أن يفتنوه عن أمره ، فمرة بالترغيب يعرضون عليه الأموال والملك والرئاسة فيأبى بعزته التي لا تبلغها عزّة أي مخلوق كان ، ومرة بالترهيب والتعذيب واضطهاده مع أصحابه ﷺ ، فما طمع في عطائهم ، ولا خاف من تهديدهم ، فخرج من بين أظهرهم فرداً وحيداً مُعرضاً عن إغراءاتهم ، فلم يلبث أن أدخله الله عليهم عزيزاً فاتحاً للبلاد الذي طرد منه ، وجيوشه قد ملأت الأرض حينها عزّة ونصراً مُبيناً .

إنه موقفٌ بحدّ ذاته يعكس أسمى صور العزّة والرفعة ، فلن نجد أشرف وأعز من تلك المواقف .

فيمثل هذه الوقفات ينبعث لدى الإنسان روح طلب العزّة والسعي في تحصيلها ، والتي لن تتجلى إلى بتطبيق ما ورد في سيرته * ، فهي العزّة حقًا وصدقًا .

وكان * لا يرضى أن يُذلَّ الإسلام عن طريقه أو طريق غيره ، وقصته مع كفار قريش سبق فيها هذا المعنى ، حتى إنّه لا يقبل دخول فكرٍ وأمرٍ من أمور الجاهلية من شأنه : نزع وحدة المسلمين ووحدتهم ، كما حصل بين الأوس والخزرج في المدينة .

والصحابية والسلف الصالح لا يرضون أن يُوتى الإسلام من قبلهم ، فوثب الإمام أحمد في محنته ؛ لأنّه يعلم أنّ الأقلام تُسجّل عليه كلّ حرفٍ ينطق به ، فلا يريد أن يرجع الناس والعامّة بسبب فتواه ، مع علمه أن باستطاعته أن يقول ما يريد أعداءه ليحمي روحه من الزهّاق ونفسه من القتل ؛ ولكنّ عزّة العالم النقي بين جنبيه أبة الضيم والذلّ ، فكان جزاءه أن رفع الله ذكره بسبب ارتفاعه بعزّته .

والقصص لها تأثيرها الفعّال في نفوس الناس ، من الانتفاع بالموعظة والدروس المذكورة فيها ، والافتداء بأصحابها في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم ، والافتداء بمواقفهم في التضحية والبذل من أجل الله ، والاعتزاز به ﷺ ؛ ولذلك أورد القرآن الكريم كثيرًا من القصص ، لما فيها من العبر والمعاني المقصودة من وراء تلك الألفاظ .



الوسيلة السادسة : (طعمة الحلال)

إنّ أكل الحرام يُذِلُّ نفس صاحبها ؛ لأنّ أكل الحرام لا يُبالي من أيّ مكان يأتي بالمال ، فلا يخاف من الله ، ولا يتورع عن الوقوع في الشبهات ، وتراه يحوم حول الحمى بل يقع فيها .

والذي يُدقق في أمر واقع الناس اليوم ، يجد أنّ أكل الحلال من الناس : عزيز النفس ، أبي في شخصيته ، فلا يقبل الرشوة ، ولا الربا ، ولا يأكل مال اليتيم ؛ لأنّ عزّته تمنعه من ذلك وغيره ، والعكس بالعكس عند من يأكل الحرام ، فتجد نفسه الذليلة لا تمتنع عن أخذ الرشوة وأكل حقوق الآخرين بغير حق . فتجد هذا _ أي أكل الحرام _ : ذليل النفس ، لا يستجيب لداع الخير إلا ما ندر ؛ لأنه يحزن لفوات مطلوبه وهو المال ، ولا يحزن لفوات الطاعة عليه .

وأما ذلك المؤمن فيردعه وازعج الإيمان والعزّة عن أخذ المال من غير طريقه المشروع ، ويُقدّم خوف الله وخشيته على المال وغيره ، فشتان بين الرجلين : عزيز يأكل من حرّ ماله وحلاله ، وآخر ذليل يأكل لُ من الطيبات والخبائث .

ولقد رعب النبي * في أكل الحلال ورهباً من أكل الحرام حينما جعلهما سبباً من الأسباب الأساسية لقبول الدعاء واستجابته من عدمه ، قال * : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : + يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " وَقَالَ : + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنِ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ " ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَعَدِيٌّ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » (1) .

وفي الحديث إشارة إلى أكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سبباً من أسباب إجابة الدعاء ، كما أن أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به مانع من مواعيد إجابة الدعاء . (2)

(1) : أخرجه مسلم في ((صحيحه)) : (2 / 581) ، في كتاب : (الزكاة) ، باب قبُول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، برقم (1015)
(2) : انظر ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 274 ، 275) .

كما أنّ فيه (إشارة إلى أنّه لا يُقبل العمل ولا يزكو إلاّ بأكل الحلال ، وأنّ أكل الحرام يُفسد العمل ، ويمنع قبوله ، فإنّه قال بعد تقريره : ((إنّ الله لا يقبل إلاّ طيباً)) إنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : + يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا " (1) ، وقال : + يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ " (2) .

والمراد بهذا أنّ الرسل وأمّهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال ، وبالعمل الصالح ، فما دام الأكل حلالاً ، فالعمل صالح مقبول ، فإذا كان الأكل غير حلال ، فكيف يكون العمل مقبولاً ؟ (3) .

ويَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : من يَطْلُبُ الناس وَيَسْأَلُهُم فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْأَمَاكِنِ الْعَامَةِ وَغَيْرِهَا ؛ مِمَّنْ لَيْسَ بِهِمْ حَاجَةٌ مُلِحَّةٌ ، فَالسُّؤَالُ لِغَيْرِ اللَّهِ مَذَلَّةٌ ، فَالْعَزِيزُ لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ الْهَوَانَ وَالْمَذَلَّةَ وَانْكَسَارَ النَّفْسِ بَيْنَ يَدَيْ النَّاسِ ، وَقَدْ كَانَ السَّلْفُ _ رَحِمَهُمُ اللَّهُ _ يَكْرَهُونَ سُؤَالَ غَيْرِهِمْ ، لِمَا يَعْلَمُونَ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ لَهُمْ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ ، وَلِمَا لِلْعَزَّةِ مِنْ تَوْهَجٍ فِي نَفْسِهِمْ .

وقد بايع النبي x جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً ، منهم : أبو بكر الصديق ، وأبو ذر ، وثوبان ، وكان أحدهم يسقط سوطه أو خيطاً ناقته ، فلا يسأل أحداً أن يتأوله . (4)

والمأمل في حال الناس هذه الأيام يرى كثيراً من الإخلال بهذه المعاني الجليلة التي كان عليها سلفهم الصالح ، فتجدهم يستكثرون سؤال الناس من غير حاجة ملحة ، ويأكلون أموالهم بالباطل ، ويلجئون باب الشبهات بحجة أو بأخرى ، ويقعون في المحرمات المنهي عنها كالربا وغيره ؛ كل هذا وغيره يؤثر سلباً على شخصية المرء وإيمانه ، ومن ثمّ تُنْقَصُ فِي هَيْبَتِهِ وَعِزَّتِهِ أَوْ تَمْحُوها ، فيصبح صاحبها عبداً لدرهمه وماله .

وعلاج ذلك يكمن في اتباع أوامر الشرع ظاهراً وباطناً ، والابتعاد عن نواهيه ، والقناعة والرضا بالله حكماً ورازقاً للمؤمن قلّ رزقه أو كثر ، مع الاعتماد على عمل اليد وبذل أسباب الرزق .

(3) : [المؤمنون : 51] .

(4) : [البقرة : 172] .

(5) : ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 260) .

(1) : ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 479) .

الوسيلة السابعة : (الصبر)

الصبر من أعظم أعمال القلوب وأنفعها للعبد المسلم ، ذلك أنه قلما يتوجد عبادة من العبادات أو ترك أمر من المنهيات أو حتى المباحات إلا والصبر فيها دورٌ ونصيبٌ .

وهو بمنزلة الرأس من الجسد ، فلا إيمان لمن لا صبر له ، (ولهذا كان الإيمان نصفين : نصف صبر ونصف شكر) . (1)

وبما أنّ الصبر قرين الإيمان ونصفه : كان سبباً من أسباب العزّة ؛ لأنّ المرء إمّا أن يتقلب في طاعة الله ، أو أن يُقارَف ما يعصيه ﷺ ، ومع ذلك فهو يستقبل المقدر عليه من خير أو شر ؛ وفي كل هذه الأنواع الثلاثة المذكورة مدخل للصبر ولابدّ ، وبيانه : في أنّ المؤمن الحق هو من يصبر ويُربط على طاعة الله ، ويُجاهد نفسه ويتصبر بأن لا يقع فيما يُغضب الله ، ويحبس نفسه عن الجزع والتسخط من الابتلاءات والمصائب والأقدار ، والصبر على شكر النعم .

كما أنّ الصبر يمنع صاحبه من أن يكون ذليلاً خاضعاً مُطأطئاً رأسه من أجل حفنة من المال ، أو أن يجعل عرضه وماله مرتعاً لكلّ أحدٍ .

فالصبر (مقام من مقامات الدين ، ومنزل من منازل السالكين) (2) ، وبه تُصاغ شخصية المسلم ، وأخلاقه ، وعبادته ، وبه تُنال الرغائب الدنيوية والأخروية ، ومن خلاله تظهر عزّة نفسه عندما يقهر شيطانه وشهواته ، وعن طريقه تسمو نفسه لدحر أعداء الله ، فيصبر على ملاقاتهم ما أمكن .

ولذلك بيّن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس ؓ أن النصر مفتاحه الصبر ، قال : ×

« وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » (3)

(1) : ((مدارج السالكين)) : (137 / 1) .

(2) : ((الإحياء)) : (62 / 4) .

(1) : أخرجه أحمد في (مسنده) : (487 / 4) ، برقم (2763) ، في مسند عبد الله بن عباس ؓ ، وصحّحه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على المسند (487 / 4) .

(فقله × : « إِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ » يشمل النصرَ في الجهادين :
 جهادَ العدوِّ الظاهر ، وجهادَ العدوِّ الباطن ، فمن صبرَ فيهما ، نُصِرَ وظفر
 بعدوّه ، ومن لم يصبر فيهما وجَزَع ، فُهِرَ وصار أسيراً لعدوّه ، أو قتيلاً له
 (1) .

فمن صَبَرَ على جهادِ الكفّار انتصر ، ومن نال العزّة والكرامة
 والرفعة والرضا من الله ، (ومن صبر على مُجاهدة نفسه وهواه وشيطانه :
 غلبه ، وحصل له النصر والظفر ، ومَلَكَ نفسه ، فصار عزيزاً ملكاً ، وَمَنْ
 جَزَعَ ولم يصبر على مُجاهدة ذلك ، غُلب وفُهر وأسر ، وصار عبداً ذليلاً
 أسيراً في يدي شيطانه وهواه ، كما قيل :

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه بمنزلة فيها العزيز دليل (2)

. كما أن الله ﷻ وعد الصابرين بمعيته ، قال تعالى : + إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

.. (3) "



(قال أبو علي الدقاق (4) : فاز الصابرون بعزّ الدارين ؛ لأنهم نالوا
 من الله معيته (5) .

فيتبيّن مما سبق : أنّ الصبر على فعلِ الطاعة وترك المعصية ،
 ونزول المصائب ، وشكر النعم ؛ سببٌ في حصول الكرامة والعزّة والرفعة
 في الدنيا والآخرة ، وأنّ الصبر على الطاعة _ الذي هو نوعٌ من أ نواع
 الصبر ، وهو أفضلها _ : يُوجب مزيد كرامة وعزّةٍ لمن صبر في طاعة
 مولاه .



(2) : ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 490) .

(3) : ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 490) .

(4) : [البقرة : 153] .

(1) : هو الحسن بن علي النيسابوري ، الزاهد العارف ، شيخ الصوفية ، توفي في ذي الحجة
 سنة : (406 هـ) ، قال عنه الغزالي : كان زاهداً زمانه وعالم أوانه . ((شذرات الذهب في
 أخبار من ذهب)) لابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ ، (5 / 40) .

(2) : ((عدة الصابوين وذخيرة الشاكرين)) لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ، (25) .

الوسيلة الثامنة : (العفو)

إنّ العفو من أمهات الأخلاق الحميدة ، ومن صفات ذوي العقول الرشيدة ، وقد أثنى الله ﷻ على أهله فقال تعالى : **+ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴿١٣٤﴾ " (1) ، فالعفو عن الناس : إحسانٌ ، والإحسانُ سبيلٌ لنيل العزّة المتحقّقة بمعونة الله ﷻ .

كما أمر الله به رسوله **× فقال تعالى : + خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴿١٣٤﴾ " (2) ، قال قتادة في الآية : أخلاقُ أمر الله بها نبيه **× ودلّه عليها . (3)**

إن الله ﷻ أوصى بالعفو ، وجعل العفو عند المقدرة من فعل الكرام ؛ بل وجعله صفة بارزة في أنبيائه ورسوله عليهم السلام ، وذلك لأن العفو صفة جليلة كريمة ، تدل على نقاء القلب ، وصفاء النفس ، وكرم ا لطباع ، ولا يزيد بها صاحبها إلا عزّة ومكانة في الدنيا والآخرة .

والإنسان إذا آذاه أحدٌ من الناس ثم قَدِرَ عليه فعفا عنه ، وأطلقه من أسر الانتقام ؛ فقد لبسَ ثوب العزّة ورداءها ، وتسربل بسرِبِالها ، وحقّق معنى الاعتزاز بهذا الخلق النبيل .

فمن عفا عمن ظلمه عزٌّ في أعين الناس ، وزاد تعظيمه وإجلاله في القلوب ، لأن القلوب مفضّرة على تعظيم ذوي الأخلاق الحميدة .

قال **× : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »** . (4)

فقد أرشدنا النبي **× من خلال الحديث عن خلقين رفيعين يوصلان إلى العزّة الحقيقية :**

(1) : [آل عمران : 134] .

(2) : [الأعراف : 199] .

(3) : ((جامع البيان)) : (3 / 332) ، ((تفسير القرآن العظيم)) : (3 / 257) .

(1) : سبق تخريجه في حديث القرآن عن العزّة ص : (117) .

الخلق الأول : عفو المرء عن غيره مع مقدرته على الانتقام ؛ (فإن من عُرف بالعفو عَظُمَ في القلوب) (1) ، فازداد عزّة ورفعة ؛ لأن الذي يملك الانتقام إذا عفا أصبح مَدِينًا للذين عفا عنهم ، فيعزّه الله بهذا العفو ، هذا مع ما ينتظره من شرفٍ في الآخرة .

الخلق الثاني : التواضع لله ﷻ ، (بأن ينزل نفسه عن مرتبة يستحقها لرجاء التقرب إلى الله ﷻ دون غرض غيره) (2) ؛ فمن فعل ذلك أعزه الله عز وجل ورفعه في الدنيا والآخرة .

(وفي الحديث : أن الله تعالى يجعل للعافي عزًّا وعظمة في القلوب ؛ لأنه بالانتصاف يظنّ أنه يعظم ويُصان جانبه ويُهَاب ، ويظنّ أن الإغضاء والعفو لا يحصل به ذلك ، فأخبر رسول الله ﷺ بأنه يزداد بالعفو عزًّا) (3) ولكن ليس من تحقيق معاني العزّة مطلقًا : العفو على كلِّ الأحوال ، فمن انتهك حدود الله ﷻ واستباح محارمه ؛ وَجِبَ رَدُّعُهُ بما يُؤدبه عن فعله ذلك ، فإنَّ الله قد جعل إقامة الحدود والتعزيرات طريقًا للالتزام بتعاليم الإسلام ، ولا شكَّ أن ذلك هو تحقيق لمعنى العزّة .

ولو نُظر إلى مُجتمعاتنا في هذه الأيام لوجدناها أحوج ما تكون إلى خلق العفو والتسامح الذي يدلُّ على انتشار الألفة والمحبة بين المجتمع الواحد ، ونبذ الفرقة والبغضاء التي تفتت في عضد الأمة ؛ ولأنَّ تحقيقه يُصلح كثيرًا من حال الأفراد والأمة .

ولا شكَّ أن بداية صلاح المجتمع يكون بالفرد ثم الجماعة ، فالمسلم الذي يتحلّى بهذا الخلق الرفيع ، هو مسلمٌ ذو شخصية مؤثرة وفعّالة في المجتمع ، إلى جانب أنَّها شخصية تصل إلى أعلى مراتب العزّة والرفعة .

وخلاصة القول هنا : أنَّ العفو المنضبط بما ورد عن رسول الله ﷺ وبشروطه المعتمدة لدى العلماء هو وسيلة من الوسائل الموصلة إلى نيل العزّة وتحقيقها ، ولأسيما في زماننا هذا الذي كادت أن تنعدم فيه معاني المحبة بين الناس ، وأواصر الأخوة والألفة فيما بينهم _ إلاَّ مَنْ رَحِمَ الله _

(2) : ((تحفة الأحوذى)) : (6 / 141) .

(3) : نفس المصدر والصفحة .

(4) : ((سبل السلام شرح بلوغ المرام)) لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، (4 / 316) .

؛ كل ذلك بسبب التباغض والشحناء ، وعدم التسامح والعفو المقرونان
بالأجر من الله ﷻ.



الوسيلة التاسعة : (الإنصاف والعدل)

لاشكَّ أنّ قوام الحياة هو : الإنصاف من النفس ، والعدل في كل الأحوال ، فبالعدل والإنصاف ترتقي الأمم والشعوب ، ويعمّ الأمن والأمان ، وبالعدل والإنصاف تتحقق أشرف معاني العزّة في الحياة ، وهي عدم الظلم والتعدي على الغير .

ولكن مع ذلك فإن تحقيق العدل والإنصاف نادرٌ وعزيزٌ ؛ لأنّ النفس سلطانها قوي ، وهي تأنف الاعتراف بالحقّ والانكسار له ، فكيف إذا ساعدها على ذلك عسكر الشيطان !!

إنّ الإنسان إذا عدلَ غيرَه فيه ، وأنصف من نفسه في الحقّ ، فإنه يعظم في أعين الناس وتزداد محبته ، وينال العزّة السامية التي اكتسبها من هذا الخلق النبيل ؛ لأنّ مَنْ أدلّ نفسه وأرغمها على الحقّ فقد اتبع ما جاء عن رسول الله ﷺ ؛ لذلك نجد القرآن يذكر لنا الأمر من الله بامتنال هذا الخلق ، فقال تعالى : + **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ** " (1) ، وروى أبو نعيم في ((الحلية)) عن الحسن البصري (2) أنه كان يقول عند هذه الآية : إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة ؛ فو الله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله ﷻ إلا جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه . (3)

فبالعدل تعزّز الدول والشعوب ، وترتقي الأنفس وتسود ، ومن اتصف به فقد سلك باباً من أبواب العزّة ، وأقام طريقاً من طرقها المُشرّعة .

وبذلك يُعلم أنّ من طرق تحقيق العزّة هو : إقامة الإنصاف والعدل ، ونبذ الظلم والانتصار للنفس بالباطل ، وكم هي الأمة محتاجة إلى هذا الخلق العظيم ؛ لكي تستعيد به مكانتها التي فقدتها بين الأمم ، وليعمّ نزول الخيرات على الأفراد والأمة ، قال تعالى : + **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا**

(1) : [النحل : 90] .

(2) : هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الامة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة ، وشبّ في كرف علي بن أبي طالب ، قال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة ، توفي سنة (110 هـ) . انظر ((الأعلام)) : (2 / 226) .

(3) : ((حلية الأولياء)) : (م 1 ، ج 2 / 158) في ترجمة الحسن .

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " (1) ، ورد عن أبي سعيد
الخدري مرفوعاً : + وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا " قال الوسط : العدل . (2)

ولكن لما غيَّرت الأمة ما كان عليه أسلافهم البررة : تغيَّر الحال ،
وقلّة الخيرات وهي كثيرة . فالأمة في عمومها تشتكي قلّة الأمطار ، وقلّة
بركة الأرزاق ، وغفلت أو تغافلت عن السبب الذي أوقعها في ذلك وهو
الظلم والعدوان ، ففعل المعاصي ظلمٌ للنفس ، والتعدي على الأعراض ظلم
للآخرين ، وأخذ ممتلكات الغير _ ولو شبراً من الأرض _ ظلمٌ لهم ؛ ولن
يُرفع ذلك الذلُّ والهوان إلا بعد تحقيق العدل والإنصاف .

وواقع الأمة اليوم على ذلك وأكثر منه ، ولا علاج إلا في الرجعة
تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي الأمين * .

(1) : [البقرة : 143] .

(2) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (م 3 ، ج 9 / 132) ، في كتاب : (الاعتصام
بالكتاب والسنة) ، باب قوله تعالى : + وكذلك جعلناكم أمة وسطا " وما أمر النبي * بلزوم
الجماعة وهم أهل العلم .

الوسيلة العاشرة : (عدم الطمع في الدنيا أو الحرص عليها)

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ من أسباب عزّة النفس : الزهد في الدنيا وعدم الحرص على تحصيلها أو جمعها ، ومُبتغى المؤمن العزيز في كلّ الأمور : عبادة الله ، وطلبُ الأجر منه ﷻ .

ولنا في الأنبياء _ صلوات الله عليهم وسلامه _ الأسوة الحسنة والقُدوة الصالحة ، حيث إنهم لمّا رقت نفوسهم في علياء ودرجات الإيمان ؛ عزّت عن سفاسف الأمور ، وحطام الدنيا ، طالبة الأجر والمثوبة من عند الله ﷻ وحده .

حيث صرّحوا جميعاً _ عليهم السلام _ بأنهم لا يطلبون أجرًا _ أي مالا _ مقابل التبليغ ، ولكنهم يطلبون الأجر من الله ﷻ ، فهذا نوح ﷺ يقول لقومه : + وَيَقَوْمٍ لَا سَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا^ط إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ... ﴿١١﴾ " (1) .

وهذا نبي الله هود ﷺ يقول : + وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ " (2) .

ومن بعدهما صالحٌ ولوطٌ _ عليهما السلام _ ، إلى أن انتهى الأمر إلى محمد * ، فقال _ فيما حكى القرآن عنه _ : + قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... ﴿١٢٣﴾ " (3) .

فدلّت هذه الآيات على زهد الرسل والأنبياء _ أصحاب الدعوة _ في هذه الدنيا .

وعليه : فإنّ المؤمن القويّ ، صاحب العزّة الرفيعة ، والمكانة العظيمة ، لا بدّ وأن يكون على حُطى الأنبياء والمرسلين ، (الذين زهدوا

(1) : [هود : 29] .

(2) : [الشعراء : 127] .

(3) : [الشورى : 23] .

في الدنيا ، وفضلوا الأجر الآخروي على الدنيوي ، مُخلصين في ذلك الله تعالى ، الذي ربّاهم بنعمه ، وأدرّ عليهم فضله وكرمه) . (1)

وفي السنن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَأُثِرَ فِي جِلْدِهِ ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّيْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ كُنْتُ أَدْنَتْنَا فَعَرَسْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَنَا وَالْدُنْيَا ؟ إِنَّمَا أَنَا وَالْدُنْيَا كَرَائِبٍ اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » (2)

فهذا الرسول الكريم ﷺ عندما زهد في الدنيا ، وعزّت نفسه عنها ، قد وضع قواعد العزّة الحقيقية التي استطاع بها قيادة وتكوين أمّة خالدة ، عزيزة بدينها ونبيها إلى يوم القيامة .

وليس معنى الزهد : هجر الدنيا وعدم لبس الجديد من الثياب ، أو ركوب المركبات الجديدة ... الخ ، إنّما ضابطه : أن تكون الدنيا في يد المؤمن لا في قلبه ، والزهد بهذا المفهوم يقود إلى العزّة الدائمة .

(1) : ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) : (544) .
 (2) : الحديث أخرجه ابن ماجه في ((سننه)) : (426 / 4) ، برقم : (4109) ، في كتاب : (الزهد) ، بابُ مَثَلِ الدُّنْيَا ، باب ما لي وللدنيا ، وأخرجه الترمذي في ((سننه)) : (588 / 4) ، برقم : (2382) ، في كتاب : (الزهد) ، وقال : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، ولفظ الحديث للأول ، وصحّحه الألباني في ((صحيح ابن ماجه)) : (425 / 2) ، برقم (4274) .

الوسيلة الحادية عشرة : (الثبات على الحق)

إنّ المؤمن الثابت على الحقّ ، الذي لا يُزعزعه شيءٌ ، ولا تُؤثر فيه عوامل الانحراف ، ولا أسباب الشبهات ؛ هو مؤمن عزيزٌ ثابت متيقنٌ أنّه على طريق الحقّ والصواب .

أمّا الضعيف الذليل فهو إمعةٌ ، أينما كان الناس كان هو ، فإذا أحسن الناس : أحسن ، وإن أسأوا : أساء .. ، يسقط عند الشبهات ، ولا يثبت عند الشهوات ، وهو كثير الوقوع في الزلاّت ، ويُقدّم التنازلات ، مُستبدلاً لحطام الدنيا على ما في يديه من الحقّ والصواب .

وإنّ خيرَ من يُصور لنا عزّة المؤمن في الثبات على الحقّ والدين : هم الأنبياء والرسل الكرام ، ولنا في خير الأنام وسيّد الخلق أجمعين * : القدوة الحسنة في ذلك ، عندما ثبت أمام تلك الموجات الجارفة من الأذى والتكذيب ، وتعذيب من آمن به من صفات المسلمين ، ومع ذلك كان حريصاً على أن يُبلّغهم دعوة الله .

ففي الصحيحين م ن حديث ابن عباس قال : لَمَّا نَزَلَتْ + وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " صَعِدَ النَّبِيُّ * عَلَى الصَّفَا ، فَجَعَلَ يُنَادِي : يَا بَنِي فَهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ ، لِبَطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ؟ ! فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتَكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا ، قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ ، أَلِهَذَا جَمَعْنَا ! فَنَزَلَتْ : + تَبَّتْ يَدَا أَبِي

لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ . (1)

فبيّن لنا هذا الحديث عزّة النبي * ، وثباته على مبادئه التي يدعوا إليها ، حتى ولو كان ذلك على حساب تكذيب أقاربه وبني قومه له ؛ بل الإيذاء والمقاتلة فيما بعد .

(1) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (253 / 3) ، برقم (4770) ، في كتاب : (التفسير) سورة الشعراء ، باب : + وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ " ، ومسلم : (1 / 164) ، برقم : (208) ، كتاب : (الإيمان) ، باب : في قوله تعالى : + وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " ، واللفظ للبخاري .

حيث صعدَ النبي * على الصفا لوجهه ، مواجهًا لقومه بمفرده ، عارضًا عليهم دين الله ﷺ ، ومُبيِّنًا لهم الصراط المستقيم ، فواجهه عمه بالتكذيب أمام الملائمة أجمعين ، فما زرع الموقف في شيبًا بأبي هو وأمي * ؛ بل ثبتَ على الحق ، واستمرَّ يدعوا قومه إلى الله ﷻ .

بل كان * يثبتُ حتى في أهلكِ الظروف وأقساها ، ولا يرضى مساومته على الحق والدين ، ففي صحيح البخاري عن المسوَر بن مخرمة ومروانَ قالا : خرج رسول الله * زمنَ الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق ، قال النبي * : إنَّ خالدَ بن الوليدَ بالغميم في خيلٍ لفرئش طليعة ، فخذوا ذاتَ اليمين ، فوالله ما شعرَ بهم خالدٌ حتى إذا هم بفترة الجيش فأنطلقَ يركضُ نذيرًا لفرئش ، وسارَ النبي * حتى إذا كان بالثنية التي يهبطُ عليهم منها : بركتَ به راحلته ، فقال الناس : حلَّ حلَّ فألحت ، فقالوا : خلأت القصواء ، خلأت القصواء ، فقال النبي * : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ؛ ولكن حبسها حابسُ الفيل ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألونني حطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها ، ثم زجرها فوثبت ، قال : فعدلَ عنهم حتى نزلَ بأقصى الحديبية على ثمَدٍ قليل الماء يتبرضه الناس تبرضًا ، فلم يلبثه الناس حتى تزحوه ، وشكى إلى رسول الله * العطش فانتزعَ سهمًا من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زالَ يحيشُ لهم بالرِّي حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك ؛ إذ جاء بُدَيْلُ بن ورقاء الخزاعيُّ في نفرٍ من قومه من خزاعة ، وكانوا عبية نُصح رسول الله * من أهل تهامة فقال : إني تركتُ كعبَ بن لؤيٍّ وعامرَ بن لؤيٍّ نزلوا أعدادَ مياه الحديبية ومعهم العودُ المطافيلُ ، وهم مقاتلون وصادقون عن البيت ، فقال رسول الله * : إنا لم نجئ لقتال أحدٍ ولكننا جئنا معتمرين ، وإن فرئشًا قد نهكهم الحربُ وأضرت بهم ، فإن شأوا ماددتهم مدَّةً ويحلُّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهروا فإن شأوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلموا ، وإلا فقدوا جموا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن الله أمره ، فقال بُدَيْلُ : سأبلعهم ما تقول ... (1)

فراه * يُقسمُ أنه سوف يثبتُ على الحق ، حتى يأتيه الموت ، فالسالفة كناية عن القتل (2) ، فهو * لا يردُّه عن الحق شيء ؛ حتى الموت والقتل ،

(1) : ((صحيح البخاري)) : (2 / 197) ، برقم : (2731) ، في كتاب : (الشروط) ، بابُ الشرُوط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشرُوط .

(2) : قال ابن منظور في ((لسان العرب)) : (4 / 650) : (وفي حديث الحديبية :)) لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي)) : هي صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى

مع أنّه قال x في بداية الأمر : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةَ يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا » ، وقال x : « فَإِنْ سَأَوْا مَا دَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيَخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرَ فَإِنْ سَأَوْا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا » .

هذه هي العزّة الحقيقية التي تجعل صاحبها يُقدّم أعظم التضحيات في سبيل الثبات على الحقّ ، والصمود أمام أي موجة تُحاول زعزعة هذا الحقّ أو هدمه .

وكم هي الأمة مُحتاجة _ أفراداً وجماعات _ إلى التحلّي بالثبات في مواقفها التي تواجهها ، فالمسلم يُقابل في يومه مواقف من أقدار الله ﷻ ، كالحزن ، أو الفقر ، أو الظلم ، أو الإغراء على فعل محظور ؛ ويحتاج في كلّ ذلك أن يتحلّى بالصبر والثبات على مبادئه وقيمه الإسلامية والشخصية ، ومتى ما تخلى عن ذلك اهتزّت العزّة في نفسه .

فتبات المسلم على مبادئه يقي المجتمع من التذلل للغير ، والخضوع لطلبات العابثين بالمبادئ والقيم ، فلا يكون ذليلاً لهواه وشيطانه ، ولا يطمع فيه وفي عرضه وماله طامعٌ .



الوسيلة الثانية عشرة : (كثرة السجود لله ﷻ)

إنّ السجود لله هو مَدْرَجُ العزّة ، وهو الطريق الذي يَضَعُ عليه العبدُ قدميه لِيَسِيرَ به في طريقها ؛ لأنّه كلّما تذلّل العبد لمولاه أحبّه واجتباها ، وفي ذلك عزّ العبد وقوّته .

ولمّا كان خَفَضُ الرأس وانحناء الجسم من باب العبادة مَشْهَدًا للذلّ والخضوع والانكسار ؛ فقد حرّمه الله لغير ذاته ﷻ ، ورَتَّبَ على مَنْ فعله لوجهه الكريم من الكرامة والرفعة في الدنيا والآخرة ، والتوفيق ، وراحة البال ، وسعادة النفس : الشيء الكثير ، وقد قال المولى ﷻ : + أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿ 17 ﴾ " (1) .

قال في ((الظلال)) : (فلا كرامة إلاّ بإكرام الله ، ولا عزّة إلاّ بعزّة الله ، وقد ذلّ وهان مَنْ دان لغير الديان) (2) .

وقد بيّن النبي x علة كون السجود لله رفعة للمرء حين قال لثوبان ﷺ : « عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ » (3) .

قوله x : (فإنك لا تسجد لله سجدة إلاّ رفعك الله بها درجة) : أي منزلة عالية في الآخرة فلا يزال العبد يترقى بالمدّامة على السجود درجة فدرجة حتى يفوز بالقدح المعلى من القرب الإلهي . (4)

وقد اكتشف العلم الحديث التجريبي : أن مَكْمَنَ راحة الإنسان تكون عندما يَجْمَعُ أطراف جسمه ال ثلاث _ الرأس واليدين والرجلين _ نحو

(1) : [الحج : 18] .

(2) : ((الظلال)) : (4 / 2414) .

(3) : رواه مسلمٌ في ((صحيحه)) : (1 / 296) ، برقم (488) ، كتاب : (الصلاة) ، باب : فضل السجود والحثّ عليه .

(4) : ((فيض القدير)) للمناوي ، (4 / 334) برقم : (5502) حرف العين .

الأرض ، وهذا لا يتملّ إلا في السجود ؛ لأنّ الإنسان يقضي نهاره كلّهُ في العمل وليله في النوم ، وهذه طاقةٌ أو شُحناتٌ تُحتاج إلى تفرّغ ، ولن تذهب إلا بالسجود .

ومن أجل ذلك رتبَ الله ﷻ أوقات الصلوات الخمس لكي تفرّغ فيها الطاقات الموجودة في جسم الإنسان من خلال أداءه للصلاة _ والتي من أهم أركانها السجود _ ، وهي حكمةٌ من الحكم في ذلك .

وقد أخبر النبي ﷺ بذلك من أنّ السجود راحةٌ للبدن ، وطمأنينةٌ وسعادةٌ للنفس قبلَ ألف وأربعمائة سنة تقريباً ؛ حيث قال : « يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنًا بِهَا » (1) .

وحال الناس اليوم يُوضح بجلاء ابتعادهم عن إدراك معنى العزّة والكرامة من هذا الباب ، فالمساجد من أكثر الأدلة الدالة على ضعف أحوال السجود في مجتمعاتنا عمومًا _ إلا من رحم الله _ ، فالخشوع غير موجود عند المساجد فضلاً عن أن يُطلب منه الإكثار من السجود .

ومن هنا نعلم أنّ مسار تصحيح طريق الأمة يبدأ من الفرد المسلم ، بإصلاح حاله مع الله ﷻ ، وتحسين عبادته لله ، وتقوية الصلة بينه وبين مولاه ﷺ ، ولذلك بيّن الله ﷻ ذلك في قوله تعالى : + إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ " (2) .



(2) : رواه أبو داود في ((سننه)) : (5 / 347) ، كتاب : (الأدب) ، بابٌ : في صلاة العتمة ، برقم : (4945 ، 4946) ، وصحّحه الألباني في : ((صحيح أبي داود)) : (3 / 225) برقم : (4985) ، و ((صحيح الجامع)) : (2 / 1307) برقم : (7892) .
(1) : [الرعد : 11] .

الوسيلة الثالثة عشرة : (التواضع)

إنّ التواضع من أسمى الصفات الزاكية ، ولا يتحلّى به إلا من سلك سبيل الأنبياء والمرسلين ؛ لأنّ الله ﷻ هو المختص بصفة الكبر ، فيجب على المخلوق أن يتصف بصفة التواضع لأنه مخلوق ، والمخلوق يحتاج إلى غيره ، ومن احتاج وافترق إلى غيره وجبّ عليه أن يتواضع ويذلّ نفسه لينال ما يريد ، ولذا جاء الحديث عن النبي x في ذلك : « ما تواضع أحدٌ لله إلا رفّعه » (1) .

فالتواضع هو سبيل للرفعة وعلو الدرجة ونيل المقامات العالية ، ومن رفّعه الله فلا واضع له ، فكان هو العزيز في مقام الذليل .

والتواضع من أقوى الوسائل لتحقيق معنى العزّة ؛ لأنّ الله هو الذي يكسو المتواضع بثوب العزّة والرفعة ، قال الرازي : (اطلب خمسة في خمسة ، وذكر منها : اطلب العزّة في التواضع لا في المال والعشيرة) . (2)

إلا أنّ التواضع ليس على إطلاقه يكون من وسائل إبراز العزّة وترسيخها ، وإنما يكون كذلك عندما يوضع في موضعه ونصابه ، فالتواضع للكفار والمنافقين يُعتبر مذلّة وجبناً وليس تواضعاً أصلاً ، وكذلك هو الأمر في الصدع بقولة الحقّ وإنكار المنكر والأمر بالمعروف ؛ لأنّ من ظنّ أنّ التواضع للمسلمين يُعتبر من مقومات العزّة في هذه الأمور وغيرها فقد أخطأ ، وفقد مقوماً من مقومات العزّة ؛ بل إنّه هدم لهذه الصفة والاتصاف بضدها وهي المذلة .

كما أنّ التواضع لله ورسوله x ، ولما جاء عنهما ، هو عمود العزّة وأساسها الذي تقوم عليه حياة الإنسان ؛ لأنّ المرء بقدر ما يخضع للشرع وينقاد ، بقدر ما يعلو مقامه ويزداد .

والعزّة طريقه الأول : التواضع ؛ لأنّ العزّة منزلته عالية ، ويحتاج إلى أسبابٍ تؤصله إلى هذا العلو ، ولا يكون ذلك إلا بال تذلل بين يدي الله ، والتواضع والنزول لخلق الله ، وبالتواضع وخفض الجناح _ من غير مذلة _ يُدرك الخير كله .

(1) : سبق تخريجه في صفحة : (119) .

(2) : ((التفسير الكبير)) : (2 / 168) .

(فمن أراد الرفعة : فليتواضع لله تعالى ، فإنّ العزّة لا تقع إلاّ بقدر النزول ؛ ألا ترى أنّ الماء لَمَّا نَزَلَ إلى أصل الشجرة صَعَدَ إلى أعلاه ، فكأنّ سائلاً سألهُ : ما صعدَ بك هاهنا ، أعني في رأس الشجرة وأنت قد نزلت في أصلها ، فكأنّ لسان حاله يقول : من تواضع لله رفعه الله) . (1)

وكم تُحتاج الأمة _ أفرادًا وجماعات _ إلى تحقيق منزلة التواضع وخفض الجناح ، ولين الجانب لبعضها البعض ، الذي يُجسّد روح العزّة والرفعة والكرامة ، ويزيدُ معاني الألفة والتلاحم والتراحم بين أفراد المسلمين ، ولذلك (قال ابن عطاء الله (2) : العزُّ في التواضع ، فمن طلبه في الكبر فهو كَنُطَلب الماء من النار ، وقال إبراهيم بن شيبان (3) : الشرف في التواضع ، والعزُّ في التقوى ، والحرية في القناعة) (4) .

ولكنّ هذا الخُلق الكريم يصطدم بخلقٍ ذميم وهو الكبر ؛ ولذلك ما ابتلي العبدُ بشيءٍ في قلبه مثل الكبر ، فهو المانع من الازدياد في الخيرات ، وجلب البركات ، وحرمان العلم ، وفقدان العزّة والكرامة ، وما أعطي أحدٌ عطاءً مثل التواضع لعباد الله .



- (1) : ((شرح مختصر خليل)) : (1 / 98 ، 99) .
 (2) : هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الفضل تاج الدين ، ابن عطاء الله الاسكندري : متصوف شاذلي ، من العلماء ، له تصانيف ، منها : ((الحكم العطائية)) في التصوف ، و ((تاج العروس)) في الوصايا والعظات ، و ((لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن)) ، توفي بالقاهرة سنة (709 هـ) . انظر ((الأعلام)) : (1 / 221) بتصرف .
 (1) : هو إبراهيم بن شيبان القرُمَيْسِي ، شيخ الصوفية ، أبو إسحاق ، زاهد الجبل ، صحب إبراهيم الخواص ، ومحمد بن إسماعيل المغربي ، وحدث عن : علي بن الحسن بن أبي العنبر ، روى عنه : الفقيه أبو زيد المروزي ، ومحمد بن عبد الله الرازي ، ومحمد بن محمد بن ثوابة ، وغيرهم ، وساح بالشام وغيرها ، سئل عبد الله بن منازل الزاهد عنه ، فقال : هو حجّة الله على الفقراء وأهل المعاملات والآداب ، توفي سنة (337 هـ) . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : (15 / 392) ، وقرميسين : (بالفتح ، ثم السكون ، وكسر الميم ، وباء مثناة من تحت ، وسين مكسورة ، وباء أخرى ساكنة ، ونون .. بلدٌ معروف قرب الدّينور ، على جادة العراق) . انظر ((مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع)) لصفى الدين عبد المؤمن البغدادي ، (3 / 1081) بتصرف ، وهو بلدٌ جليل من كور الجبل ، بينه وبين آمد ثلاث مراحل ... ، أصلها بالفارسية كرمان شاهان فعرب . انظر ((الروض المعطار في خبر الأقطار)) : (1 / 456) بتصرف ، وهي الآن كرمنشاه في غرب إيران انظر ((الأطلس الجغرافي الحديث)) : (83) .
 (2) : ((مدارج السالكين)) : (2 / 314) .

الجانب الثاني : (وسائل العزّة الجماعية) .

الوسيلة الأولى : (الجهاد في سبيل الله)

الجهاد حقيقة من حقائق الدين الثابتة ، وقاعدة من قواعده الأساسية ، قال تعالى : + أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : + وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٢﴾ .

ولا عزّة للأمة ولا سبيل لظهورها إلا بالجهاد ؛ لأن النبي ﷺ شبه الإسلام بالجمال ، وأن ذروته بالجهاد ؛ وإنما يُعرف الجمل بسنامه ، لأنه أعلى الحيوانات ، فإذا قُطع سنامه فلا قيمة له ، ويُصبح منظره قبيحاً .

فالجهاد متى ما توفرت شروطه ودواعيه ووقته ومكانه فلا سبيل ولا مَحِيدَ عنه ولا عِزَّةَ إلا به .

ومفهوم الجهاد أوسع من القتال ، فالجهاد في سبيل الله هو : (تَحْمُلُ المشاق في نصرته دين الله ، ودحر الباطل ، سواءً كان باللسان أو بالمال أو بحمل السلاح ومقاتلة العدو إذا وجب القتال .

ويشمل الجهاد كل عمل يؤديه المؤمن من شأنه إعلاء كلمة الله ... ، ووسائل هذا الجهاد أكثر من أن تُحصى :

خطبة تُؤدى ، أو مُحاضرة تُلقى ، أو مقالة تُنشر ، أو إصلاح يُبين للناس ، أو مالٌ تُسَدُّ به حاجات المعوزين ، أو كتاب يتصدى لدعوى المارقين ...) . (1)

(1) : [التوبة : 41] .

(2) : [الأنفال : 60] .

إلا أن مفهوم القتال الذي هو أسمى مراتب الجهاد قد أحيط بفئتين من الناس :

أحدهما : غالٍ مُفَرط لم يفهم أحكام التشريع وحِكمه ، فهنا يُنبّه على أنّ الإسلام ليس هو الصعلكة المتمردة ، بحيث إنّ كلّ فردٍ يقومُ ومعه عصابة بزعم الجهاد ، فإن هذا يؤدي إلى الفوضى التي من شأنها زعزعة الدولة الإسلامية وجماعتها ، ودخول الدُخلاء عليها ، وتحقيق كثيرٍ من المعادين لمخططاتهم وأمانيتهم ، ولا بدّ ، والواقع خير شاهد .

ثانيهما : جاهلٌ أو مكابر ، يجهل حقيقة التشريع وحِكمه ، فذهب يتكلم في ذمّ الإسلام وأهله ، وتشويه مقاصد الجهاد في سبيل الله .

وهذا دأبُ المستشرقين وأعداء الدين ، الذين بثوا شُبّههم وسُموّمهم عبْرَ كتاباتهم في هذا المجال .

ولكن الداعية المسلم هو مَنْ ينطلق من خلال قول المولى ﷺ لنبيه ✕ :
+ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ " (2) .

فالجهاد كان تشريعه رحمة للعالمين ، فبعد رفض دعوة الإسلام من الكفار ، ورفض أداء الجزية ؛ كان لا بدّ من إقامة شريعة الجهاد من أجل نشر الدين على من جهله ومن أراد أن يدخل فيه ، ولتكن هناك فرصة لمن أراد أن يعمل عقله لاختيار الدين الذي يريد أن يسير عليه ويتعبد الله به ، فإنّ أبي عن اختيار الإسلام : أرغم على دفع الجزية _ صَغَارًا له _ مع إقامته لشعائر دينه ، وهذه من مقتضيات الحرية الصحيحة في الإسلام .

فليس الجهاد في الإسلام انتقامًا ، واستغلالًا للضعف ، ولا ظلمًا ولا تعديًا ؛ بل تحقيق المقصود الربّاني الذي جاء وصفه وتّحديد مقاصده في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ✕ .

هذه هي شريعة الجهاد ، شرّعت لنشر الدين فهي رحمة ، لا كما ينعقُ بعض أعداء الإسلام الحاقدون عليه ، أو ما يصدر من بعض المسلمين الذين يجهلون حقيقة الإسلام ورحمته : من أنّ الإسلام يَحْتُمُّ مُعْتَنِقِيهِ عَلَى سَفَاكِ

(1) : ((دراسات جديدة في إعجاز القرآن)) للدكتور : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، (137)

(2) : [الأنبياء : 107] .

الدماء ، فهم يُصورونه بأنه دين إرهابٍ وقتلٍ وسفكٍ للدماء وهتكٍ للأعراض ، وهل جاء الإسلام إلا بحفظ الأنفس والدماء والأعراض؟! وأحاطها بعناية وحمايةٍ من أن تُصابَ بأذى؟! ورعى حقوقها ...

ومن ذلك على سبيل المثال : حديث رسول الله ﷺ ((مَنْ قَتَلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قَتَلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قَتَلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قَتَلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) (1) فحثَّ على حماية العرض والمال والدم .

ثم إنه ليس من مكارم الأخلاق : التهاون مع الفساد والشقاق والنفاق ، فمكارم الأخلاق تقتضي أن يُؤخذ على يد الظالم ولو كان مسلماً ؛ ولكن كلُّ ذلك يُبنى على الحكمة ، التي تُعطي كل مسألة حكمها اللائق بها .

فمن مقتضى الرحمة المذكورة في الآية السابقة : اجتناب كل مفسدةٍ ومضرةٍ ، ومن ثمَّ (لا ضرر ولا ضرار) (2) ، والدين جاء بإزالة كل مفسدةٍ ، ومن ثمَّ كان : (درء المفاصد مقدماً على جلب المصالح) (3) .

ورحمته × كائنة بين اللين والشدة ، ولأنه × أرسل بالرحمة فهو رحمة للعالمين ، شرع القتال والحدود والقصاص ؛ من أجل أن فطرة الناس لا تستقيم إلا بذلك .

فالإسلام فرض القتال لرفع الظلم والعدوان ، ولِمحي الإفساد لا من أجل الفساد .

ومع ذلك : فهو ضامنٌ لحرية الشعوب والمجتمعات ؛ كما هو مقررٌ في الشرع من خلال سيرة النبي ﷺ وأصحابه ، وكما هو مفهومٌ من قوله

(1) : أخرجه أحمد في ((مسنده)) : (298 / 2) ، برقم : (1652) ، وصحح إسناده أحمد شاكر ، وكذا الألباني في ((صحيح الجامع الصغير وزيادته)) : (1100) برقم : (6445) .
(1) : هذا طرفٌ حديثٍ من أحاديث المصطفى ﷺ ؛ اتخذ الفقهاء منه قاعدةً فقهيةً ، وهي قاعدة : (الضرر يُزال) ، والقاعدة الفقهية : هي القاعدة الكلية التي تندرج تحتها جزئيات كثيرة .
ولذلك قال عثمان بن سند البصري نظماً في ((القواعد الفقهية)) وهي مخطوطة في اللوح الأول

ولا يُزَلْ لِضَرَرٍ بِضَرَرٍ * وحكمُ العادة بالتقرُّر .
إنَّ الأمورَ هنَّ بالمقاصدِ * وخذُ لأربعينَ من قواعدِ .
لَمَّا أتتْ عندهم كَلِيَّةٌ * بنوا عليها صوراً جزئيةً .

(2) : إشارة إلى القاعدة الفقهية المذكورة في كتب الفقهاء .

تعالى : + وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ " (1) ،
فنحن المسلمين لا نُرهَب من خالفنا في الدين ، وإِنما نُرهَب المعتدين .

ولكنّ الحرية مقيدة بعدم إلحاق الضرر بالغير ، لا كما يفعل اليهود _
عجّل الله بذلهم _ بإخواننا في فلسطين الحبيبة ، من قتلٍ ، وسفكٍ للدم
الطاهر ، والتعدي على الممتلكات والأعراض ... بدعوى الحرية ، فأية
حرية هي تلك التي تُؤذي الآخرين !

وإذا كان من مقاصد الإسلام في تشريع الجهاد : منع الفتنة والأذى
عن المؤمنين ، فما بال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً !!

قال تعالى : + وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنْتَهُوْا فَلَا

عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾ " (2) ، (فأمرت هذه الآية الكريمة بقتال أعداء

الدين حتى لا تبقى لهم قوّة يفتنون بها المؤمنين في دينهم ، ويؤذونهم في
سبيله ، أو يمنعونهم من إظهاره والدعوة إليه ، وحتى يكون دين كل شخص
خالصاً لله ، لا أثر فيه لإخشية غيره ، فلا يفتن بصدده عنه ، ولا يؤذى بسببه
... فإذا انتهى هؤلاء عن ظلمهم فليس للمسلمين سبيلٌ عليهم) . (3)

فالإسلام عزيزٌ ، شرّع الجهاد من أجل أن تبقى كرامة المسلم
مَحفوظة ، وهامته مرفوعة ، يهابه أعداؤه ولا يهابهم ، يملك زمام أمورهم
ولا يملكونه ، يعتزُّ بدينه وقيمه وأخلاقه وشخصيته ، فهو يُحتذى به ويكون
قوةً لا إمعة ، ويكون متبوعاً لا تابعاً .

وإذا غير المسلم أو بدّل ؛ تغيّرت العزّة في قلبه وتبدّلت بحسب ما
تغيّر منه وتبدّل ، فيدخل عليه من الذلّ والهوان والتبعية المقيتة ما يدخل !

(1) : [الأنفال : 60] .

(2) : [البقرة : 193] .

(3) : ((وسائل النصر من القرآن والسنة)) : (23) .

وقد نهانا الإسلام أن نُذَلَّ أنفسنا ، أو أن نَرْضَى لها الدُّونَ والهوان ، قال
تعالى : + وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ . (1)



(1) : سبق الكلام عن هذه الآية في مبحث : حديث القرآن عن العزّة ، صفة : (126 ، 127) .

الوسيلة الثانية : (عدم موالاته الكافرين)

المسلم مأمور من الله تبارك وتعالى بالألا يتخذ الكافر له ولياً ، يُعينه وينصره ؛ لأن ذلك التولي يَفُود الاقتداء بهم في معتقداتهم وأموارهم ، قال تعالى : + لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨١﴾ " (1) .

ومعنى الآية : (لا تتخذوا _ أيها المؤمنون _ الكفارَ ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم ، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين) (2) .

فالولاية (صفة تجمع المحبة والتكافل والتناصر ...) ، والمؤمنون متصفون بهذه الصفة ، ومرتبون بهذه الرابطة ، فالأساس فيما بينهم هو المحبة الصادقة الصافية .

والقاعدة عندهم هي التكافل في الخير والشر ، وفي الغنى والفقير ، وفي الحرب والسلم ، فمصلحتهم واحدة غير متجزئة ، وأهدافهم واحدة غير متفرقة .

وبينهم تناصر ، فإذا اعتدي على طرفٍ من أطرافهم هبت جميع الأطراف تنتصر له ، وتُدافع عنه وتُشاركه في بأسه حتى تنكشف عنه البأساء ، ويُقاسمه ألوان ضرائه حتى تزول عنه الضراء ؛ فهذا هو مجتمعهم ، فهل يُمكن أن يُذلل مثل هذا المجتمع ، وأن يركع أمام حدث من الأحداث ، أو طاغية من الطغاة ؟ كلا والله !) (3) .

وموالاته الكافرين معلّم من معالم الهوان والضعف والمذلة من قبل المسلمين ؛ لأن الله ﷻ وصف من فعل ذلك أنه ليس من جنده وحزبه بقوله

(1) : [آل عمران : 28] .

(2) : ((جامع البيان)) : (6 / 313) .

(1) : ((الكرامة والعزّة في القرآن الكريم)) للأستاذ : محمد محمد المدني ، ضمن مجلة الأزهر ، الجزء الأول ، المحرم سنة : (1380 هـ) ، المجلد (32) ، ص : (13 ، 14) بتصرف .

سبحانه : + وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ " (1) ، قال القرطبي :
 (أي فليس من حزب الله ، ولا من أوليائه في شيء) (2) ؛ ولأنّه لا
 يُتصوّر أن يُناصر المسلم كافرًا على حساب إخوته من المسلمين ، فكيف
 يكون عزيزًا من هذه حاله !!



(2) : [آل عمران : 28] .

(3) : ((الجامع لأحكام القرآن)) : (87 / 5) .

الوسيلة الثالثة : (تعاون وترابط المجتمع الواحد)

التعاون والترابط أمرٌ يقود إلى العزّة والكرامة والنصر والتمكين ، وقد أمر الله ﷻ به ، قال تعالى : **+ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (1)** ، والبرُّ : اسمٌ جامعٌ لأفعال الخير .

وقال **x : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » (2)** ، فهنا مثل النبي **x** حال المؤمنين بالبنيان ، الذي من خصائصه عند الترابط : القوة ، والقرب ، وعدم اختراقه بسهولة ، وكذلك المؤمنون يجب أن يكونوا مترابطين بميثاق المحبة والأخوة في الله ، فيثمرُ ترابطهم : المحبة والترحم فيما بينهم ، وقوة بأسهم على أعدائهم ، وخوفهم منهم ، فلا يستطيعون فكّ وحدتهم ، وتفريق جمعهم .

وكما أن البنيان الجيد ليست فيه فجوة ، فكذلك الصفّ المؤمن ليست فيه فجوة ؛ لأنّ الفجوة تنلّم المجتمع ثلّمة ، قد تنوالى بعدها التصدّعات والثلّم والشروخ ، فيتصدّع جدار العزّة التي بناها المسلمون فيما بينهم من الترابط والأخوة والمحبة .

إلّا أنّ ترابط المجتمع الواحد يكون عموماً عبرَ : تمسّكهم بالقيم الدينية ، وفي مقديمتها القيم الأخلاقية التي تضمن لمحيط ذلك المجتمع : السلامة من الآفات والمزالق الدينية والدينيوية ، والرقي بأفراده لأبعد المنازل الخلقية ، والسعادة الدينيوية ومن ثمّ الأخروية .

وأماً على جهة التفصيل ، فيجب مراعاة أمور دينية وأخلاقية يكون بها الترابط ، ومنها :

(1) : [المائدة : 2] .

(2) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (3م ، ج 8 / 14) النسخة اليونانية ، في كتاب : (الأدب) ، باب : تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، ومسلم في ((صحيحه)) في كتاب : (البر والصلة والآداب) ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

1. مَحَبَّةُ الْخَيْرِ لِأَفْرَادِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ ، وَدَلَالَتُهُمْ عَلَيْهِ ، سِوَاءُ أَكَانَ ذَلِكَ أَمْرَ دِينٍ أَوْ أَمْرَ دُنْيَا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صَرِيحِ الْإِيمَانِ ، فَقَدْ قَالَ X : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (1) .

2. نُصْرَةُ أَفْرَادِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَذَلِكَ بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الْعَدْلِ فِي الْمَجْتَمَعِ تَدُومُ بِهِ الدُّنْيَا ، وَتُصْلِحُ بِهِ أَحْوَالَ أَهْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي مَا فِيهِ ، بِخِلَافِ الظُّلْمِ مَعَ عَدَمِ الْإِثْمِ فَإِنَّهُ لَا تَقُومُ بِهِ مَصَالِحُ الْمَجْتَمَعِ وَأَهْلِهِ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : أَخْذُ الْحَقِّ لِلْمَظْلُومِ ، وَالْأَخْذُ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ .

ولذلك كانت (أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل ال ذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم ؛ ولهذا قيل : إن الله يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يُقيم الظالمة وإن كانت مسلمة . ويُقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام ، وقد قال النبي X : « لَيْسَ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ » (2) ، فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة ، وذلك إن العدل نظام كل شيء : فإذا أُقِيمَ أمر الدنيا بالعدل قامت ، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق) . (3)

(1) : أخرجه البخاري في ((صحيحه)) : (10 / 1) من حديث أنس ؓ ، كتاب : (الإيمان) ، بَابُ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، النسخة اليونانية ، ورواه مسلمٌ في ((صحيحه)) : (69 / 1) ، برقم (45) ، كتاب : (الإيمان) ، بَابُ : الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ ، ورواه غيرهما .
(1) : روي بلفظٍ : ((ما من ذنبٍ أحرى أن يُعَجَّلَ اللهُ لصاحبه العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)) ، أخرجه أبو داود في ((سننه)) : (314 / 5) ، برقم (4866) ، في كتاب : (الأدب) ، باب : في النهي عن البغي ، والترمذي في ((سننه)) ، في (صفة القيامة) : (664 / 4) ، برقم (2516) ، وقال : هذا حديث صحيح ، وابن ماجه في (الزهد) ، باب البغي ، برقم (4211) : (4 / 473) ، وصحَّحه الحاكم في ((المستدرک)) : (180 / 4) برقم (7290) ، وتبعه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) : (3 / 373) ، برقم (3413) .

(2) : ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، كتاب الجهاد : (146 / 28) .

3. إساءة النصيحة عند وجود الخلل ، مع مراعاة اختيار الأسلوب المناسب لعرض هذه النصيحة ، فالنصيحة هي : (إرادة الخير للمنصوح) (1) .

وهذه النصيحة متنوعة في المجتمع المسلم ، ومنها : (النصيحة لأنمة المسلمين ، وتكون بمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وتذكيرهم به ، وتنبيههم في رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب عليهم ، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك .

والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم ، وسدّ خلأّتهم ، ونصرتهم على أعدائهم ، والذبّ عنهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم ، وأنّ يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ، وما شابه ذلك ، انتهى ما ذكره .

ومن أنواع نصحتهم بدفع الأذى والمكروه عنهم : إيثار فقيرهم وتعليم جاهلهم ، وردّ من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردّهم إلى الحق ، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لإزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه) (2) .

4. شيوع فضيلة : اعتزاز المسلم بشخصيته وهويته ؛ لكي لا تذوب هذه الشخصية في وحل التبعية المقيّنة والإمعية .

وهذا يُوجب عدم التأثر بما عند الغرب من عقائد وأخلاق ، والتي من شأنها أن تُضعف شخصية المسلم ومن ثمّ تُضعف العزّة في قلبه .

5. إقامة شعيرة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتي من شأنها : الحفاظ على أمان المجتمع من انتشار الفساد فيه ، ونشر الفضائل الأخلاقية ، وتذكير الناس بعضهم البعض .



(3) : ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 219) .

(1) : ((جامع العلوم والحكم)) : (1 / 232) .

الوسيلة الرابعة : (التمسك بكتاب الله وسنة رسوله *)

إنّ الأمة الإسلامية في عصورها المختلفة كانت تمرُّ بحالاتٍ من القوة والضعفِ ، ولكن الملاحظ أنّ المدّة التي كان المسلمون يتسيدون فيها العالم ويحكمونه لوجدنا أنّ تمسكهم بتطبيق شرع الله كتابًا وسنةً كان من أعظم أسباب قوّة ذلك الجيل .

فلما ضعف التمسك بشرع الله ؛ ضعفت الأمّة وذلت ، وهانت على أعدائها ، وأصبحت مطمعا لكل أحد .

ذلك بأنّ اتباع الهوى يُعمي ويصمّ قلب صاحبه ، ويجعله ذليل النفس ، قال ابن القيم : (ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذلّ النفس وضعها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه ، فإنه سبحانه جعل العزّ لمن أطاعه والذلّ لمن عصاه) (1) .

فالاكتصام بالكتاب والسنة والتمسك بهما ، والعض عليهما بالنواجز هو طريق النجاة الوحيد ، ومجمع الخير كله ، وأساس الفلاح والاهتداء ، كما روي عن النبي * أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي » (2) .

والتمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما هو طريق الهداية والبعد عن الضلال والغواية ، فالقرآن الذي هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، جمع الله فيه الخير كله ، وبين فيه كل شيء كما قال تعالى : + وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَنُذْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٨﴾ " (3) ، وقال تعالى : + مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ " (4) .

ولكن أسرار القرآن وأحكامه لا بد لها من موضح ومفصل ، ومترجم عن الله تعالى فيها ، فكان النبي * هو تبيان القرآن ، والموضح لجميع ما فيه من أحكام وأخبار وأسرار ، فمن أخذ بالقرآن وحده ونبذ سنة النبي * فقد

(1) : ((إغاثة اللهفان)) : (1 / 100) .

(2) : سبق تخريجه في صرفة : (215) .

(1) : [النحل : 89] .

(2) : [الأنعام : 38] .

ضلّ ؛ لأنه سيفهم من القرآن غير ما أراد الله ، كما قال النبي x : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدا في كتاب الله اتبعناه » (1) .

فالكتاب والسنة قرينان لا ينفصلان ، ومن فرّق بينهما فقد عدل عن المحجّة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك ، وبهذا يُعلم أن الأخذ بهما هو التمسك بحبل الله ورسوله x ، ومن تمسك بحبل الله ورسوله x فإنه هو صاحب العزّة الحقيقية ؛ لأنّ القرآن والسنة لا يأمران إلا بأفضل الأخلاق وأكملها وأقومها ، ولا ينهيان إلا عن أرذل الأخلاق وأنقصها ، فمن تخلّق بما فيهما : فقد صار في حزب الله ورسوله x .

وهذه هي العزّة الكبرى التي سعى الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله في تحصيلها ، والسعي وراءها ، فلما حققوا ذلك : نالوا عزة الإسلام ، فانقادت لهم الأمم ، وأذل الله لهم أهل الأرض وملوك العالم ، وما ذلك إلا لأنهم حققوا ما في الكتاب والسنة من الأوامر ، واجتنبوا ما فيهما من النواهي ، فكانوا سادة العالم في زمانهم .

ولمّا خلف من بعدهم خلفٌ اتبعوا الهوى وأعرضوا عن الكتاب والسنة أذلهم الله ذلة عظيمة ، فكانوا عبّاد الهوى والشهوات ، وصاروا أتباعاً بعد أن كان سلفهم متبوعين ، ورماهم الله بالهوان فاستهونهم أعداؤهم وازدروهم ، ولو عادوا إلى اتباع الكتاب والسنة والعمل بما فيهما ، وفهم السلف الصالح لهما : لارتفع عنهم الذل ، وأبدله الله بالعزّ الدائم والتمكين في الأرض ، كما قال الله تعالى : + وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ " (2) .

فهذا وعد من الله تعالى للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله x وأخذوا بما جاء عنهما ؛ بأنه سيجعلهم أهل القوة والعزّة والتمكين والأمن من

(3) : أخرجه أبو داود في ((سننه)) : (192 / 5) ، برقم (4597) ، في كتاب : (السنة) ، باب : في لزوم السنة ، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) : (118 / 3) .
(1) : [النور : 55] .

المخاوف ، كما قال تعالى : + وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ " (1) ، فجعل الله المؤمنين تبعاً لله ورسوله x في العزّة ، وهذا هو الشرف الأعلى .



الوسيلة الخامسة : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ركائز الدين العظيمة التي يقوم عليها ، وهو من خصال الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (1)

وهو معلمٌ من معالم العزّة الحقيقية في نفس صاحبه ، وروضة من رياض الكرامة والرفعة ، فالعزيم من الناس غيورٌ لا يُرضيه المنكر من أيّ شخص فعله ولو أقرب الأقربين إليه ، كما أنّه يَغضبُ لفوات المعروف كذلك .

ولكن هذه الشعيرة ينبغي أن يتصف أصحابها بالعلم الشرعي ، وفهم مقاصده ، واستخدام الحكمة في الأمر والنهي ، وهذا باب واسع ليس هذا محل التفصيل فيه .

وأمر الناس لن يستقيم إلا بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنّ من طبيعة النفس البشرية أنّها جُبِلت على أمور ، منها أمران يختصان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الأمر الأول : أنّ النفس يطراً عليها الخطأ والنسيان ؛ لذلك أمر الله في مواطن كثيرة من كتابه الكريم بالتذكير + فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿١٠١﴾ سَيَذَكِّرُ

مَنْ تَحْشَى ﴿١٠٢﴾ ، وما سُمِّيَ الإنسان إلا من النسيان ، والتذكير علاجه ؛ فاقتضت حكمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أن تقوم بوظيفة التذكير لمن غفل أو نسي أو أخطأ .

الأمر الثاني : أنّ النفس لا تنضبط إلا بالأمر والنهي ، وإلا لو تُركت هكذا من غير أمر ولا نهى لرؤي منها العجب ، فاقتضت حكمة الله أن يأمر العباد بعضهم البعض بالخير واجباً كان أو مندوباً ، وأن ينهى بعضهم بعضاً عن الشرّ محرماً كان أو مكروهاً .

(1) : أخرجه مسلمٌ في ((صحيحه)) : (1 / 71) ، في كتاب : (الإيمان) ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأنّ الإيمان يزيد وينقص ، وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، برقم : (49) .

فالخير كل الخير أن يتربى المسلمون على مثل هذه المعاني وغيرها ،
مِمَّا يُرَبِّي فِي نَفْسِهِمُ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْإِبَاءَ ، فَلَا تُسْتَبَاحُ أَعْرَاضُهُمْ وَلَا
أَبْدَانُهُمْ ، وَلَا يَحِلُّ سَخَطُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .



الوسيلة السادسة : (إقامة الخلافة في الأرض على أساس هدى الله عزوجل)

إنّ الله تعالى قد استخلف بني آدم في الأرض ابتلاءً لهم ، ليجزي من قام بحق هذا الاستخلاف ما يستحقّه من الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة ، وينزل على من قصر في هذا الحقّ العقاب الشديد ، كما قال تعالى : **+ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَيفَةَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ " (1) .**

والمراد بالخلافة هنا : (النيابة عن الغير ؛ إمّا لغيبة المنوب عنه ، وإمّا لموتها وإمّا لخرج زه ، وإمّا لتشريف المستخلف) ، ويستلزم من ذلك : عمران الأرض واستغلال خيرات السموات والأرض التي سخرها الله تعالى لعباده ، كما ورد في تفسير الآية (أي : جعلكم تعمرون الأرض جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، وخلفاً بعد سلف) (2) .

فالمؤمن الذي يستغل خيرات الله ﷻ في طاعته ، وفي خلق المصالح لكل مخلوق من إنسان وغيره ، ودفع المفساد كذلك عن كل مخلوق وعمارة الأرض مادياً بما أودع الله فيها من النعم العظيمة، ومعنوياً بإتباع منهجه وهداه.

فمن استغل تلك الخيرات ، وعمرّ بها الأرض ، وأطاع الله ﷻ واتبع هداة ، فقد حقّق الرغاية من خلقه ، وحقّق الخلافة في الأرض ، ونال العزّة من بعدها ، والرفعة في الدرجات في الدنيا والآخرة .

غير أن تحقيق هذه الخلافة الموصلة للعزّة لا بد أن يتوفر فيها واجبات ؛ متى ما قامت بها الإنسانية ، حصل التمكين في الأرض والعزّة والقوّة والغلبة ، ومن أهم هذه الواجبات :

أولاً : إقامة دين الله ﷻ ، وهو شامل للقيام بحقّ الله وحقّ العباد ، قال تعالى : **+ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٦٥﴾ " (3) .**

(1) : [الأنعام : 165] .

(2) : ((تفسير ابن كثير)) : ((384 / 3)) .

(1) : [الحج : 41] .

فالآية الكريمة بيّنت أن التمكين والقوّة والعزّة ، مقرونة حصولها بإقامة دين الله ﷻ ، وحقوق العباد .

يقول الرازي : (والمراد من هذا التمكّن : السلطنة ، ونفاذ القول على الخلق ؛ لأن المتبادر إلى الفهم من قوله : + الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ " ليس إلا هذا) (1) .

ثانياً : إقامة العدل بين الناس ، والحكم بينهم بالحق . قال الله تعالى : + إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ " (2) .

فالذي يستغل الخيرات والكنوز ، ويعمر الأرض بغير الوسائل المشروعة والمطلوبة للعمارة والخلافة ، كالغش والظلم والاحتكار ... الخ ، فهذه الفئة وإن كتبت لها القوّة والم نعة ؛ فهي قوّة وهمية ، وليست قوّة وعزّة وهيمنة دائمة وباقية ، إنما سوف تنال من دنياها ما كتب الله لها ، وسوف تعيش في الأرض عيشة ضنكٍ ونكد .

قال تعالى : + أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَّهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦١﴾ " (3) .

فكل فردٍ وكل جماعة وكل أمةٍ أعرضت عن ذكر الله تعالى ، وابتعدت عن المنهج الرباني القويم ، كتبت لها الضنك والشقاء والذل في الدنيا ، والعذاب الأليم الشديد في الآخرة ، وإن مكنهم الله عز وجل في الأرض وأعطاهم من أسباب القوة والسلطان ، لكن هذا التمكين مؤقتٌ وليس دائمٌ ؛ هذه هي الحقيقة التي ينساها البشر ، عندما ينحرفون عن عهد الله ﷻ وعن شرط الاستخلاف ؛ ويمضون على غير سنة الله ؛ ولا يتبيّن لهم في أول الطريق عواقب هذا الانحراف ، فيقعون في الذلّ والمهانة والعناد رويداً رويداً وهم لا يشعرون ؛ حتى يستوفي الكتاب أجله ، ويحقّ وعد الله ، ثم تختلف أشكال النهاية : مرّة يأخذهم الله بعذاب الاستئصال _ بعذاب من

(2) : ((التفسير الكبير)) : (11 / 126) .

(3) : [النساء : 58] .

(1) : [الأنعام : 6] .

فوقهم أو من تحت أرجلهم كما وقع لكثير من الأقوام _ ، ومرّة يأخذهم بالسنين ونقص الأنفس والثمرات ، ومرّة يأخذهم بأن يُذيق بعضهم بأس بعض ؛ فيُعذب بعضهم بعضاً ، ويدمر بعضهم بعضاً ، ويُؤذي بعضهم بعضاً ، ولا يعود بعضهم يأمن بعضاً ؛ فتضعف شوكتهم في النهاية ويزدادون ذلّة ومهانة ؛ ويُسلط الله عليهم عباداً _ طائعين أو عصاة يقتلعوهم ممّا مكنوا فيه ؛ ثم يستخلف الله العباد الجُدّد ليبتليهم بما مكّنهم (1) .

فهذا هو حال كل أمة أقامت الخلافة على وجه الأرض ؛ فإن كانت على هدى من الله ﷻ : جعل عاقبتها العزّة والكرامة ، وأقام لها التمكين والقوّة والغلبة في الأرض .

وإن كانت على غير هدى الله ؛ فعاقبتها إلى ذلّ ووبالٍ وخسران، مهما طال الزمان أو قصر .



المطلب الثاني

صِفَاتُ أَهْلِ الْعِزَّةِ

(أثبت القرآن الكريم العزّة الحقيقية للمؤمنين ، ولم يقصد أنّ الناس فريقان : مؤمن وكافر ، فلأولين العزّة هبة من الله ومنحة ومحابة ، وللآخرين الذلّة عقوبة ولعنة وطردها من رحمة الله .

لا ! ولكنّ القرآن يجعل العزّة للمؤمنين ثمرةً لنوع من السلوك والصفات من شأنه أن يكون في المؤمنين ، ومن تتبّع الأوصاف التي وصف بها القرآن المؤمنين ، فإنه يرى المنهاج الرشيد ، والصراط المستقيم ، الذي ينبغي أن يتخذه الإنسان مثلاً له في الحياة ، وأن يطبع نفسه في جميع تصرفاته بطابعه ، ليكون كاملاً وليستحقّ مكانة العزّة الحقيقية عن جدارة واستحقاق) . (1)

والحقيقة أنّ لكل خُلق رجالاً يحملون اسمه ، ويُطبقون رسمه ؛ كذلك هو الحال في خُلق العزّة ، فلا بدّ أن يكون هناك أعزّاء يحملون لواء هذا الخلق بين الناس ؛ لكي ينفعوا أمتهم ومجتمعاتهم ، ومن ثمّ يفتدي بهم غيرهم .

ومن المعلوم أنّ لهؤلاء الأعزّاء صفات كريمة ، هي التي أوصلتهم لما هم عليه _ بعد فضل الله عليهم _ ، وهذه الصفات منها ما هو محسوسٌ ومنها ما هو معنويٌّ ؛ نُذكرُ هنا إجمالاً .

فمن صفات أهل العزّة :

- 1 - الإيمان بالله ﷻ .
- 2 - الخوف من الله والخشية منه .
- 3 - الثقة بموعد الله ﷻ ، وملئ القلب يقيناً به ، والعمل بالأسباب الموصلة لذلك الوعد .
- 4 - الاعتصام بالله والتوكل عليه ، والفرار إليه .
- 5 - الانكسار والتواضع بين يدي الله . وكذا التواضع مع المؤمنين .
- 6 - الأنس بمعية الله ﷻ العامة في مكرهه ومنشطه ، فإن ذلك يُعطيه العزّة والرفعة .

(1) : ((الكرامة والعزّة في القرآن الكريم)) : (13) .

7 - حبُّ الله ﷻ ، وحبُّ رسوله * ، وحبُّ كتابه ، وحبُّ عباده المؤمنين ، وحبُّ ما يُحِبُّه الله ورسوله ، وُبُغْضُ ما يَبْغُضونه ، فكيف يكون عزيزًا من يُقَدِّم على محبة الله ورسوله سواهما من والد وولد ومال !..

ولذلك قال النبي * : « مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا ، نَاسٌ يَكُونُونَ مِنِّي بَعْدِي ، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى ، بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ » (1) .

ويتبع تلك المحبة لوازمها ، م ن فعل ما أمرا به وترك ما نهيا عنه ، وخدمة المؤمنين ، والتواضع لهم ، ومُناصرتهم بالمال والنفس .

8 - تعظيم ما عظم الله ورسوله * من أمر الدين ، وتحقير ما حقره الله ورسوله * .

9 - عدم ازدراء الآخرين من الناس ؛ لأن الكبر غمط الحق ، وهذا يدعوا للازدراء . ولن يكون عزيزًا مَنْ لا يرى أحدًا معه .

10 - عدم الركون إلى الدنيا ، والزهد فيها ، والرغبة فيما عند الله ؛ لأن من تعلق قلبه بالدنيا وملذاتها ؛ فإنه يصع ب عليه تركها ، ومن ثم كانت مُذَلَّةً له ، فيصبح ذليلاً .

فالذي يُذَلُّ من أجل المال استكثارًا له ، يفرح بوجوده ويغضب بزواله ؛ لن يكون عزيزًا يومًا من الأيام ، فقد قال الحسن البصري : (والله ما أعزُّ أحدًا درهم إلا أدله الله ﷻ) (2) ، وكذا هو الحال في بقية ملذات الدنيا .

والمقصود : أن تكون الدنيا في اليد والدين في القلب ، ثم إنَّ الهدف من العيش في هذه الحياة الدنيا هو الاستكثار من الطاعات مع تحسينها ، لا الاستكثار من الملذات والشهوات ، لأنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها ، فلا خوف حينئذٍ .

(1) : أخرجه مسلم في ((صحيحه)) : (4 / 1727) ، برقم (2832) ، كتاب : (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ، باب : فيمن يودُّ رؤية النبي * بأهله وماله .
(1) : ((الزهد)) للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، (330) .

ولذلك ينبغي للإنسان أن يجعل الدنيا في يده لا في قلبه ، يأخذ منها ما يكفيه فيها ، من أجل العبور عن طريقها للدار الآخرة ، فطوبى لمن جعل الله والدار الآخرة نصباً عينيه !

11 -مطالعة مواقف العزّة ومواطنها في سيرة نبينا محمد * ، وسيرة الأنبياء والرسل _ عليهم السلام _ قبله ، وسيرة الصحابة ؓ ، والسلف الصالح من الأمة ، والاقتران بمواقفهم .

12 -التفكر والتأمل في الكتابين : المسطور والمنظور (القرآن والكون) والسنة تابعة للقرآن .

13 - الاعتبار بالسنن .

14 - قوّة النفس والشخصية .

15 - القوة والشدة من غير ظلم ، واللين والتواضع من غير ضعف .

وبالجملة : فإن العزّة محلّها القلب والنفس ، وتنعكس على الجوارح والمواقف .

ولا تعني العزّة في ميزان المسلم : التّيه على الآخرين ، والتكبر عليهم أو احتقارهم ؛ بل تعني في أبسط صورها : التعالي على كلّ ما يُسخط الله ﷻ ورسوله * .

وثمّت فرقٌ بينها وبين الكبر ، فالكبر هو غمط الحقّ وازدراء الآخرين ، والعزّة ليست كذلك ، ولذلك جعلها الله قرينة الإيمان ، ومن صفات المؤمنين في قوله تعالى : + يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُزُ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

" (1) .

وبالتأمل في قوله تعالى: + أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ... ﴿٥٥﴾ " (1)
: يَتَّضِحُ التَّوْازُنُ الْمُنَوِّطُ بِخُلُقِ الْعِزَّةِ فِي شَخْصِيَّةِ الْمُسْلِمِ ، وَ أَنَّ الْمَوَاقِفَ
عِنْدَهُ مَحْسُوبَةٌ .

وكذلك تتضح هذه الموازنة في قوله تعالى : + مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ
مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^ط تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا^ط سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ^ع ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْعُهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغَلَّظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ
لِيَغِیْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ^ط وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ " (2) .

ومن أطال التأمل في هاتين الآيتين : فإنه يدرك معنى العزّة في
شخصية المؤمن ، وكيف يُوظفُ هذا الخلق العظيم مع الأفراد الذين يتقابل
معهم في حياته في أيّ مكان كان ، فهما قاعدتان يعتمدُ عليها المؤمن العزيز
في شخصيته ؛ لكي يكون عزيزاً ، فيرضي ربّه ، ويرضي ويُسبِعُ غريزته
الفطرية بتحقيق التوازن فيها .

(2) : [المائدة : 54] .

(1) : [الفتح : 29] .



لاشكَّ أنّ لكل خلقٍ أثرًا أو آثارًا تدلُّ على فضله ، وتزيد الهمة في طلبه والتخلق به ، لنيل الربح الدنيوي ، أو الجزاء الأخروي المُعدَّ له .

وكذلك خُلق العزّة له آثاره العظيمة وثمراته الجليلة على الفرد والمجتمع ، ولعلّ الدراسة تكون في هذا المبحث من ناحيتين :

الناحية الأولى : (آثار العزّة) وخصّصه بالأرباح الدنيوية .

الناحية الثانية : (ثمرات العزّة) وخصّصه بالجزاء الأخروي .

وإنّما خصّصت الأرباح الدنيوية بالأثر والأخروية بالثمرات ؛ لأنّ الأثر _ في الأصل _ سريع الحدوث بخلاف الثمرة فإنّها قد تتأخر ، فمنّ مشى على الأرض ظهر أثرُ قدميه عليها ، وأمّا الثمرة فلا تُقطف حتى تُثمر ، وهذا ما يتناسب مع ما يتبادر إلى الذهن من واقع الحياة الدنيا ، وإقبال الآخرة .

الناحية الأولى : (آثار العزّة) :

خُلِقَ العزّة كغيره من الأخلاق الإسلامية ؛ منها ما هو مكتسبٌ ومنها ما هو كائنٌ في أصل تكوين الإنسان .

ولذلك لما علمَ الله ﷻ في الأزل أن نبيه الكليم موسى عليه السلام سيكون من المرسلين في عهد فرعون الطاغية _ الذي أذلّ بني إسرائيل ، واستحيا نساءهم واستعبدهم _ : اختار له أن يتربى زمن طفولته في بيت عزيز لا يُمارس مع أهله الذلّ والاستذلال ؛ ولأنّ دينه دين عزّة أتى من العزيز ﷻ ، فالفطرة والاكْتِسَاب كانا في حياة موسى عليه السلام .

ولكن المهم أن يُعلم أن الخلق الجبلي والكسبي على حَ دّ سواء لهما آثارهما العاجلة في الدنيا والمؤجلة في الآخرة ؛ لأن الله تكرمًا منه ﷻ لا يُعامل العبد نسيئًا ، بل يُجازيه في الدنيا قبل الآخرة .

لِذَا وَجَبَ عَلَى كُلِّ مَنْ يُرِيدُ العزّة أن يعرف آثارها على نفسه التي بين جنبيه ؛ حتى يزداد تحصيلًا لها ، ومن أعظم تلك الآثار الدنيوية :

1- تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وترقيتها إلى مدارج الكمال والفلاح ، فالإنسان العزيز قد عمل على تزكية نفسه ؛ لأنّ عِزّة المرء مع الله ﷻ تكون بالتذلل إليه بالعبادة والذكر .. ، فيكون بذلك قد أفلح بتزكيته لنفسه ، قال الله تعالى :
+ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ ، وكلّما تذلل العبدُ لربه كلّما أخذ من العزّة وتزكية النفس بنصيبٍ وافر .

2- تَكْمِيلُ بِنَاءِ شَخْصِيَّةِ الْمُسْلِمِ ، من الاتِّوَاقِ في أمور حياته ، والقوّة في الحقّ ، والنظر إلى معالي الأمور ، وترك سفاسفها .

3- تَحْقِيقُ عِبَادَةِ اللَّهِ ، العبادة الحقة على وفق ما يُريده الله للمؤمن من توازن في الأداء ، وشمول في العبادات ، وإتقان الأعمال ، وتحقيق معنى الإحسان الوارد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . كل ذلك مع توحيد الوجهة والمصدر لله ربّ العالمين .

4- الرّفعة على الكافرين حسًا ومعنى ، ظاهرًا وباطنًا .

5- الحفاظ على أعراض المسلمين ، وممتلكاتهم ، وبلدانهم ، فلا تصبح _ مع وجود العزّة _ مطمعا للكافرين والمنافقين .

6- طمأنينة النفس ، وراحة البال من الاشتغال بغير عبادة الله ، لأنّ العزيز من الناس يعلم أنّ الأرزاق من الله ، وأنّ رزقه آتية مصداقاً لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فلا يُشغلُ فكره في مال طائل منه من الأمانى التي لا تنتهي ، كما أنّه لا يُذلُّ نفسه من أجل حطام الدنيا الفاني .

وتتحقق الطمأنينة أيضاً عند وجود الأمن والأمان ؛ لأنّ البلد المستعمر أو المحاصر أو المحارب : لا يتمكّن أهله من إقامة عباداتهم وشعائرهم على طمأنينة نفس وارتياح بال .

7- تحقيق الإيمان في قلب صاحبه ؛ لأنّ العزّة من الإيمان ، وهي قرينة له في مواضع من القرآن ، قال تعالى : **+ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾** ، وقال تعالى : **+ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ﴿٢﴾** ، وبما أنّ العزّة من الأخلاق الإسلامية ، فقد قال **x : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » (٣) .**

8- تحقيق اليقين في النفس ، وهو من مقامات الدين العالية ، ويدخل في ذلك : التيقن بوعده الله ونصره للمؤمنين ، وإن تأخر الوعد لحكمة يعلمها ﷺ كما هو حادث الآن في فلسطين ، وهو من سننه ﷺ في الكون .

9- تحقيق الهيبة للمسلم في نفوس الناس ، كفرّة كانوا أم مسلمين ، فلا بدّ للمسلم أن يجعل بينه وبين من يُخالطه حاجزاً ومانعاً من الهيبة في

(1) : [المنافقون : 8] .

(1) : [فاطر : 10] .

(2) : أخرجه أبو داود في ((سننه)) : (216 / 5) ، برقم (4644) ، في كتاب : (السنة) ، باب الدليل على الزيادة والنقصان ، والترمذي في ((سننه)) : (466 / 3) ، برقم (1164) ، في كتاب : ((الرضاع)) ، باب حق المرأة على زوجها ، وأحمد في ((مسنده)) : (63 / 3) ، برقم (7396) ، وصحّحه ابن حبان في كتاب : (البر والإحسان) ، باب حسن الخلق : (227 / 2) ، برقم (479) ، والحاكم في كتاب : (الإيمان) : (43 / 1) ، برقم (1 ، 2) ، وقال : هذا حديث صحيح لم يُحرّج في الصحيحين ، وهو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج .

التعامل ، حتى لا يُستهان به ، فيصبح عرضةً للذلّ ؛ بل يكون مرفوع الرأس ، يأبى الظلمَ والضيَمَ على نفسه ومن حوله .

ولن يكون ذلك إلا بتحقيق العزّة ، فالمسلم الحقُّ هو الذي يتعامل مع الكافر بحسب ما بيّن في الشرع ، فلا يتعامل معه بالضعف لكي لا يُوصف دينه به ، كما أنه لا يُعامله بالعنف والتنفير ، فالإسلام دينٌ الوسطية .

فلو فُدرّ مثلاً أن يغزوا الكفار بلدًا من بلاد المسلمين ؛ فلا بدّ للمسلمين أن تكون كلمتهم بالقول والفعل كلُّ بما يستطيع ، ولا يُسلموا لهم وإن كانوا في ميزان المحسوس أقوىاء ، فالواقع قد أثبت عبر الأزمان المتتابعة أن الإيمان يصنعُ الكرامات والنصر .

وقريباً من ذلك _ فيما يتعلق بموضوع الهيبة _ ما حصل من إساءةٍ للنبي الكريم * من قبل صحيفة دنمركيّة ، فلولا الردود التي صدرت من المسلمين في شتّى البقاع ، وردود الأفعال المختلفة من تأليف الكتب والمطويات والمقاطعة _ بغضّ النظر عن حكمها _ لما كان للمسلمين تلك الهيبة في نفوس أعدائهم ، ولتزايدت تلك الإساءات على رسولنا الكريم وعلى المسلمين ؛ ولكن _ في العموم _ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وأما عن تعامل المسلم مع أخيه المسلم فيسوده المحبّة دون التعدي والظلم والخيانة ، كما أنه يحرص على عدم إراقة وجهه ، أو أن يكون عرضه وماله كلاً مباحاً لكلّ طامع ومُخادع .



الناحية الثانية : (ثمرات العزّة) :

للعزّة ثمرات يقطفها المرء المجتهد في آخرته ، جزاءً لما قدّم في الحياة الدنيا من هذا الخلق العظيم ، فالجزاء من جنس العمل .

وبما أنّ هذا الخلق من ضمن الأخلاق الإسلامية التي وعد الله عباده بأنواع من النعيم ، ومن أعظم تلك الثمرات :

1- حصول رضا الله ﷻ ، فالعزيز ينال رضا الله في الدنيا ، فمن باب أولى أن ينال رضاه في الآخرة تفضلاً منه سبحانه ؛ لأنّ رضا الله ﷻ منوطٌ بفعل طاعته وترك معصيته ، والمعصية تُذلُّ العبدَ في حياته الدنيا ، قال ابن القيم : (المعصية تُورث الذل ولا بد ، فإنّ العزَّ كلَّ العزِّ في طاعة الله تعالى ، قال تعالى : + مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا " (1) ، أي فليطلبها بطاعة الله ؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعته) (2) ، فكيف بأخراه !!

2- أن يكون ماله قطعاً إلى الجنة _ ما دام موحدًا ؛ لأنّه لا عزّة لكافر في الآخرة _ ، وكذا في الدنيا .

وهذا جزاءٌ عامٌ يدخل فيه كل موحدٍ وطائعٍ لله ﷻ ، وبما أنّ العزّة لا تُنال إلا بطاعته ﷻ والبعد عن معصيته ؛ كانت داخلة في هذا الجزاء .

3- رفعة الدرجات في الجنة ، فليس المؤمنون كلهم على عزة واحدة ، بل يختلف بعضهم عن بعض ، فعزّة الأنبياء ليست كعزّة غيرهم ، وهكذا .

ومن هنا كانت الدرجات تتفاوت بحسب الإيمان والطاعة لله ، فكما أنّ العزّة في قلوب أصحابها تختلفُ من إنسانٍ لآخر ، فكذلك المنازل المترتبة لأهل الطاعة والعزّة والكرامة تتفاوت بحسب عزّة كلِّ .

وقد أثبت الله ذلك في القرآن الكريم عند قوله تعالى : + يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ

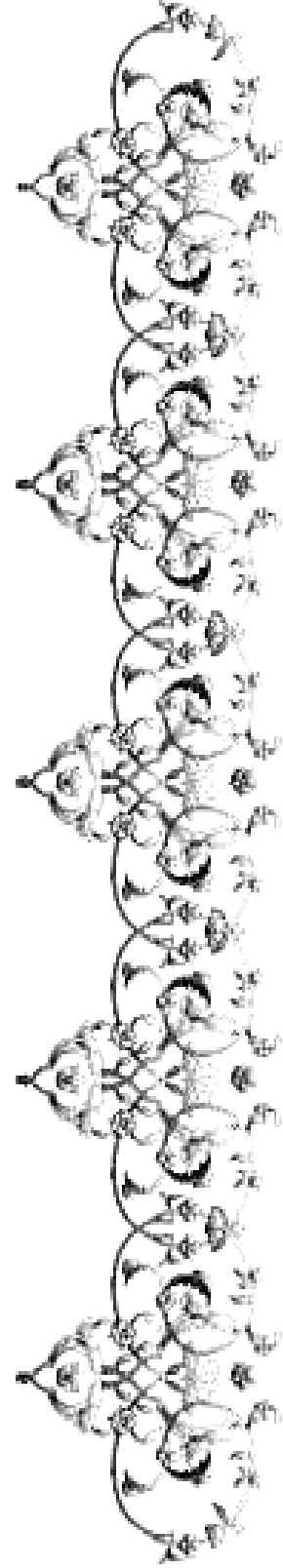
(1) : [فاطر : 10] .

(2) : ((الجواب الكافي)) : (38) .

أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ " (1) ، فرفعة الدرجات قد تكون في الدنيا وقد تكون في الآخرة ، وقد يجمع الله للعبد بينهما .



الخاتمة



وها هي أستارُ هذه الرسالة قد أوْشكت على الانسداد ، وصفحاتها على الانقضاء ، وقد اشتملت على معاني العزّة من منظورها اللغوي والاصطلاحي ، وكذا المعنى الشرعي المبتوث في آيات العزّة ، مع ذكر مُشتقات اللفظة ومُرادفاتها والأضداد .

وميّزت الرسالة بين العزّ والذلّ والكِبْر ، بذكر الفوارق والحدود التي يَنمَازُ بها كُلُّ معنى عن الآخر ، ومأل كل واحد منها في الآخرة .

ثم بيّنت عناية القرآن الكريم بلفظة العزّة ومعناها ، بإبراز وجوه تلك العناية ، وذكر فضلها من حيث كونها خلق إسلامي رفيع ، والثناء على أهلها ، وحديث القرآن عنها من خلال آياتها المختلفة ذات التعلق اللفظي أو المعنوي .

وأشارت الرسالة إلى جُملة من الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم في حديثه عن العزّة ، وخصائص هذه الأساليب عامّة ، فبانَ بذلك حلاوة تذوق تلك الأساليب من خلال قراءة القرآن وفهم مقاصده وعباراته المتنوعة البليغة .

كما أن الرسالة لم تُهمل المباحث التربوية المتعلقة بموضوع العزّة ، والتي لها مِساسٌ بأرض الواقع الذي نعيشه ، فذكرت : العزّة الحقيقية والوهمية ، وبيان سراب العزّة الوهمية مع ضرب أمثلة على ذلك .

ونبّهت على أهمية تربية الأفراد والشعوب على معاني العزّة الحقيقية عبرَ طرق ووسائل كثيرة تكون من خلال التربية الفردية الواقعة في البيت والأسرة والمعهد والنادي ، أو من خلال التربية الجماعية المتمثلة في وسائل الإعلام المُختلفة المقروء منها والمسموع .

وذكرت أنواع العزّة وأقسامها ، وبعض مجالاتها البيئية مع المسلم والكافر ، ومظاهرها ، ووسائل تحقيقها الفردية والجماعية ، وصفات أهلها ، ثم عبّبت بذكر آثار العزّة الدنيوية والأخروية .

إنَّ خُلُقَ العزّة له شأنٌ عظيم على الفرد فيرقيّه ويرفعه ، وله شأنه الكبير على الأمة كلّها فيحفظ لها كرامتها ويجعلها في مقدمة الأمم لا في ذيلها .

اللهم إني أسألك _ وأنت القوي القادر _ أن تُعزّز أمتنا بطاعتك أفرادًا
وجماعات ، وأن يجعلنا ممن انتظم في السير على هذا الخلق العظيم حتى
نلقى الله ﷻ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

النتائج :

ولعل من أبرز النتائج التي خرجت بها من هذا البحث ما يلي :

1. أنّ العزّة خلقٌ إسلاميٌّ نبيلٌ وفاضلٌ ، مَحْتَوٌّ عليه في ديننا ودين من قبلنا _ كما هو ظاهر من أقوال وأفعال الرسل والأنبياء في القرآن الكريم _ ، وأنّه من أعلى الأخلاق الإسلامية المغفول عنها وعن تطبيقها في هذه الأزمان ؛ وعُلم بأنّ سبب علوّ هذا الخلق : ارتباطه بالإيمان ، فهو رفيعُ الشأن من هذا الباب .

2. أنّ للعزّة فضائلَ عديدة على الفرد والمجتمع ، فمن فضائلها على

المجتمع : حماية الأعراض والأوطان ، وضمان الطمأنينة والأمان ، وإقامة الشعائر التعبدية الظاهرة ، وإرهاب أعداء الله ال مُعتدين ، وعدم تسلط الكافرين عليهم أو على خيرات بلدانهم ، وتحقيق هيبة الإسلام في أشخاصه فلا يطمع فيه أحد .

ومن فضائلها على الفرد : تحقيق تقوى الله ، الزهد في الدنيا والتعلق

بالآخرة ، ورحمة المسلم بأخيه المسلم ، وتواضعه له ، وإكرامه ، وإظهار قوة المسلم على الكافر والمبتدع ، وبناء المسلم لشخصيته الإسلامية المميزة التي تتكفل له بالألّا يكون إمعة يُحرّكه أعدائه كما يُريدون ، أو أن تتلاعب به الشبهات أو الشهوات التي تعترضه في طريقه إلى الله ﷻ والوصول إليه .

3. أنّ الأصل في كلمة العزّة لغة : القوة والشدة . وعليه يُبنى المعنى

الاصطلاحي . فالعزّة تعني في أقلّ أحوالها : القوة والشدة والمنعة ، وهذا يُفيد الفرد والمجتمع بأن يكونوا أقوياء في الحقّ حتى مع أنفسهم ومن باب أولى غيرهم ، وأن يتغلبوا على شهواتهم وفقاً للعزّة التي وهبهم الله إياها في نفوسهم ، وأن لا يسمحوا بدخول الأعداء عليها _ سواء النفس أو المجتمع _ وأن يدافعوه بكلّ ما أوتوا من قوةٍ للصدّ ، وإذا دخل حاربوه بكلّ ما تُعنيه الكلمة .

وأما معنى العزّة الاصطلاحي فهو : حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب ، وفيدّ التعريف بقيود ثلاثة ؛ متى ما توقّرت تحقّق فهم المقصود من التعريف .

التقيد الأول : أنها حالة نفسانية ؛ بمعنى : أنها تبدأ من النفس .

القيد الثاني : أن تكون هذه الحالة موصوفة بصفة المنع والمدافعة والمجاهدة.

القيد الثالث : أن تكون هذه المدافعة من أجل أحد شيئين _ غالباً _ :

الأول : الفرار من الانهزامية ، وأن تُوصَفَ النفسُ بها .

الثاني : أو لأجل الافتخار والاعتزاز بها من دون خيلاءٍ وكِبَرٍ .

وهذا معنى صحيح داخلٌ تحت معنى العزّة ، فهي حالة تنشأ من النفس ، ومن ثمّ تظهرُ على الخارج ، وتكتمل هذه الصورة بالمجاهدة والمدافعة لكي تُحصَلَ الفُوزُ وعدم الخسارة .

4. أن خلاصة موضوع العزّة _ من حيث تعامل المسلم مع غيره ، وتُنزِلُها على أرض الواقع _ يكمن في أمور :

الأمر الأول : تحقيق المؤمن _ في تعامله مع مولاه _ لإخلاق العزّة التي

وهبها ﷺ له ولغيره من المؤمنين ، وقد عرفنا أنّ هذا الخلق العظيم لا يتحقّق إلا بتقوى الله وطاعته ، ومحلُّ ذلك : الخوف منه ، ومراقبته ، وإحسان العبادة له وإتقانها ، وفعل الطاعة الواجبة والمندوبة ، وترك المنهيّ عنه من المُحرّم والمكروه .

الأمر الثاني : تعامل المؤمن مع غيره من بني جنسه ، وهم صنفان من

الناس :

1) تعامل المؤمن مع غيره من المؤمنين : وهذا يتعلّق به كلُّ خلقٍ جميلٍ يرمز لإعلاقة المؤمن مع المؤمن ، كالمودة والرحمة ، والنصرة والمساعدة ، والحلم والصفح ، والإكرام ، والصبر ، وكذا حقُّ المسلم على أخيه المسلم كما ورد في الحديث . (1)

وكلُّ هذه الأخلاق والأمور المذكورة يجمعها طابعٌ وخلقٌ واحدٌ ، ألا وهو : لين الجانب والرفق بالمؤمن لأخيه المؤمن ، وهو مستنبطٌ من قوله

(1) : الإشارة هنا إلى حديث: ((حقُّ المسلم على المسلم ست ..))، أخرجه مسلمٌ في ((صحيحه)) برقم (5778) في كتاب : (السلام) ، باب : من حقِّ المسلم للمسلم : ردّ السلام .

تعالى : + **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** " (1) ، وقوله تعالى : + **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** ^ع
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^ط " (2) . فالذلة هنا تستلزم معنى
اللين ، وكذا الرحمة .

(2) تعامل المؤمن مع غيره من الكفار : فهذا فيه حدُّ أعلى وأدنى .

أما الأدنى : فهو خطُّ لا يتعداه المؤمن ، وهو مع الكافر المعاهد
والمستأمن : من التعامل بالحسنى ، مع دعوته للإسلام متى ما سنحت
الفرصة ، شريطة عدم التأثر به عقيدة وسلوكاً .

أما الأعلى : فهو خطُّ يتمثل في الكافر المحارب الذي ليس بيننا وبينه
ميثاق ، وهو الذي أظهر شكيمته وشه ر سلاحه في محاربة الإسلام وقتل
أبنائه ، والصد عنه بكل وسيلة ، فهذا عدو للإسلام يجب جهاده وإيقافه عند
حده حتى لا يستشري شرُّه ، ولا تنتشر فتنته في الأرض ، فجهاده واجب ،
ودفعُه لازم إلا أن يتوب ويرجع .

5. أن العزّة الحقيقية أشبه ما تكون بالحبل الممدود ، وفي إحدى
طرفيه : (العزّة الباطلة) من كِبَر وتِيَهٍ وغرور ، وفي طرفه الآخر :
نقيض العزّة الأصلي وهو (الذلُّ والهوان والضعف) .

فالمؤمن على هذا الحبل يسير ، ويحذر من النزول على أحد طرفيه ،
لذلك عليه توقي الحذر والأمان .

6. أن العزّة كخُلُقٍ من الأخلاق الإسلامية ، فهو يرتبط بكثيرٍ منها
ارتباطاً وثيقاً من باب النتيجة والمآل ، فالتواضع للمؤمن يقود للعزّة ،
وإقامة خلق العدالة مع النفس والغير يُوصل إلى العزّة ، كما أن الرحمة
والحلم لا تتنافى مع العزّة ؛ بل هي منها ، وهكذا .

7. أن أسباب العزّة كثيرة ومتعددة ، منها ما يتعلق بالفرد ومنها ما
يتعلق بالمجتمع المسلم ، ومنها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن .

(2) : [المائدة : 54] .

(3) : [الفتح : 29] .

8. أنّ للعزّة آثار دنيوية : كالسعادة والراحة ، والتوفيق ، ومحبة الله ، والمحبة بين الناس ، والتمكين في الأرض ، ورفع الشأن وعلو القدر والذكر ، وكمال الإيمان .

وأما آثارها الأخروية : فهي حلول الرضى من الله ، ودخول الجنة ، ورفع الدرجات ، ومجاورة رسول الله في الجنة بالقرب منه .

9. أنّ العزّة من لوازم الإيمان ، فلا إيمان لمن لا عزّة له ، قال الله تعالى : **+ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .** " ، وقال ﷺ : **+ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ .** " ، وقال ﷺ : **+ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴿١٦٦﴾ " فالأعلون لفظ فيه معنى العزّة .

10. كل ما ثبت للعزّة منقبة ؛ ثبت ضدّه للذلّ مثلثة ومقصّة .

11. أنّ كلّ شيء يمكن نزعهُ من نفس الإنسان ؛ إلاّ الذلّ فإنه إذا نشأ عليه المرء يظلّ مستقرّاً في نفسه ، وإن ظهر منه غير ذلك .

12. أنّ البيئّة العزيزة تنشئ لنا الفرد والجيل العزيز ، والبيئّة الذليلة لا تنشئ إلاّ الفرد الذليل .

13. أنّ من اتّصف بصفات الذلّ : حرّم الاتصاف بصفات العزّ .

14. أنّ دوافع العزّ تتعلق بالسمو والرفعة ، ودوافع الذلّ تتعلق بالدون والسفل .

15. كلّ خلقٍ محمودٍ مكنتفٍ بخلقين ذميمين ؛ هما طرفاه ، فإنّ حاد إلى أحدهما كان خلقاً مذموماً .

16. أنّ للعزّ الحقيقي المحمود قيدين يمتاز بهما عن العزّ الوهمي الباطل وهو : أن تكون من الله وفيه وله ﷻ ، وأن تكون قائمة على الحقّ والعدل ؛ لأنّ الظلم لا يوصل إلى العزّة والشرف الحقيقي . وعليه : يكون العزّ الوهمي من غير الله ، قاصداً فيه صاحبه غير وجه الله ﷻ ، كما أنها قائمة على الظلم والتعدي بغير الحقّ .

17. وردت لفظة العزّة ومُشتقّاتها في القرآن الكريم : (118) ،
بألفاظٍ مُختلفة ، منها ما هو صفة لله تعالى ، ومنها ما هو وصفٌ للرسول *
والمؤمنين ، ومنها ما هو لقبٌ يُطلق على من يحكم قطر مصر ، ومنها ما
هو متعلقٌ بالمعنى اللغوي ؛ وكلها على تنوعها تدلُّ على أهمية هذا الخلق
في حياة المسلم .

كما أنّ القرآن ذكرَ ألفاظًا ومعاني تؤول إلى العزّة ، كأن تكون سببًا
من أسباب الوصول إليها ، أو على الضدّ منها من باب الترهيب والتحذير ،
والحثّ على ما يُقابلها .



التوصيات :

(1) أهمية تربية النشء على معاني العزّة الحقيقية من خلال البيئّة البيئية والأسرية ؛ لأنهما أساس غرس كل فضيلة في الإنسان أو عكسها مصداقاً لقول النبي ﷺ : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» (1) . فالأب قدوةٌ حقيقيّةٌ حيّةٌ لأبنائه في داخل البيت وخارجه ، وكذا الأم تستطيع تربية أبنائها على الأخلاق الحسنة ، وتنفيرهم من الأخلاق السيئة . فتهيأ المناخ المناسب لهذا البيت حتى ينشأ الفرد فيه نشأة قوية متوازنة شاملة لجميع جوانبه النفسية والعاطفية والجسمية .

(2) الاهتمام من قِبَل المؤسسات التعليمية ، كالمدرسة والمعاهد العلمية ، والجامعات ، والمؤسسات الدعوية : بالتربية الأخلاقية من خلال (التّخلية والتّحلية) فكل خُلُقٍ نَمِيمٍ يَحْتَاجُ إِلَى تَخْلِيَةِ نَفْسِ الشَّخْصِ مِنْهُ عِبْرَ طَرُقٍ أَوْ وَسَائِلٍ ، وَكُلُّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ يَحْتَاجُ إِلَى تَثْبِيثٍ وَتَقْوِيَةٍ وَتَعْزِيزٍ فِي نَفْسِ صَاحِبِهِ عِبْرَ طَرُقٍ أَوْ وَسَائِلٍ .

ويكون ذلك عبر وسائل ، منها : تفعيل مبدأ الثواب والعقاب ، ومبدأ الترغيب والترهيب ، ومبدأ القدوة الحسنة ، ونشر الوعي الفكري بين الناس بخطر الأخلاق الذميمة ومضارها وآثارها عن طريق الكلمات والمطويات التوعوية .

وهذا الاهتمام ينبغي أن يكون مدروساً ومُخَطَّطاً له ؛ لأن المؤسسات التعليمية قائمة على النظام والترتيب والتقيّد بالوقت .

(3) توعية الرأي العام بفضيلة الأخلاق وخطر فقدانها في نفس الوقت ، وأنّ الأمة يظلُّ أمرها قائماً على أمر الله ﷻ ما دامت الأخلاق حيّةً فيها .

وإنّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإن هموا ذهبوا أخلاقهم ؛ ذهبوا (2)

ويكون ذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة ، المقروء منها والمسموع والمرئي ، بإلقاء المحاضرات والندوات ، وكتابة المقالات ، وإقامة الحملات والحفلات من أجل تعزيز الأخلاق . وعليه : ينبغي أن تتضافر الجهود من أجل استعادة الأمة لمكانتها التي بوأها الله إياها ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس .

(1) : سبق تحريجه في ص (221) .

(1) : ((الشوقيات)) : (1 / 35) ، والبيت لأمير الشعراء أحمد شوقي .

(4) أقتُرُحُ على وزارة التربية والتعليم ، ووزارة التعليم العالي _ موفقتين _ بضرورة استحداث مادةٍ علميّةٍ تربويّةٍ تُدرّس على جميع طلاب منسوبها بعنوان : (أخلاق الرسول الكريم *) أو : (أخلاق المسلم) ، ويكون منهجها مشروحاً شرحاً مبسطاً بحسب كل مرحلة من مراحل التعليم ، كالاقتصار على تعريف الخلق وأهميته والحاجة إليه وأثاره الدنيوية والأخروية مع نماذج للقصص القرآني وغيره المختص بهذا الخلق ، على أن يكون التركيز فيها على التطبيق لا التنظير ، والله أعلم .

(5) الاهتمام بتدريس الأخلاق الإسلامية في المساجد من قِبَل إمام المسجد أو مِمّن ينوب مكانه بشكلٍ مُحَبَّبٍ ؛ وبالذات خُلق العزّة الذي أصبح منسياً لدى الناس وكأنهم لم يُلامسوا آثاره ، ويشعروا بخطر أضداده .

ويكون ذلك عبر إلقاء الكلمات والخطب عن العزّة بين الفينة والأخرى ، وكذلك استنباط العبر والفوائد من خلال آيات العزّة في القرآن الكريم ، ومن خلال أحاديث سيّد المرسلين ، وقصص صفوة الخلق من الأنبياء والصالحين .

(6) إقامة ورش عملٍ في المؤسسات التعليمية والدعوية ، الهدف منها تعزيز الأخلاق عمومًا ، والعزّة خصوصًا عند الفئة المستهدفة للدعوة أو التعليم ، ومتابعة تلك الورشة ، وتفعيلها في الحياة اليومية لدى أفراد المؤسسة .

(7) التنبيه على المعلمين على ضرورة غرس معاني العزّة في نفوس الطلاب ، من خلال تعامل المعلم مع طلابه ، فلا يُمارس معهم الضرب والاضطهاد والتخويف ؛ حتى ينشأ الطالب عزيزاً في مدرسته ومعهدده .



الفهارس التفصيلية

وتشتمل على الفهارس التالية :

- (1) فهرس الآيات القرآنية .
- (2) فهرس الأحاديث النبوية .
- (3) فهرس الأعلام .
- (4) فهرس الأشعار .
- (5) ثبت المصادر والمراجع .
- (6) فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

تسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
1	﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	البقرة	129	84 ، 48
2	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	البقرة	143	319
3	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	البقرة	153	313
4	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	البقرة	172	310
5	﴿ وَقَتِلْهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾	البقرة	193	336
6	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾	البقرة	204	125
7	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾	البقرة	206	89 ، 80 ، 34 ، 175 ، 125 ، 188 ، 185 ، 206 ، 197 ، 258 ، 245 ، 260 ،
8	﴿ فَإِنْ زُلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	البقرة	209	86
9	﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ	البقرة	212	97

			حِسَابٍ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ ﴿٠﴾	
237	256	البقرة	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾	10
192 ، 93	257	البقرة	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾	11
92 ، 80 ، 49 ، 176 ، 158 ، 198 ، 184 ، 204 ،	26	آل عمران	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾	12
339 ، 338	28	آل عمران	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾	13
150	104	آل عمران	﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	14
64	112	آل عمران	﴿ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ ۗ أَنَّىٰ مَا تَقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	15
315 ، 136	134	آل عمران	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾	16
، 128 ، 94 ، 193	139	آل عمران	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	17
129	140	آل عمران	﴿ إِن يَمَسُّكُمْ فَزَعٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَزَعٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾	18
94	160	آل عمران	﴿ إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	19

86	56	النساء	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾	20
350	58	النساء	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾	21
131	71	النساء	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾	22
131	102	النساء	﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغفلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾	23
131	104	النساء	﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي آيَاتِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾	24
37 ، 80 ، 102 ، 127 ، 158 ، 162 ، 169 ، 175 ، 176 ، 184 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 203 ، 253	139	النساء	﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾	25
340	2	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرِ اللَّهِ وَلَا أَشْهَرِ الْحَرَامِ وَلَا أَهْدَىٰ وَلَا الْقَلْبِدِ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَن	26

			صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٧﴾	
154	48	المائدة	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ وَلَا اللَّهُ وَمِنْهَا جَا شِرْعَةً مِنْكُمْ جَعَلْنَا لِكُلِّ الْوَحْيِ مِنَ جَاءَكَ عَمَّا أَهْوَاءَهُمْ اللَّهُ شَاءَ وَلَوْ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	27
80 ، 51 ، 27 ، 105 ، 89 ، 107 ، 106 ، 128 ، 124 ، 158 ، 137 ، 175 ، 172 ، 252 ، 177 ، 358 ، 255 ، 372	54	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۗ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾	28
95	56	المائدة	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	29
351	6	الأنعام	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	30
345	38	الأنعام	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَالُكُمْ ۗ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	31
349	165	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ۗ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾	32
177	54	الأعراف	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ	33

			أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ أَنهَارٌ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾	
249	57	الأعراف	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّفَالًا سُقِنَتْهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾	34
315	199	الأعراف	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٦﴾	35
195 ، 95	19	الأنفال	﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ۗ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَإِنْ تُعُودُوا نُعَدْ وَلَنْ نُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ ۗ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾	36
138	24	الأنفال	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۗ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۗ وَأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَىٰهِ يُخَشَرُونَ ﴿٣٨﴾	37
287	53	الأنفال	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾	38
130 ، 267 ، 336 ، 332	60	الأنفال	﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ ۗ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ ۗ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٤٠﴾	39
190 ، 132	23	التوبة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ۗ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤١﴾	40
218	25	التوبة	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۗ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٤٢﴾	41
332	41	التوبة	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ	42

			﴿ اللَّهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١﴾	
80 ، 56 ، 33 258 ، 87 ،	128	التوبة	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٢﴾	43
95	47	يونس	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٣﴾	44
236	58	يونس	﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ﴾ ﴿١٤﴾	45
93	62	يونس	﴿ آيَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١٥﴾	46
، 159 ، 81 184 ، 169	65	يونس	﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿١٦﴾	47
146	71	يونس	﴿ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَبْقَوْنَ إِن كَانِ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَابِي وَتَذَكِيرِي بِبَايْتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ ﴿١٧﴾	48
146	72	يونس	﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسَابِقِينَ ﴾ ﴿١٨﴾	49
201	1	هود	﴿ الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ﴿١٩﴾	50
320	29	هود	﴿ وَيَنْقُورُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۗ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ؕ إِنَّهُمْ مُلْغُوا رَبِّهِمْ وَلِيَكْفِي أَرْبُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾	51
، 89 ، 81 148	92-91	هود	﴿ قَالُوا يَسْئَعُ بِنَا مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ۗ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۗ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ ﴿٢١﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي ۗ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ۗ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ﴿٢٢﴾	52
91 ، 81	30	يوسف	﴿ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرُّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٢٣﴾	53

91 ، 81	51	يوسف	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَأَوْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلِبَ حَشَنَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾	54
133	53	يوسف	﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ ۗ إِنَّ رَبِّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾	55
190 ، 92	76	يوسف	﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۗ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾	56
91	78	يوسف	﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾	57
91 ، 82	88	يوسف	﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۗ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	58
328	11	الرعد	﴿ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾	59
82	20	إبراهيم	﴿ وَمَا ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌ ﴿٢٠﴾ ﴾	60
274	9	الحجر	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	61
345	89	النحل	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾	62
318	90	النحل	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾	63
141	7-4	الإسراء	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهِنَّمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ	63

			عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدِ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۗ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٦٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ۖ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنُكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۗ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَفْؤُا وَجُوهَكُمْ ۖ وَليَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤُا مَا عَلُوا تَتَبِيرًا ﴿٦٤﴾
205	9	الإسراء	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٦٢﴾
142	16	الإسراء	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ ﴿٦٣﴾
، 90 ، 83 212	34	الكهف	﴿ وَكَانَ لَهُمْ تَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ﴿٦٤﴾
212	39	الكهف	﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ﴿٦٥﴾
296	66	الكهف	﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ ﴿٦٦﴾
، 60 ، 83 261	81	مريم	﴿ وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِّيُكُونُوا هَمًّا عَزًّا ﴾ ﴿٦٧﴾
296	114	طه	﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْحَقُّ أَلْمَلِكُ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ﴿٦٨﴾
148	67-58	الأنبياء	﴿ فَجَعَلَهُمْ جُدُودًا ۖ إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا ۖ إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ ۖ إِبْرَاهِيمُ ﴿٧١﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا ۖ إِنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا ۖ يَبْرَاهِيمُ ﴿٧٣﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ ۖ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٧٤﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا ۖ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ نَكَسُوا رُءُوسِهِمْ عَلَىٰ لِقْدٍ ۖ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا

			يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَكْفُرُونَ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾	
333 ، 276	107	الأنبياء	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	70
98	11	الحج	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٧٨﴾ ﴾	71
326	18	الحج	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٩﴾ ﴾	72
95	38	الحج	﴿ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٨٠﴾ ﴾	73
97	40	الحج	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُلِدَّتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٨١﴾ ﴾	74
، 190 ، 96 350	41	الحج	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتَوُا الزَّكٰوةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوُا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٨٢﴾ ﴾	75
192	60	الحج	﴿ * ذَٰلِكَ وَمَن عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٨٣﴾ ﴾	76
98	73	الحج	﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِن يَسْأَلِهِمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٨٤﴾ ﴾	77
310	51	المؤمنون	﴿ يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ صَلِحًا وَعَمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مِن كُلِّ أُمَّةٍ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٨٥﴾ ﴾	78
، 96 ، 64 ، 191 ، 118	55	النور	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ	79

346			في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولبيكننهم ديتهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿٣٤٦﴾	
83 ، 57 ، 35 ، 89 ،	44	الشعراء	﴿ فَأَلْقُوا حَبَاهُمْ وَعَصِيهَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ ﴿٣٤٧﴾	80
219	127	الشعراء	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٤٨﴾	81
136	217	الشعراء	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿٣٤٩﴾	82
90 ، 83 ، 52	34	النمل	﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٣٥٠﴾	83
213	76	القصص	﴿ * إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَهُ مِنْ آلِ كُتُبٍ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُ بِالْعِصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ﴿٣٥١﴾	84
213	79	القصص	﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٣٥٢﴾	85
214	81	القصص	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ ﴿٣٥٣﴾	86
214	82	القصص	﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٣٥٤﴾	87
290 ، 40	69	العنكبوت	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٣٥٥﴾	88
140	5-1	الروم	﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٣﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٥﴾	89

			﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾	
247	40	الروم	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	90
287	92	الأحزاب	﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾	91
216	2	فاطر	﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	92
86 ، 84 ، 3 ، 116 ، 109 ، 126 ، 118 ، 169 ، 159 ، 197 ، 180 ، 203 ، 202 ، 225 ، 211 ، 363 ، 252 ، 365 ،	10	فاطر	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾	93
83	17	فاطر	﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾	94
298	28	فاطر	﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾	95
84 ، 54 ، 51 ، 149 ، 92 ،	14	يس	﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعُزِّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾	96
187	1	ص	﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾	97
87 ، 84 ، 34 ، 185 ، 124 ، 198 ، 186 ، 261 ، 258 ،	2	ص	﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ﴾	98
31 ، 29 ، 26 ، 92 ، 84 ،	23	ص	﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾	99
304	29	ص	﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾	100

133 ، 87،83	82	ص	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾	101
133	83	ص	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	102
74	35	غافر	﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُتُوبًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكِ كَذَلِكِ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾	103
37 ، 32 ، 31 ، 88 ، 83 259	41	فصلت	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾	104
251	42	فصلت	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾	105
83	49	الدخان	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾	106
214	51	الزخرف	﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي بِمِصْرَ مَلِكٌ لِي مِنْ تَجْرِي الْأَنْهَارِ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾	107
214	55	الزخرف	﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	108
253 ، 195	49	الدخان	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾	109
74	20	الأحقاف	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِبْيَعْتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	110
94 ، 65	7	محمد	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾	111
133	35	محمد	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يُزَكِّمَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾	112
230	2	الفتح	﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُثَبِّتْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾	113
، 91 ، 43 ، 139 ، 130 ، 191 ، 175 374 ، 360	29	الفتح	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْلَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَتَتَفُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْنَجٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى	114

			سُوقِهِمْ يُعْجَبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٥﴾	
295	15	الحجرات	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾	115
51	19	النجم	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾	116
94 ، 63 ، 53 297 ، 192 ، 368 ،	11	المجادلة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٧﴾ ﴾	117
62	22	المجادلة	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۗ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾	118
291	8	الصف	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١١٩﴾ ﴾	119
276	9	الصف	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾	120
88 ، 84 ، 50 ، 93 ، 90 ، ، 108 ، 103 ، 128 ، 124 ، 139 ، 133 ، 169 ، 159 ، 177 ، 173 ، 181 ، 180 ، 202 ، 197 ، 255 ، 203 ، 346 ، 260	8	المنافقون	﴿ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَ بِنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۗ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ ۚ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾	121

362 ، 357				
97	10	القلم	﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾	122
242 ، 221	10-7	الشمس	﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ ﴿٩﴾ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١٠﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١١﴾ ﴾	123
361	9	الشمس	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ ﴾	124
256 ، 247	8-7	الشرح	﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ ﴾	125
10	5	العلق	﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾	126

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	طرف الحديث	تسلسل
231	« أُحِبُّهُ لِأَمِّكَ ؟ »	1
140 ، 110	« إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ... »	2
67	« اسْتَقِمْ يَا سَوَاد ... »	3
216	« اطْلُبُوا حَوَائِجَكُمْ بِعِزَّةِ النَّفْسِ ... »	4
363	« أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا »	5
274	« أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ... »	6
65	« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ ... »	7
64 ، 61	« الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ... »	8
340	« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا »	9
319	« الْوَسْطُ : الْعَدْلُ »	10
33	« إِنَّ الْجَدْعَ يُوقِي مِمَّا يُوقِي مِنْهُ الثَّنْيُ ... »	11
275	« إِنَّ الدِّينَ يَسْرٌ ... »	12
73	« إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ... »	13
106 ، 41 ، 13	« أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ... »	14
246	« إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي ... »	15
233	« إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... »	16
253	« إِنَّ لِلَّهِ ثَلَاثَةَ أَثْوَابٍ ... »	17
221	« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ »	18
116 ، 14	« إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مِنْ وَالِيَةٍ ... »	19
310	« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ... »	20
344 ، 215	« تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا ... »	21
65	« تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ ... »	22
372	« حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ... »	23
173 ، 108	« دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ ... »	24
174	« صَيِّبًا نَافِعًا ... »	25
326	« عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ ... »	26
231	« فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً ... »	27
117	« قَالَ اللَّهُ ﷻ الْكِبْرِيَاءَ رِدَائِي ... »	28
245 ، 223	« كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ... »	29

345	« لا ألفين أحدكم متكناً على أريكته يأتيه الأمر من أمري ... »	30
144	« لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود ... »	31
73	« لا يدخل الجنة مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ... »	32
139	« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ ... »	33
341	« لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه »	34
270	« لأنّ يحتطب أحدكم حزمة على ظهره ... »	35
243	« لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً ... »	36
254	« لبيّغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ... »	37
279	« ليس الغنى عن كثرة العرض ... »	38
342	« ليس ذنب أسرع عُقوبة من البغي وقطيعة الرّحم ... »	39
270	« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ... »	40
321	« ما أنا والدنيا ؟ ... »	41
355	« من أشدّ أمّتي لي حباً ... »	42
280	« من أعطى الذلة من نفسه طائعاً ... »	43
282	« من تشبّه بقوم فهو منهم ... »	44
، 134 ، 117 329 ، 316	« ما تواضع أحد لله إلا رفّعه ... »	45
347	« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ... »	46
73	« من فارق منه الروح الجسد ... »	47
334 ، 138	« من قتل دون ماله فهو شهيداً ... »	48
228	« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ... »	49
135	« من يمنعك مني ؟! ... »	50
34	« هل تدرين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة ... »	51
313	« واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً .. »	52
74	« يا أيها الناس أفسحوا السّلام ... »	53
327	« يا بلال أقم الصلّاة أرحناً بها »	54

322	« يَا بَنِي إِهْرَافِيمَ يَا بَنِي إِهْرَافِيمَ ... »	55
62	« يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ ... »	56

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	تسلسل
139	إبراهيم بن احمد بن إسماعيل الخواص	1
301	إبراهيم بن ادهم بن منصور التميمي البلخي	2
93	إبراهيم بن عمر البقاعي	3
58	ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد الزرعي	4
28	ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني	5
55	ابن خالويه الحسين بن احمد	6
74	ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون	7
302	ابن رجب ، عبد الرحمن بن احمد السلامي البغدادي	8
178	ابن عادل ، عمرو بن علي الحنبلي الدمشقي	9
296	ابن علان ، محمد بن علي بن محمد ع لان بن إبراهيم البكري الصدقي	10
98	ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير	11
26	ابن منظور ، محمد مئوم بن علي الانصاري	12
160	ابن هشام النحوي ، عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام	13
196	ابو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	14
111	ابو العتاهية ، إسماعيل بن ابي القاسم بن سويد العنزي	15
243	ابو القاسم السهلي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن اصبغ بن حسين بن سعدون	16
98	ابو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف بن علي بن حيان القرطبي	17
30	ابو سليمان الخطابي ، حمد بن محمد بن خطاب البستي	18
29	ابو كبير ، ثابت بن عبد شمس الهذلي	19
296	ابو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران	20
314	ابو علي الدقاق ، الحسن بن علي النيسابوري	21
27	احمد بن فارس القزويني	22
49	اسامة بن منقذ الكناني الشيرازي	23
207	الالوسي ، محمود شكري بن عبد الله الالوسي الحسيني	24
245	الباجي ، سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الاندلس القرطبي	25

28	البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي النيسابوري .	26
الصفحة	العلم	تسلسل
27	ثعلب ، احمد بن يحيى بن يسار الشيباني	27
161	الثمانيني ، ابو القاسم الموصلي الضرير	28
44	الحرّاني ، علي بن احمد بن الحسن التجيبي	29
318	الحسن بن يسار البصري ، ابو سعيد	30
14	الرازي ، احمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي	31
36	الراغب الاصفهاني ، الحسين بن محمد	32
53	الزبيدي ، محمد بن محمد بن محمد الحسيني (المرتضى الزبيدي)	33
57	الزمخشري ، محمود بن عمر الخوارزمي .	34
135	زين العابدين بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب	35
247	السرخسي ، محمد بن احمد بن سهل السرخسي	36
225	سهل بن عبد الله التستري ، ابو محمد	37
49	صلاح الدين الايوبي ، يوسف بن ايوب	38
50	الطبري محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير	39
29	طرفة بن العبد بن سعد بن فائق	40
199	عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي	41
95	عبد الرحمن بن علي الجوزي	42
35	علي بن اسماعيل ابن سيده	43
301	علي بن بكار البصري	44
68	عنتر بن شداد عمرو العبسي	45
241	القاضي عياض ، ابو الفضل عياض بن موسى بن عمرو اليحصبي	46
52	القرطبي ، محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري	47
174	كثير بن عزة ، ابو صخر الخزاعي المدني	48
229	الكرماني ، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد	49
248	الماوردي ، ابو الحسن بن علي بن محمد بن حبيب البصري	50
33	المتنبي ، احمد بن الحسين بن الحسن الكندي (ابو الطيب المتنبي)	51

33	مجاهع بن مسعود بن تعبلة السلمي	52
33	محمد اشرف بن امير بن علي بن حيدر الصديقي العظيم ابادي	53
26	محمد بن ابي بكر الرازي	54
57	النابعة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني	55
299	النضر بن شميل بن خرشة المازني التميمي	56
61	يحي بن شرف النووي	57

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت	تسلسل
302	وَدَرَ النَّاسَ جَانِبًا	1
166	وَدَرَكَ نَسْبَةً بِتَصْدِيقٍ وَسُمِّ لأنه مقدّم بالطبع	2
313	بمئزلة فيها العزيز دليل	3
111	وَحَبِّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الدَّلُّ وَالْعَدَمُ	4
288		5
28	فِي كُلِّ نَائِبَةٍ عِزَاؤُ الْأَنْفِ	6
261	فكم عزّة قد نالها المرء بالذل إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن الوصل	7
29	ح.ت.ى انتته - يث إلى ف. ر.أش ع.زي.زة شع. واء ، روثه أنفوا ا كالم خ.صرف	8
244		9
48	وَأَنَّ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ يَعِزُّ بِهِ الْعَرِيبُ لَدَى الْحِوَارِ أَبَاهُ الضَّمِيمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ	10
173	صوب الربيع وديمة تهمي	11
69	وتفزع بالقليل من الحطام ولا تحت المذلة ألف عام	12
76	والمزح والضحك الكثير سقوط والياس من صنع الإله فنوط	13
30	شماريخ رضوى عزّة وتكرماً	14
174	في الحسن عند موفق لقضى	15
50	مهوى جمال مالك في الإدلاج	16
249	فليس من الأشياء شيء يقاربه فقد كملت أخلاقه ومآربه	17
377	فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا	18
335	وحكم العادة بالتقرر . وخذ لأربعين من قواعد . بنوا عليها صوراً جزئية .	19
30	لكانواله عزّاً عزيزاً وناصرًا	20
165	نذا والاستفهام وهي خصصت	21

	حَاوِيَةٌ لِمُعْظَمِ الْأَحْكَامِ	بِأَنَّهَا أَسْلٌ لِّلِاسْتِفْهَامِ	
244	بِطْنِ مَكَّةَ نَابِي الدَّارِ وَالتَّقْرِ يَا لِلرَّجَالِ وَبَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْعُدْرِ	يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومِ بَضَاعَتِهِ وَمُحْرَمِ أَشْعَثِ لَمْ يَقْضِ عُمُرَتَهُ إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ	22
57	وَالْحَامِلِ الْإِصْرِ عَنْهُمْ بَعْدَمَا	يَا مَانِعِ الضَّمِيمِ أَنْ يَغْشَى سِرَاتِهِمْ غَرَقُوا	23
34	وَجِدَانُنَا كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ عَدَمٌ	يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ	24
49	عَنْهُ الْمَلُوكُ وَمُظْهِرُ الْإِيمَانِ وَأَذَلَّ حِزْبَ الْكُفْرِ وَالطَّغْيَانِ	يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ حِينَ تَخَاذَلْتُ بِكَ قَدْ أَعَزَّ اللَّهُ حِزْبَ جُنُودِهِ	25

فهرس المصادر والمراجع

أولاً	القرآن الكريم
ثانياً	الكتب والرسائل والمجلات العلمية
المسلسل	الكتاب
1	الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، من دون تحقيق وسنة نشر .
2	الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط / مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة) ، الطبعة الأولى : (1417 هـ) .
3	الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن أبي علي الأمدي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1405 هـ) ، تحقيق : إبراهيم العجوز .
4	إحياء علوم الدين ، أبي حامد الغزالي ، ط / دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى : (1423 هـ) ، دراسة وتدقيق : محمد خير طعمه حلي .
5	الأخلاق والأخلاق التطبيقية في الشريعة الإسلامية ، محمد ماجد عتر ، ط / دار النهج للتوزيع (حلب) ، الطبعة الأولى : (1427 هـ - 2006 م) .
6	الأدب الشرعية ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي ، ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة لثانية : (1417 هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعمر القيام .
7	أدب الدنيا والدين ، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، بدون سنة الطبع .
8	الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ط / دار الصديق (السعودية) ، الطبعة الأولى : (1419 هـ) ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
9	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبي سعود ، دار إحياء التراث العربي (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1411 هـ) .
10	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1405 هـ) .
11	أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) .
12	أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط / دار الكتب والوثائق القومية (مصر) ، 1973 م .
13	أساليب الاستفهام في القرآن ، أ / عبد العليم فوده ، ط / المجلس الأعلى للفنون والآداب ، من دون معلومات نشر أخرى .
14	أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن بن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف ، (بابن الأثير) .

15	الإسلام وبناء الشخصية ، أ.د. أحمد عمر هاشم ، ط/ عالم الكتب (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1417هـ) .
16	الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم ، محمد محمود أحمد سيّد أباب الطالب ، ط/ مطابع البلاغ (جدّة) ، الطبعة الثانية : (1413هـ) .
17	أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهجًا ، للدكتور : عبد الغني محمد بركه ، ط / مكتبة وهبة (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1403هـ) .
18	الإصابة في معرفة الصحابة ، أحمد بن علي ال عسقلاني ، ط/ تُوزع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود ، الطبعة الأولى : (1429هـ) ، تحقيق : عبد الله التركي .
19	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، إشراف : بكر أبو زيد ، ط/ دار عالم الفوائد (مكة) ، الطبعة الأولى : (1426هـ) .
20	إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، لـ د . صلاح الخالدي ، ط / دار عمّار (عمّان) ، الطبعة الأولى : (1421هـ) .
21	الأعلام ، محمد خير الزركلي ، دار العلم للملايين (بيروت) ، الطبعة الثانية عشرة : (1997م) .
22	الإعلام الإسلامي الأهداف والوظائف ، لسيد محمد ساداتي الشنقيطي ، ط / دار عالم الكتب (الرياض) ، الطبعة الأولى : (1411هـ) .
23	أعلام النبوة ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، ط / دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الأولى : 1987م ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي .
24	أعيان العصر وأعوان النصر ، خليل بن أبيك الصفدي ، ط/ دار الفكر (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1418هـ) ، تحقيق : د. علي أبو زيد وجماعة .
25	إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر الزرعي ابن القيم ، دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1417هـ) .
26	الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسن الأصبهاني ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الرابعة : (1422هـ) .
27	الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن سعد الدين القزويني ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، من دون معلومات نشر .
28	البحر الزخّار المعروف بمسند البزّار ، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزّار ، ط / مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة) ، الطبعة الأولى : (1415هـ) ، تحقيق : د. محفوظ زين الله .
29	بحر العلوم ، نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ، ط / دار الفكر (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1416هـ) ، محب الدين عمر بن غرامة .
30	البحر المحيط ، أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيّان ، ط/ دار الكتاب الإسلامي (القاهرة) ، الطبعة الثانية : (1413هـ) .
31	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1426هـ) ، تحقيق : عمر الراوي .

32	البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ال قرشي الدمشقي ، ط / دار المعرفة (بيروت) ، الطبعة الخامسة : (1420هـ -) ، عناية : عبد الرحمن اللادقي و محمد بيضون .
33	بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة) ، الطبعة الأولى : (1416هـ) ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد .
34	البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، 1422هـ .
35	بصائر ذوي التمييز في الطائف الكاتب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، طبعة وزارة الأوقاف (مصر) ، 1429هـ ، تحقيق : محمد بن علي النجار .
36	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، لـ أ. عبد المتعال الصعيدي ، ط/ مكتبة الآداب (القاهرة) ، 1420هـ .
37	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط/ المكتبة العصرية (بيروت) ، من دون معلومات نشر ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
38	بلغة الأريب في مصطلح أثار الحبيب ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، ط / دار البشائر الإسلامية (بيروت) ، توزيع : مكتب المطبوعات الإسلامية (حلب) ، الطبعة الثانية : (1408هـ) ، عناية : عبد الفتاح أبو غدة .
39	البلغة في تراجم أئمة النحو و اللغة ، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، جمعية أحياء التراث الإسلامي (الكويت) ، الطبعة الأولى : (1407هـ) ، تحقيق : محمد المصري .
40	البيان في مباحث من علوم القرآن ، أ. عبد الوهاب عبد المجيد غزلان ، ط/ دار التأليف (مصر) ، من دون سنة نشر .
41	البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ ، ط / مكتبة الخانجي (القاهرة) ، الطبعة السابعة : (1418هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .
42	تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن الحسيني الزبيدي ، ط / مطبعة حكومة الكويت ، 1395هـ ، تحقيق : التريزي ، وحجازي ، والطحاوي ، والعزباوي .
43	تاريخ دمشق ، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، ط / دار الفكر (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1419هـ) ، بحاشية : علي شيري .
44	تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، ط/ من دون دار نشر (بيروت) ، الطبعة الثالثة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
45	تاريخ علماء الأندلس ، عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ، ط/ الدار المصرية (1966م) ، تحقيق : عزّت عطار الحسيني .
46	تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ، ط/ دار الفكر (بيروت) ،

1415هـ ، تحقيق : عمر بن غرامة العمروي .	
تأويلات أهل السنة ، لأبي منصور محمد بن محمد المأثريدي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى: (1426هـ) ، تحقيق : د. مجدي باسلوم .	47
التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع (تونس) ، من دون سنة نشر .	48
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، مكتبة الكوثر (الرياض) ، الطبعة الرابعة : (1418هـ) (بيروت) ، تحقيق : نظر عمر الفاريابي .	49
التذكار في أفضل الأذكار ، أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ط/ دار البيان (دمشق) ، الطبعة الثالثة : (1407هـ) ، تحقيق : بشير محمد عيون .	50
تذكرة الحفاظ ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى .	51
التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية ، يوسف خطّار محمد ، ط/ دار التقوى (سوريا) ، 1424هـ .	52
التربية الوقائية في الإسلام ، ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، د . خليل بن عبد الله الحدري ، ط / جامعة أمّ القرى (مكة) ، (1418هـ) ، رسالة علمية .	53
التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي ، ط/ دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الرابعة : (1403هـ) .	54
التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، ط/ دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1417هـ) .	55
تفسير ابن عرفة المالكي ، ط / مركز البحوث بالكلية الزيتونية (تونس) ، الطبعة الأولى : (1986م) ، تحقيق : د. حسن المناعي .	56
التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، ط/ مكتبة وهبة (القاهرة) ، الطبعة الثانية : (1428هـ) .	57
تفسير البيضاوي بحاشية الخفاجي ، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، ط/ دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى : (1417هـ) ، ت : عبد الرزاق المهدي .	58
تفسير الجلالين ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط/ دار التراث (القاهرة) ، من دون سنة الطبع .	59
تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ط / دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1422هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .	60
التفسير الكبير ، محمد بن عمر الرازي ، ط/ دار الكتب العلمية (طهران) ، من دون سنة نشر .	61
تفسير سورة فاطر دراسة تحليلية وموضوعية ، د . عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، ط / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، المكتبة المركزية .	62

63	تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي العسقلاني ، ط/ دار العاصمة ، الطبعة الأولى : (1416هـ) ، تحقيق : أبو الأشبال الباكستاني .
64	التكرار ، لـ د. حسين نصّار ، ط/ مكتبة الخانجي (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1423هـ) .
65	تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، الخطيب جلال الدين محمد القزويني ، ط/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1423هـ) ، تحقيق : الدكتور : ياسين الأيوبي .
66	التلخيص في علوم البلاغة ، محمد بدر بن عبد الرح من القزويني ، ط/ دار الكتب (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1418هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداي .
67	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، الفاروق الحديثة في الطباعة والنشر ، الطبعة الثانية (1422هـ) ، تحقيق : أسامة بن إبراهيم .
68	تهذيب التهذيب ، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1415هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
69	تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني ، ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1415هـ) ، تحقيق : د. بشار عواد معروف .
71	تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهرى ، ط/ دار إحياء التراث العربي (بيروت) ، الطبعة الأولى : (2001 م) ، تحقيق : محمد عوض مرعب .
72	التوقيف على مه مات التعريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، ط / دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى : (1410هـ) ، تحقيق : د. محمد الداية .
73	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط/ مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى : (1419هـ) .
74	الثقافة الإسلامية في العقيدة والشريعة والأخلاق ، للدكتور : سيد عبد العزيز السيلي ، ط/ دار المنار (القاهرة) ، من دون سنة نشر.
75	جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، ط/ مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1420هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .
76	جامع العلوم والحكم ، زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهرير بابن رجب ، ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة السابعة : (1417هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وإبراهيم باجس .
77	جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، لزين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهرير بابن رجب ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة السابعة (1417هـ) ، ت: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس .
78	الجامع لأحكام القرآن ، أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، ط / دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1426هـ) ، تحقيق : عبد

الرزاق المهدي .	
الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي القرآن ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) الطبعة الأولى : (1427هـ -) ، حقق بإشراف د. عبد الله التركي .	79
جمهرة اللغة ، لأبن دريد ، ط / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1345هـ .	80
الجنى الداني في حروف المعاني ، ابن أمّ قاسم المرادي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1413هـ) .	81
جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، ط / مؤسسة المختار (القاهرة) ، الطبعة الثانية : (1427هـ) .	82
الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ط / دار ابن حزم (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1417هـ) ، تحقيق : إبراهيم باجس .	83
حاشية الخرشبي على مختصر سيدي خليل ، محمد بن عبد الله بن علي الخرشبي المالكي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1417هـ) ، ضبط وتخريج : زكريا عميرات ، توزيع : مكتبة عباس الباز .	84
الحثّ على طلب العلم ، الحسن بن عبد الله أبو هلال لعسكري ، ط / دار الفيصلية (القاهرة) ، تحقيق : عبد المجيد دياب .	85
الحجة في القراءات العشر ، الحسين بن أحمد بن خلوية ، ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة : (1417هـ) ، تحقيق : عبد العال مكرم .	86
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جلال الدين السيوطي ، ط / دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى : (1387هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .	87
حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، لمجموعة من الباحثين ، ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة) ، الطبعة الخامسة : (1429هـ) .	88
حقائق التفسير ، محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1421هـ) ، تحقيق : سيد عمران .	89
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط / دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الرابعة : (1405هـ) .	90
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط / دار الفكر (بيروت) ، المكتبة السلفية ، من دون سنة نشر .	91
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1409هـ) .	92
الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، ط / دار إحياء التراث العربي (بيروت) ، تحقيق : عبد السلام هارون .	93
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي ، دار الكتب العلمية	94

(بيروت) ، الطبعة الأولى : (1418هـ) .	
95 خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، ط/ مكتبة وهبة (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1413هـ) .	
96 خُلق المسلم ، محمد الغزالي ، ط / دار القلم (دمشق) ، الطبعة الحادية والعشرون : (1425هـ) .	
97 الدرّ المصون في علم الكتاب ا لمكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، ط/ دار القلم (دمشق) ، الطبعة الأولى : (1414هـ) ، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط .	
98 الدرّ المنثور ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط / الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (1418هـ) .	
99 دراسات جديدة في إعجاز القرآن ، للدكتور : عبد العظيم المطعني ، ط / مكتبة وهبة (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1417هـ) .	
100 دراسات في أصول التفسير ، د. محسن عبد الحميد .	
101 دراسات في علوم القرآن ، د : فهد الرومي ، ط / مكتبة التوبة ودار المتعلم ، الطبعة الثامنة : (1420هـ) .	
102 الدعوة الإسلامية في القرن الحالي ، محمد الغزالي ، ط/ دار الشروق (مصر) ، الطبعة الثانية : (1427هـ) .	
103 دلالات التراكيب .. دراسة بلاغية ، للدكتور : محمد محمد أبو موسى ، ط / مكتبة وهبة (القاهرة) ، الطبعة الثالثة : (1425هـ) .	
104 دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، د . منير محمود المسيري ، ط / مكتبة وهبة (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1426هـ) .	
105 دليل الفالحين ، ط / دار الحديث (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1419هـ) ، تحقيق : عصام الدين الصبابي .	
106 الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1417هـ) ، تحقيق : مأمون الجنان .	
107 الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط/ دار ابن عفان (الخبر) ، الطبعة الأولى : (1416هـ) ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني .	
108 ديوان أبي العتاهية ، إسماعيل بن القاسم بن سويد ، ط/ دار صادر (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1418هـ) .	
109 الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، ط/ دار المؤيد (الرياض) ، طبعة عام (1417هـ) .	
110 الرزق في القرآن الكريم ، سليمان الصادق البيرة ، ط / وقف من فاعل خير ، الطبعة الأولى : (1428هـ) .	

111	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني ، شهاب الدين محمود الألويسي ، ط/ دار إحياء التراث العربي (بيروت) .
112	الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُهيلي ، ط/ دار المعرفة (بيروت) ، 1398هـ .
113	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، طبعة عام : 1397 هـ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .
114	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، محمد بن حبان البستي أبو حاتم ، ط/ مؤسسة الريان (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1419هـ) ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد .
115	روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، شمس الدين محمد بن أبي بكر المع روف بابن القيم ، ط/ دار الخير (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1418هـ) ، توزيع دار الصميعي ، تخريج : عبد الرزاق المهدي .
116	روضة الناظر وجنة المناظر ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، ط/ مكتبة الرشد (الرياض) ، الطبعة الخامسة : (1417هـ) ، تحقيق : د. عبد الكريم بن علي النملة .
117	زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1414هـ) .
118	زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر الزرعي ، ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1418هـ) ، تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط .
119	الزهد ، عبد الله بن المبارك ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1419هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
120	الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1414هـ) .
121	الزواج عن اقتراف الكبار ، أحمد بن محمد ابن هجر الهيثمي ، ط/ دار الفكر ، ضبط : أحمد عبد الشافي .
122	سبل السلام شرح بلوغ المرام ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، ط/ دار المعرفة (بيروت) ، توزيع : دار المؤيد (الرياض) ، الطبعة الثانية : (1416هـ) ، تحقيق : خليل مأمون شيحا .
123	سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، ط/ وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية ، (1424هـ) ، تحقيق : فهميم محمد شلتوت ، ود: جودة هلال .
124	السلسلة الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف (الرياض) ، طبعة عام : (1415هـ) .
125	سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد بن ماجة ، دار المعرفة (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1418هـ) .

126	سنن أبي داود ، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ط/ مؤسسة الريان للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى : (1419هـ) .
127	سنن الترمذي ، محمد بن سَوْرَة الترمذي ، ط/ دار إحياء التراث العربي (بيروت) ، (1415هـ) .
128	سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ، دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1417هـ) ، تحقيق : فؤاد زمرلي ، خالد العلمي .
129	السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، ط/ مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1421هـ) ، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي .
130	السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1414هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
131	سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي ، ط/ دار البشائر الإسلامية (بيروت) ، الطبعة الرابعة : (1414هـ) .
132	سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الحادية عشرة (1417هـ) تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وحسين الأسد .
133	السيرة النبوية ، ابن هشام ، ط/ دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الرابعة (1413هـ) ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري .
134	السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، محمد محمد أبو شهبه ، دار القلم (دمشق) ، الطبعة الخامسة (1419هـ) .
135	سيرة بن إسحاق ، لمحمد بن إسحاق بن يسار ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف ، تحقيق : محمد حميد الله .
136	الشخصية الإسلامية .. دراسة قرآنية ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، ط / دار العلم للملايين (بيروت) ، 1398هـ .
137	شخصية المسلم في القرآن والسنة ، د . مصطفى عبد الواحد ، ط / دار البيان العربي (جدة) ، الطبعة السابعة : (1405هـ) .
138	شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، ط/ دار ابن كثير (دمشق) ، الطبعة الأولى : (1410هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرنؤوط .
139	شرح ألفية العراقي في علوم الحديث ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط / دار ابن حزم (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1429هـ) ، تحقيق : شادي بن محمد النعمان .
140	شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، لأبي البقاء العكبري ، ط/ دار المعرفة (بيروت) .
141	شرح ديوان حسان بن ثابت ، لعبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي (بيروت) ، (1410هـ) .

142	شرح محمد الخرشى على مختصر خليل ، محمد الخرشى ، ط/ بولاق (مصر) ، الطبعة الثانية : (1317هـ) .
143	شرح موقضة الذهبى ، الشريف حاتم بن عارف العونى ، دار ابن الجوزى (الدمام) ، الطبعة الثانية : (1428هـ) ، تحقيق عدنان الفهمى ، وبدر الفهمى .
144	شرح نزهة النظر ، الشريف حاتم بن عارف العونى ، ط / نسخة مصورة في مكتبة الأنصارى (مكة المكرمة) ، الطبعة الأولى : (1425هـ) ، اعتناء : وائل بن محمد جابر .
145	شرح نظم السلم المنورق في المنطق ، حسن بن درويش القويسنى ، ط / دار الرشاد الحديثة (الدار البيضاء) ، الطبعة الأولى : (1427هـ) .
146	شعب الإيمان ، للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1410هـ) ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيونى زغلول ، توزيع : مكتبة الباز .
147	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عياض اليعصبى ، ط / دار ابن حزم (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1423هـ) .
148	الصباح فى اللغة ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ط / دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة : (1990م) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار .
149	صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل البخارى ، ط/ النسخة اليونانية (بيروت) ،
150	صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل البخارى ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، 1420هـ ، توزيع مكتبة عباس الباز .
151	صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألبانى ، ط / المكتب الإسلامى ، (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1408هـ) .
152	صحيح بن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية : (1412هـ) ، تحقيق : د/ محمد مصطفى الأعظمى .
153	صحيح سنن ابن ماجة ، محمد ناصر الألبانى ، مكتبة المعارف (الرياض) .
154	صحيح سنن أبو داود ، محمد ناصر الدين الألبانى ، مكتبة المعارف (الرياض) ، الطبعة الأولى : للطبعة الجديدة (1419هـ) .
155	صحيح سنن النسائى ، محمد ناصر الدين الألبانى ، مكتبة المعارف (الرياض) .
156	صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابورى ، ط/ جمعية المكنز الإسلامى .
157	صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابورى ، ط / دار ابن حزم ، الطبعة الأولى : (1416هـ) .
158	صفة الصفوة ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى ، ط/ دار المعرفة (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1420هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن اللادقى ، وحياءة شيحا اللادقى .

159	الصور البلاغية في سورة الإسراء ، رسالة ماجستير من إعداد : سروة عمر الخير ، جامعة الأزهر ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، 1412هـ .
160	ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط / المكتب الإسلامي ، (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1410هـ) .
161	طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، ط / هجر للتوزيع والإعلان (مصر) ، الطبعة الثانية : (1413هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو و محمود الطناحي .
162	طبقات الفقهاء الشافعية ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح ، ط/ دار البشائر الإسلامية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1413هـ) ، تحقيق : محي الدين علي نجيب .
163	الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد البصري الزهري ، ط/ دار صادر (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1968م) ، تحقيق : إحسان عباس .
164	طبقات المفسرين ، محمد بن علي الداودي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1422هـ) ضبط : عبد السلام عبد المعين .
165	طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ط/ دار ابن القيم (الدمام) ، الطبعة الثانية : (1414هـ) ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر .
166	العبر في خبر من عبر ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، من دون سنة نشر ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول .
167	العزّة في الإسلام ، مسفر بن سعيد الغامدي ، دار الطرفين (مكة) ، الطبعة الأولى : (1424هـ) .
168	العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، للدكتور أبو حماد صغير أحمد الأنصاري ، مكتبة مكة الثقافية (رأس الخيمة) ، الطبعة الأولى : (1425هـ) .
169	العزّة من مجموعة (حتى يُغيروا ما بأنفسهم) لـ : عمرو خالد ، ط / دار أريج للنشر ، الطبعة الثالثة : (1424هـ - 2003م) .
170	علم البديع ، لـ د . عبد العزيز عتيق ، ط/ دار النهضة العربية (بيروت) ، 1405هـ .
171	عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1421هـ) ، تصحيح : عبد الله محمود محمد عمر .
172	عون المعبود شرح سنن ابن داود ، لمحمد أشرف بن أمير العظيم آبادي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، من دون معلومات .
173	العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ط/ ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود . إبراهيم السامرائي .
174	فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1418هـ) .

175	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، ط/ دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1420هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق مهدي .
176	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، من دون سنة نشر ، ضبط : أحمد عبد السلام.
177	فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، محمد عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، (1417هـ) ، تحقيق صلاح محمد محمد عويضة .
178	فتح الملهم شرح صحيح مسلم ، لفضل الله شبير أحمد العثماني ، ط / مطبعة المخزن المكتبة الرشيدية ، 1405هـ .
179	فتوح مصر والمغرب ، لابن عبد الحكم ، ط/ مكتبة الثقافة الدينية ، 1415هـ .
180	فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام ، محمود محمد عمارة ، ط/ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع (المنصورة) ، الطبعة الأولى : (1417هـ) .
181	فقه السيرة ، محمد الغزالي ، ط / دار القلم (دمشق) ، الطبعة الثالثة : (1407هـ) ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
182	الفوائد ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم ، ط/ دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة السادسة : (1418هـ) ، تحقيق : محمد عثمان الخشت .
183	الفوائد ، لأبي القاسم تمام بن محمد الرازي ، ط / مكتبة الرشد (الرياض) ، الطبعة الثالثة : (1418هـ) ، تحقيق : حمدي السلفي .
184	في ظلال القرآن ، السيد قطب ، دار الشروق - القاهرة - بيروت ، الطبعة السابعة عشر (1412هـ) .
185	فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1415هـ) ، ضبط وتصحيح : أحمد عبد السلام .
186	قاعدة الإسلام يعلو ولا يُعلى .. دراسة تأصيلية وتطبيقية ، د. عابد محمد السفيني ، ضمن مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، (485) ، المجلد (13) ، العدد (22) ، ربيع أول 1422هـ - مايو / أيار 2001 م .
187	القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1415هـ) .
188	القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية ، للدكتور : محمد جمعة عبد الله ، ط/ المكتبة الأزهرية (مصر) ، الطبعة الأولى : (1412هـ) .
189	قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ط/ دار القلم (دمشق) ، الطبعة الثالثة : (1425هـ) .
190	الكاشف عن حقائق السنن _ شرح مشكاة المصابيح ، شرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله الطيّبي ، ط / إدارة القرآن والعلوم الإسلامية (باكستان) ، الطبعة الأولى : (1413هـ) ، تحقيق : المفتي عبد الغفار ونعيم أشرف وغيرهما .

191	كتيب ((العزّة)) ، عمرو خالد ، ط / دار أريج للنشر ، الطبعة الثالثة : (1424هـ - 2003م) .
192	الكرامة والعزّة في القرآن الكريم ، للأستاذ : محمد مُحمّد المدني ، ضمن مجلة الأزهر ، الجزء الأول ، المحرم سنة : (1380هـ) .
193	الكشف والبيان ، الثعلبي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1425هـ) ، تحقيق : سيد كسروي حسن .
194	اللآلي في شرح أمالي القالي ، الوزير أبي عبيد عبد الله البكري الأونبي ، ط / دار الحديث (بيروت) ، من دون سنة نشر .
195	اللباب في علوم الكت اب ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1419هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض ، وآخران .
196	لسان العرب ، محمد بن منظور ، ط/ دار الحديث (القاهرة) ، (1423هـ) .
197	لمحات في علوم القرآن ، د . محمد لطفي الصبّاع ، ط / المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة : (1410هـ) .
198	اللمع في العربية ، لأبي الفتح عثمان ابن جني الموصلي ، ط/ دار الكتب الثقافية (الكويت) ، 1972م ، تحقيق فائز فارس .
199	ما لا نعلمه لأبنانا ، بسمة بنت كمال بدوي ، مركز الياية للتنمية الفكرية (جدة) ، الطبعة الأولى : (1426هـ) .
200	مباحث في إعجاز القرآن ، أ.د . مصطفى مسلم ، ط/ دار المسلم (الرياض) ، الطبعة الثانية : (1416هـ) .
201	مباحث في علوم القرآن ، مَناع القَطّان ، ط/ مكتبة المعارف ، الطبعة الثالثة : (1421هـ) .
202	المبسوط في شرح الكافي ، شمس الدين محمد بن أحمد السرخسي ، ط / دار المعرفة (بيروت) ، الطبعة الثانية ، من دون سنة نشر .
203	مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، عبد الحميد بن باديس ، ط/ مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، الطبعة الأولى: (1402هـ).
204	مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد : (58) السنة 15 ، كانون الثاني (يناير) 1995م ، شعبان 1415هـ .
205	مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ، ط/ المكتبة العصرية (بيروت) ، 1413هـ ، تحقيق : محيي الدين محمد بن عبد الحميد .
206	مجموع الفتاوى لابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم وابنه ، ط / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة) ، (1416هـ) .
207	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، ط/ دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1422هـ) ، عبد السلام عبد الشافي محمد .

208	المحكم والمحيط الأعظم ، علي بن إسماعيل بن سيده ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (2000 م) ، تحقيق : عبد الحليم هندواي .
209	مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، دار الجيل (بيروت) ، 1407 هـ .
210	المخصص ، علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده ، ط / دار الآفاق الجديدة (بيروت) ، من دون سنة نشر .
211	مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم ، ط / دار الكتاب العربي (بيروت) ، الطبعة الرابعة : (1417 هـ) ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي .
212	مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد النسفي ، ط / دار النفائس (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1416 هـ) ، تحقيق : مروان محمد .
213	المدخل لدراسة القرآن ، محمد بن محمد أبو شهبه ، ط / مكتبة السنة ، الطبعة الأولى : (1412 هـ) .
214	مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، ط / عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى : (1373 هـ) ، تحقيق : علي محمد الجاوي .
215	المستدرک علی الصحیحین ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، ط / دار الحرمين (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1419 هـ) .
216	المستدرک علی الصحیحین ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1411 هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
217	المستصفي من علم الأصول ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ط / مطبعة بولاق ، 1294 هـ .
218	المسند ، أحمد بن حنبل الشيباني ، ط / عالم الكتب (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1419 هـ) ، حققه : مجموعة من الباحثين .
219	المسند ، أحمد بن حنبل الشيباني ، ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1421 هـ) ، إشراف التحقيق : شعيب الأرنؤوط .
220	مسند الشهاب ، القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، ط / مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1405 هـ) ، تحقيق : حمدي السلفي .
221	المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ، المكتبة العصرية (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1420 هـ) ، تحقيق : أ.يوسف الشيخ محمد .
222	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، ط / المكتبة العصرية (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1420 هـ) ، اعتناء : يوسف الشيخ محمد .
223	المصنف ، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ط / المكتب الإسلامي (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1403 هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

224	معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود البغوي ، دار طيبة (الرياض) ، الطبعة الرابعة : (1417هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش .
225	معتك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1408هـ) ، ضبط : أحمد شمس الدين .
226	المعجم الأوسط ، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، ط / دار الحرمين (القاهرة) ، 1415هـ ، تحقيق : طارق عوض الله ، وعبد المحسن الحسيني .
227	معجم البلدان ، يا قوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1410هـ) ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي .
228	المعجم المفهرس المعاني القرآن الكريم ، محمد باسم الدين ، دار الفكر (دمشق) ، الطبعة الثانية : (1417هـ) .
229	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط / آوند داناش (طهران) ، من دون سنة طبع .
230	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط / دار الحديث (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1406هـ) .
231	معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1414هـ) .
232	المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، و حامد عبد القادر ، ومحمد النجار ، دار الدعوة ، ت : مُجمّع اللغة العربية .
233	معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، ط / عالم الكتب (بيروت) ، الطبعة الثالثة : (1403هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا .
234	معجم مقاليد العلوم ، لمحمد بن الحسن السيوطي ، مكتبة الآداب (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1424هـ) تأليف : أ / د : محمد بن إبراهيم عبادة .
235	معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الجيل (بيروت) ، الطبعة الثانية (1420هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون .
236	معرفة الثقات ، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، ط / مكتبة الدار (المدينة المنورة) ، الطبعة الأولى : (1405هـ) .
237	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، ط / دار الفكر (دمشق) ، الطبعة السادسة : (1985م) ، ت : د . مازن المبارك ، و محمد علي حمد الله .
238	مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ، ط / دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى : (1416هـ) ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد .

239	المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسيني بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط/ مكتبة نزار الباز (مكة) ، الطبعة الأولى : (1418هـ) .
240	مقاصد الشريعة الإسلامية ، للعلامة : محمد الطاهر بن عاشور ، ط / دار سحنون (تونس) ، الطبعة الأولى : (1427هـ) .
241	مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرح من بن خلدون ، دار الفكر (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1424هـ) .
242	المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، أبي حامد محمد الغزالي ، ط/ دار ابن حزم ، الطبعة الأولى : (1424هـ) .
243	مقومات التكليف ، محمد راتب النابلسي ، ط/ دار المكتبي (دمشق) ، الطبعة الأولى : (1426هـ) .
244	المكي والمدني في القرآن ، عبد الرزاق حسين أحمد ، ط / دار ابن عفان ، الطبعة الأولى : (1420هـ) .
245	من لطائف التفسير ، أحمد فرح عقيلات ، ط / دار اليقين ودار القبلتين للنشر والتوزيع (مصر) ، الطبعة الأولى : (1419هـ) .
246	مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1409هـ) ، ت/ أحمد شمس الدين .
247	المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس ، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي الأندلسي ، ط / دار الكتاب الإسلامي (القاهرة) ، الطبعة الأولى : (1332هـ) .
248	المنطق المفيد ، قسم التصورات ، محمد عبد العزيز البهنسي ، ط / المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة) ، طبعة : (2003م) .
249	منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين ، أبي حامد محمد الغزالي ، ط/ دار المنهاج ، الطبعة الأولى : (1427هـ) .
250	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، محي الدين يحيى بن شرف النووي ، ط/ دار لكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1415هـ) .
251	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، محي الدين يحيى بن شرف النووي ، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (القاهرة) ، 1417هـ .
252	منهج الدعوة إلى الله أساليبها وأهدافها من خلال سورة الزمر ، رسالة ماجستير للباحث : أسامة إبراهيم محمود الشربيني ، المكتبة المركزية بجامعة الأزهر .
253	المواهب الربانية من الآيات القرآنية ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط/ دار رمادي للنشر ، الطبعة الأولى : (1416هـ) ، تحقيق : سمير الماضي .
254	موسوعة أخلاق القرآن ، الدكتور أحمد الشرباصي ، ط/ دار الرائد العربي (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1401هـ) .
255	الموسوعة الإسلامية العامة ، لائحة من الأساتذة ، تحت إشراف د / محمود حمدي زقزوق ، طبعة وزارة الأوقاف القاهرة ، (1424هـ) .
256	الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ، سعود بن عبد الله الحزيمي ، ط/ دار الفجر (القاهرة) ، 2005 م .

257	الموسوعة القرآنية المتخصصة ، لمجموعة من علماء مصر ، ط / وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (مصر) ، تحت إشراف د. محمود حمدي زقزوق ، 1427هـ .
258	موسوعة علوم الحديث الشريف ، لنخبة من الأساتذة المتخصصين ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة) ، (1428هـ) .
259	موسوعة نظرة النعيم ، إعداد مجموعة التخصصيين ، دار الوسيلة (جدة) ، الطبعة الأولى : (1418هـ) .
260	الموطأ ، مالك بن أنس الأصبغ ، رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي ، ط / دار الغرب الإسلامي (بيروت) ، الطبعة الثانية : (1417هـ) ، تحقيق : د. بشّار عوّاد معروف .
261	النبأ العظيم ، د / محمد عبد الله دراز ، ط / دار القلم (الكويت) ، الطبعة التاسعة : (1426هـ) ، تقديم : أ.د : عبد العظيم المطعني .
262	النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي بن الجزري ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، من دون سنة نشر ، أشرف على طباعته أ. علي محمد الطباع شيخ المقارئ المصرية .
263	نظرات في أسلوب الإنشاء والقصر ، د / محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ، ط / التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست (طنطا) ، 1411هـ .
264	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر البقاعي ، ط / دار الكتاب الإسلامي (القاهرة) .
265	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر البقاعي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1415هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .
266	النكت والعيون ، علي بن محمد الماوردي ، ط / دار الكتب (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1412هـ) ، تحقيق : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم .
267	نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، من دون سنة نشر .
268	النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1418هـ) ، تعليق : صلاح بن محمد بن عويضة .
269	همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط / دار الكتب العلمية (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1418هـ) ، تحقيق أحمد شمس الدين .
270	الواضح في المنطق الحديث ، أ.د / علي معبد فرغلي ، ود. عبد المقصود حامد عبد المقصود ، ط / المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة) ، طبعة : (2001م) .
271	الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار إحياء التراث (بيروت) ، الطبعة الأولى : (1420هـ) ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي

مصطفى .	
وسائل النصر من القرآن والسنة ، د: محمد جمعه عبد الله ، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى : (1405هـ) .	272
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ، ط/ دار صادر (بيروت) ، 1414هـ ، تحقيق : إحسان عباس .	273

كتب الأطالس الجغرافية الحديثة .	ثالثاً
الأطلس الجغرافي الحديث ، محمود عصام الميداني ، ط / دار دمشق للنشر والتوزيع ، 1418هـ .	274
الأطلس المدرسي للمرحلة الثانوية ، ط/ مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ، الطبعة التاسعة : (2003م) .	275

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	م
4	إهداء.	1
5	شكرٌ وتقدير.	2
6	ملخّص الرسالة.	3
7	summary	4
8	مقدمة الباحث.	5
10	فضل القرآن وأهمية تفسيره.	6
11	أسباب اختيار الموضوع.	7
16	الدراسات السابقة.	8
17	خطة البحث.	9
19	منهجية البحث.	10
21	صعوبات البحث.	11
23	الفصل الأول: معاني العزّة ومشتقاتها ومرادفاتها.	12
24	المبحث الأول: حدُّ العزّة وتعريفها.	13
25	المطلب الأول: تعريف العزّة في اللغة.	14
37	خلاصة المطلب.	15
38	المطلب الثاني: حدُّ العزّة اصطلاحاً.	16
39	تعريف الراغب الأصفهاني وذكر قيوده.	17
39	- القيد الأول.	18
40	- القيد الثاني.	19
41	- القيد الثالث.	20
43	تعريف السيوطي.	21
44	تعريف الحرّالي.	22
44	التعريف المختار، وأسباب اختياره.	23
47	المبحث الثاني: مشتقات كلمة العزّة ومرادفاتها وأضدادها.	24
48	أولاً: مشتقات العزّة.	25
53	ثانياً: مرادفات العزّة.	26
58	ثالثاً: مقابلات العزّة.	27
58	قاعدة عظيمة عند ابن القيم في باب الأخلاق.	28
60	أصل الذلّ في اللغة.	29
60	الفرق بين العزّ والذلّ.	30
60	الفرق الأول.	31
61	الفرق الثاني.	32
62	الفرق الثالث.	33
64	الفرق الرابع.	34
64	ذمُّ الذلّ.	35

الصفحة	الموضوع	م
65	من أعظم أسباب الذلّ.	36
65	السبب الأول: أن تكون البيئة ذليلة.	37
65	المقصود بالبيئة أحد أمرين:	38
65	(1) بيئة البيت والأسرة.	39
66	(2) بيئة الموطن الذي ينتمي إليه الفرد، ويعيش فيه.	40
66	فائدة: كل بلاد المسلمين عانت من الاستعمار والاستغلال ما عدا جزيرة العرب.	41
67	من أمثلة تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه على العزّة.	42
68	فائدة: كل شيء يمكن نزع من الإنسان إلا الذلّ.	43
70	المبحث الثالث: الفرق بين العزّة والكبر.	44
72	تعريف الكبر، وذمّه.	45
74	سبب حصول الكبر في قلب صاحبه.	46
77	الفصل الثاني: آيات العزّة في القرآن الكريم، وعنايته بها.	47
78	المبحث الأول: آيات العزّة في القرآن وتصنيفها.	48
79	المطلب الأول: آيات العزّة في القرآن الكريم.	49
85	المطلب الثاني: تصنيف آيات العزّة في القرآن الكريم.	50
86	المحور الأول: أن يأتي التعبير القرآني بلفظة العزّة تصريحاً.	51
92	المحور الثاني: أن يأتي التعبير القرآني بمعنى العزّة، أو بما يؤول إليه معناها.	52
96	المحور الثالث: أن يأتي التعبير القرآني بذكر سبب من الأسباب الموصلة إلى العزّة.	53
97	المحور الرابع: أن يأتي التعبير القرآني بذكر أضرار العزّة.	54
100	المبحث الثاني: عناية القرآن الكريم بالعزّة.	55
105	المطلب الأول: فضل العزّة والثناء على أهلها.	56
114	المطلب الثاني: وجوه العناية القرآنية بالعزّة ومظاهرها.	57
115	أولاً: كثرة ذكر القرآن الكريم للفظة العزّة.	58
115	ثانياً: تنوع معانيها التي تؤول إليها، والمذكورة في القرآن العظيم.	59
115	ثالثاً: ذكره لمصدر العزّة الحقيقي، ومنشأها الذي تُطلب منه.	60
116	الإشارة إلى اتفاق المفسرين في إثبات العزّة لله، وأنها لا تطلب منه، وأن طريقها واحد وهو طاعة الله.	61
116	ذكر الأدلة النقلية والعقلية على ثبوت العزّة لله.	62
116	الأدلة النقلية.	63
117	الأدلة العقلية.	64
118	رابعاً: تربية المؤمنين عليها.	65
119	خامساً: التدرج في تلقين معنى العزّة ومفهومها.	66
122	المبحث الثالث: عرض عام لحديث القرآن عن العزّة.	67
151	خلاصة المبحث.	68
152	الفصل الثالث: أسلوب القرآن في حديثه عن العزّة وخصائصه.	69
153	المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في حديثه عن العزّة.	70
154	تمهيد.	71
157	تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً، وبيان مفهوم الأسلوب القرآني.	72

الصفحة	الموضوع	م
157	دراسة آيات العزّة.	73
157	النوع الأول: الآيات التي جاء فيها لفظ العزّة مصرحاً به.	74
158	القسم الأول: الآيات الواردة في معنى العزّة الحقيقية.	75
185	القسم الثاني: الآيات الواردة في معنى العزّة الباطلة.	76
189	النوع الثاني: الآيات الواردة في المعاني التي تؤول إلى العزّة.	77
196	المبحث الثاني: خصائص الأسلوب القرآني في حديثه عن العزّة.	78
208	خلاصة الفصل.	79
209	الفصل الرابع: حقيقة العزّة وأنواعها ووسائلها وآثارها.	80
210	المبحث الأول: حقيقة العزّة.	81
219	المبحث الثاني: أهمية التربية على العزّة.	82
223	دور الأسرة في تربية النشء على العزّة.	83
228	دور المدرسة في تربية النشء على العزّة.	84
236	دور الإعلام في تربية النشء على العزّة.	85
239	المبحث الثالث: مصادر العزّة، وأنواعها، ومجالاتها، ومظاهرها.	86
240	المطلب الأول: مصادر العزّة.	87
257	المطلب الثاني: أنواع العزّة.	88
262	المطلب الثالث: مجالات العزّة.	89
272	المطلب الرابع: مظاهر العزّة.	90
274	المظهر الأول: مظاهر عزة الإسلام.	91
278	المظهر الثاني: مظاهر عزة المسلم.	92
285	المبحث الرابع: وسائل تحقيق العزّة وصفات أهلها.	93
286	المطلب الأول: وسائل تحقيق العزّة.	94
287	تمهيد؛ وفيه تعريف الوسيلة.	95
290	وسائل العزّة الفردية.	96
332	وسائل العزّة الجماعية.	97
353	المطلب الثاني: صفات أهل العزّة.	98
359	المبحث الخامس: آثار العزّة وثمراتها.	99
361	الناحية الأولى: آثار العزّة الدنيوية على الفرد والمجتمع.	100
365	الناحية الثانية: ثمرات العزّة الأخروية.	101
367	الخاتمة.	102
370	النتائج.	103
376	التوصيات.	104
379	الفهارس التفصيلية.	105
380	فهرس الآيات القرآنية.	106
394	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.	107
398	فهرس التراجم والأعلام.	108
400	فهرس الأشعار.	109
402	فهرس المصادر والمراجع.	110
425	فهرس الموضوعات.	111

